تاريخ مصر القديم

تأليف

محمد عبد الرحيم مصطفي

عبد العزيز مبارك

الكتاب: تاريخ مصر القديم
الكاتب: مُحَمَّد عبد الرحيم مصطفي، عبد العزيز مبارك
الطبعة: ٢٠٢٢
الطبعة الأولى ١٩٤٩

الناشر: وكالة الصحافة العربية (ناشرون)
٥ ش عبد المنعم سالم – الوحدة العربية – مدكور- الهرم –
الجيزة - جمهورية مصر العربية
هاتف : ٣٥٨٢٥٢٩٣ _ ٣٥٨٦٧٥٧٦ _ ٣٥٨٦٧٥٧٥
فاكس : ٣٥٨٧٨٣٧٣
http://www. bookapa.com E-mail: info@bookapa.com

دار الكتب المصرية
فهرسة أثناء النشر

مصطفي ، مُحَمَّد عبد الرحيم . مبارك ، عبد العزيز
تاريخ مصر القديم / مُحَمَّد عبد الرحيم مصطفي، عبد العزيز مبارك.
– الجيزة – وكالة الصحافة العربية.
٢٥٥ ص، ١٨*٢١ سم.
الترقيم الدولى: ٦ – ٤٥٩ – ٩٩١ – ٩٧٧ – ٩٧٨
أ – العنوان رقم الإيداع : ٥٦٥٢ / ٢٠٢٢

تاريخ مصر القديم

وكالة الصحافة العربية
«ناشرون»

مقدمة

إلى القراء عامة، أتقدم بهذا الكتاب، في تاريخ مصر القديم، عل كل واحد منهم يجد فيه بغيته، فيتصفح القارئ مطلعاً على صفحة من تاريخ هذه البلاد المحبوبة نيرانها تشع بعناصر الحضارة والمدنية، في وقت ساد فيه الجهل والظلام جهات العالم الأخرى، كما يرى كيف انعكست الآية في أواخر هذا العهد القديم ووقعت البلاد فريسة للغاصب الأجنبي؛ وفي الأولى فخر وقدوة، وفي الثانية عظة وعبرة.

وسيجد القارئ ومادة صحيحة تتمشى مع أحدث الآراء التاريخية، كما سيصادف حسن تبويب وترتيب وتوفيقاً في اختيار الحوادث وطرق سردها؛ وقد حلى جيد الكتاب بكثير من الصور التوضيحية، والخرائط الدقيقة التاريخية، حتى يفي بجميع الأغراض التي وضع من أجلها. فعسى أن يتحقق الغرض، وفقنا الله جميعاً إلى ما فيه خير هذا الوطن.

المؤلفان

أبريل سنة ١٩٤٥

الباب الأول

مصر في عصر ما قبل التاريخ

جغرافية مصر وأثرها في تاريخها

قامت بمصر منذ آلاف السنين مدنية عظيمة، وحضارة زاهرة، يقول العلماء إنها أقدم مدنية شهدها العالم، وأعظم حضارة عرفها التاريخ القديم ، ويرجع قيام تلك المدنية وازدهارها، إلى عوامل هامة، هيأتها الطبيعة لمصر فساعدت على قيام الزراعة، واستقرار السكان، واتصال بعضهم ببعض، واتحادهم.

ومن أهم تلك العوامل الطبيعية، التي كان لها الأثر في تاريخ مصر: موقعها الجغرافي، وسطحها، ومناخها، ثم نهر النيل.

أولا - نهر النيل

١- أثره في تكوين الوادي:

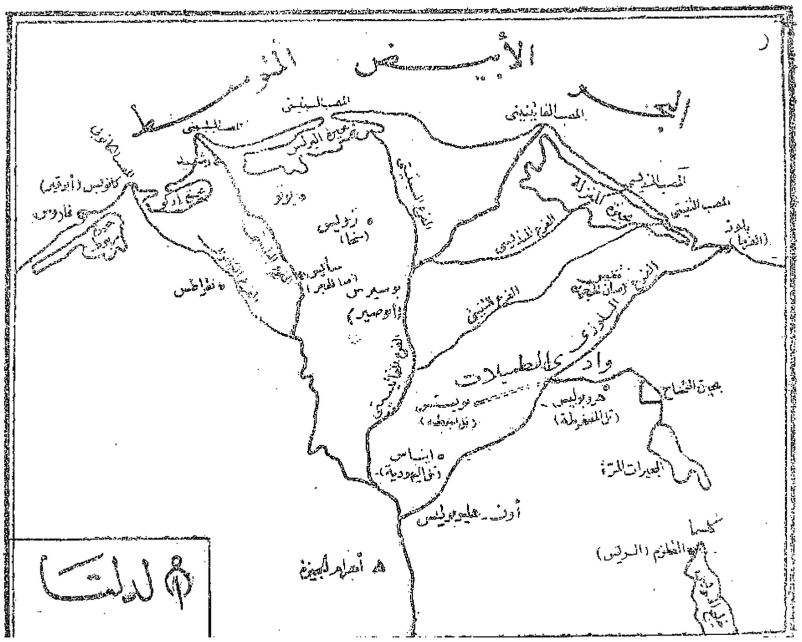
كانت مصر في العصور القديمة جداً، هضبة تنحدر نحو الشمال، إلى البحر الأبيض المتوسط، وهو انحدار بطيء، يدل عليه جريان الماء برفق، في نهر النيل من الجنوب إلى الشمال، وتنحدر كذلك من الشرق إلى الغرب أي من جبال البحر الأحمر، العظيمة الارتفاع، إلى الصحراء الليبية.

ولما بدأ ماء النيل يتدفق على هذه الهضبة، شق لنفسه مجرى وسطها وقسمها قسمين، يعرفان الآن بالهضبة الشرقية، والهضبة الغربية. وكان المجري في

أول الأمر ضيقاً، وغير عميق، فكانت المياه تفيض على الجانبين، وتغطي الأرض في الهضبتين. وبمرور الزمن، أخذ النيل يعمق جراه ويوسعه، فقل طغيان النيل على جانبيه، وأصبحت الأرض التي كانت المياه تغمرها، مغطاة بطبقة من الغرين، مما يأتي به النهر وقت الفيضان. وتعرف تلك الأراضي التي على جانبي النهر، وتقع بين الهضبتين "بالوادي" ولا شك أن أول امتداد نهر النيل في مصر من جهة، وضيق مجراه من جهة أخرى، جعل من الصعب إنشاء حكومة مركزية ثابتة، يسمح لها مركزها الجغرافي، أن تكون على مقربة من جميع أطراف القطر، ويتيسر لها بسهولة الإشراف على إدارة شؤون المقاطعات القاصية، لذلك كانت عاصمة البلاد دائماً متغيرة.

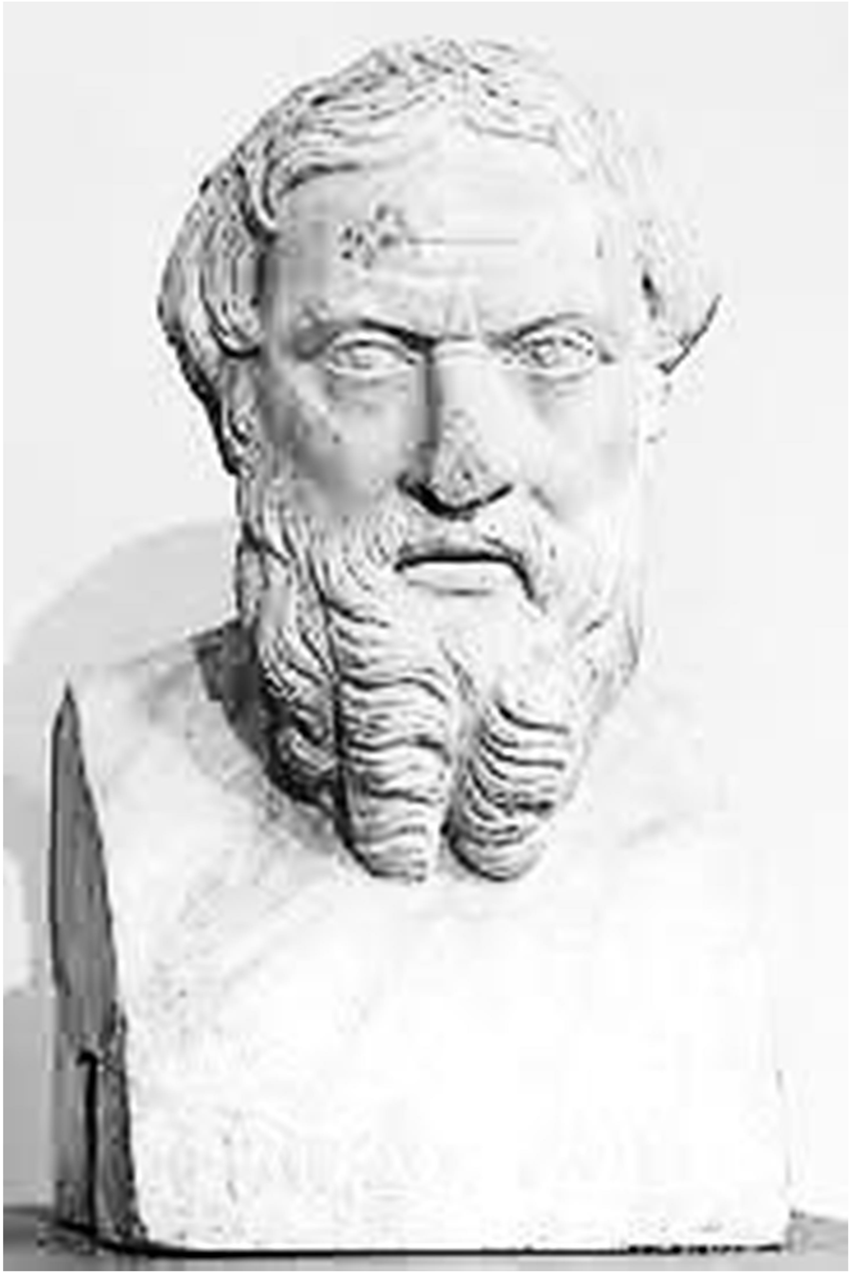
٢- أثره في تكوين الدلتا:

ولما تلاقى النيل بالبحر الأبيض المتوسط، وصب فيه ماءه، رسبت كميات من الغرين عند المصب، وظهرت أرض جديدة، كلها من الطمي، على شكل مروحة عظيمة، هي التي تعرف "بالدلتا". وكان للنيل في الزمن القديم سبعة فروع، لم يبق منها الآن سوى فرعين عظيمين، هما فرع رشيد، وفرع دمياط.



تقدير المصريين للنيل:

زار مصر منذ آلاف السنين، سائح يوناني، فلما شهد أحوالها، ولحظ فضل النيل عليها، قال كلمته الخالدة: "مصر هبة النيل" وقد أعجب المؤرخ اليوناني الشهير "هيرودوت" بهذا الوصف، فنقله عنه. وهو وصف، صادق لا مبالغة فيه، إذ أن النيل، كما يتضح مما سبق، صاحب الفضل الأول في تكوين الوادي، وتغطية أرضه بالطمي، وتكوين الدلتا كلها، بما يجلبه من غرين عاماً بعد عام، وهذا الطمي هو الذي يعيد للأرض شبابها وقوتها ويعوض عليها ما استهلكه المحصول من مجهود ولولاه لبقيت مصر كما كانت جزءاً من الهضبة القاحلة، التي يتكون منها شمال إفريقية.



هیرودیت

وقد عرف المصريون فضل النيل عليهم، فأحبوه وقدروه، بل وأكثر من هذا، فقد قدسوه وعبدوه، وعدوه إلهاً.

وما زال مصريو هذا الزمان يحتفلون بفيضان النيل احتفالاً كبيراً يشترك فيه الشعب والحكومة.

٣- أثره في قيام الزراعة:

كان المصريون الأقدمون يسكنون الهضبة؛ لأنها كانت أقل جفافاً مما هي عليه في الوقت الحاضر، ولأن أرض الوادي كانت مغطاة بالمياه، مليئة بالمستنقعات، وكانوا يعيشون عيشة بسيطة، قوامها جمع الثمار وصيد الحيوان. ولما عمق النيل مجراه ووسعه، وانحسرت المياه عن الوادي، ترك المصريون مأواهم فوق الهضبة، ونزلوا إلى الوادي، وبدءوا يزرعون الأرض، ويستقرون حولها.

٤-أثره في قيام المدنية:

الاتحاد: ولما بدأ المصريون يزرعون الأرض، كان النيل كثيراً ما يفيض على جانبيه، لعدم متانة جسوره، فيتلف الزرع، ويهدم المساكن، فأخذوا يقيمون لأنفسهم قرى يسكنونها على ربوات مرتفعة، اتقاء طغيان المياه عليهم، ويعملون على تقوية جسور النيل، حتى لا تجرفها مياه النهر الدافقة أيام الفيضان به ولا يتسنى القيام بهذه الأعمال الهامة الضرورية، إلا إذا اتحد السكان، وتضافرت جهودهم، والاتحاد هو السبيل الأول إلى القوة والحضارة.

العلوم والفنون: وقد حتمت الزراعة على المصريين، أن يفكروا في توصيل المياه من النيل إلى الأراضي البعيدة عنه، فأخذوا يحفرون الترع ويشقون القنوات، كما أخذوا يراقبون ارتفاع النهر وانخفاضه، ويعدون أيام الفيضان، ويحسبون أيام التحاريق، وقد نتج عن التفكير في هذا كله، أن نشأت عندهم بعض العلوم، كالحساب والهندسة.

وقد تعلم المصريون كذلك ادخار المحصول، وتوزيع استهلاكه توزيعاً منظماً على أيام السنة، وذلك لأن الأرض لم تكن تزرع غير مرة واحدة في العام وهي الزراعة الشتوية، التي تبدأ عقب انتهاء الفيضان، أي في أواخر فصل الخريف، ويحصد المحصول في أوائل الصيف، وهو الوقت الذي يبلغ فيه النيل أقصى انخفاضه، وتظل الأرض بعد جني المحصول بغير زرع حتى الخريف التالي.

٥- أثره في المواصلات وربط الجماعات:

ترى النيل يشق مصر كلها من جنوبها إلى شمالها، في مجرى هادئ، لا تعترض مياهه صخور، ولا تقوم وسطه شلالات، وقد ساعد هذا على صلاحيته للملاحة، فأمكن المصريون منذ آلاف السنين، أن يسيروا فيه بسفنهم، جيئة وذهاباً، من أقصى الجنوب الى أقصى الشمال، يساعدهم تياره الدافق برفق، أما السفن المتحركة من الشمال إلى الجنوب، فيساعدها في مقاومة التيار، رياح شمالية، تهب على مصر بانتظام من الشمال.

وهذا الاتصال بين المصريين منذ القدم، ساعد أولاً في تبادل التجارة ورواجها، ولما كثر تزاورهم واختلاطهم، اتحدت أفكارهم، وأخذت الرابطة تقوى بينهم، وقد مهد هذا كله الى اتحاد المصريين في النهاية، وقيام مملكة واحدة، اجتمع تحت لوائها جميع المصريين.

ثانياً - موقع مصر الجغرافي

تمتاز مصر بموقع جغرافي هام، فهي تقع في الركن الشمالي الشرقي لإفريقية، يحدها من الشمال البحر الأبيض المتوسط، ومن الشرق البحر الأحمر، وهي تتصل بقارتين عظيمتين، هما آسيا وأفريقية، كما أن البحر الأبيض المتوسط يصلها بأوروبا. واتصال مصر بقارات ثلاث هامة، جعلها مركزاً تجارياً ممتازاً، تتلاقى فيه التجارة المتبادلة بين شعوب تلك القارات. وكذلك كان المصريون أسبق شعوب

الأرض في ركوب البحر، وبناء السفن، التي اتجهوا بها إلى سواحل شرق البحر الأبيض المتوسط وجزره، ومخرت سفنهم كذلك عباب البحر الأحمر، حتى وصلوا إلى أقصى طرفه الجنوبي، حيث بلاد بنت (الصومال) على ساحل إفريقية الشرقي، وبادلوا أهلها التجارة.

وكان للصحراوين اللتين تحيطان بمصر من الشرق والغرب، أثر عظيم في حمايتها من إغارات الأجانب عليها، وتقليل عددها، فالصحراء باتساعها، وبما يغطي سطحها من رمال وصخور، تقوم عائقاً منيعاً يعرقل هموم المهاجمين.

ثالثا - سطح مصر

شق النيل الهضبة التي كانت تتكون منها مصر، في العصور المتناهية في القدم، وكون –كما رأينا– أرض الوادي، ولما التقى بالبحر الأبيض المتوسط، أخذ يكون أرض الدلتا، وهذان القسمان العظيمان: وادى النيل، والدلتا هما اللذن نشأت، من وجودهما مصر الحديثة العظيمة.

ووادي النيل يختلف ضيقاً واتساعاً، إذ نراه في أقصى الجنوب، فيما يسمى بلاد النوبة، التي تغمر معظمها في عصرنا الحاضر، مياه خزان أسوان، ضيقا، وأراضيه الزراعية قليلة. ولم يخل ضيق الوادي في تلك الجهات من فائدة، فقد حمى مصر من إغارات السكان، الذين تقع بلادهم جنوبي مصر.

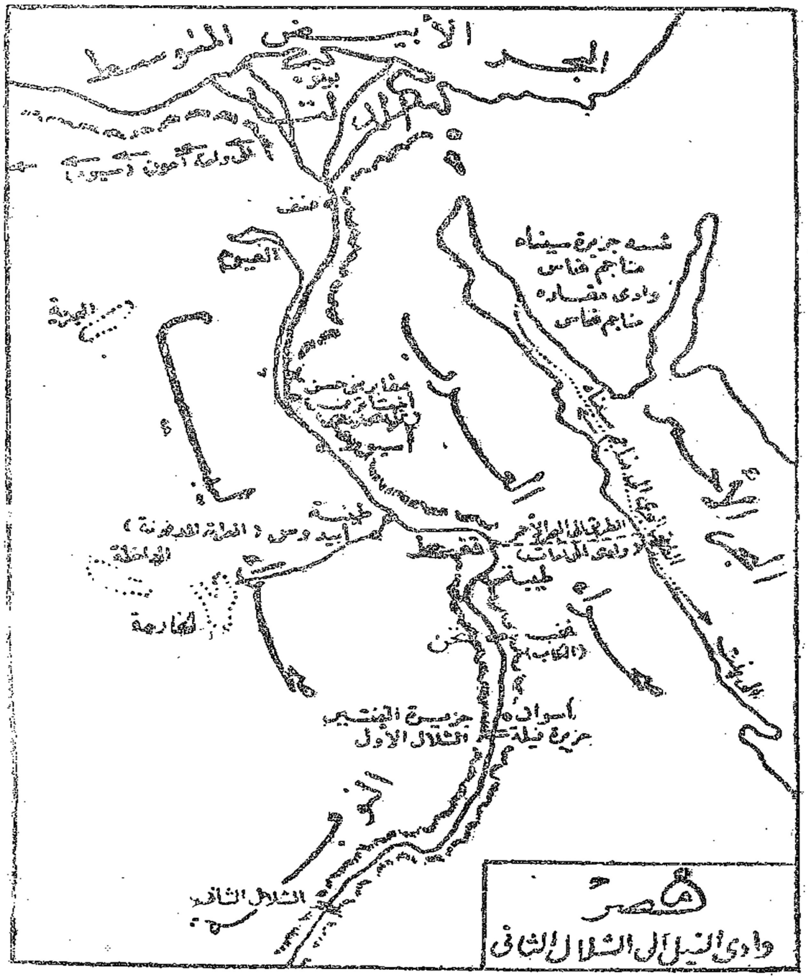
وابتداء من الشلال الأول، يتابع النيل سيره نحو الشمال، ثم يأتي في إقليم قنا، ثنية كبرى، ويستأنف بعدها جريانه شمالاً. وفي هذا الإقليم يتسع الوادي؛ فتكثر الأراضي الزراعية، كما يكثر الصلصال، الصالح لصناعة الأواني الفخارية؛ ولذلك تقدمت الزراعة، ونشطت الصناعة في هذا الإقليم. كما راجت التجارة لحسن موقعه، إذ يتصل بالبحر الأحمر شرقاً، بوديان مختلفة، كانت تتخذ طرقاً

للمواصلات، ومن أشهرها، طريق "وادي الحمامات"، الذي كان يبدأ من مدينة "فقط" على النيل قرب قنا. وقد مهدت هذه الطرق لاستخراج المعادن من الصحراء الشرقية، وشبه جزيرة سيناء، وساعدت على الاتصال ببلاد "بنت" جنوبي البحر الأحمر، وكذلك يتصل هذا الإقليم غرباً بالواحات الخارجية في صحراء ليبيا. وقد استمرت حضارة هذا الاقليم نامية زاهية؛ لبعده عن الغزو الأجنبي، الذي تعرضت له الدلتا في كثير من الأحيان.

ويطرد اتساع الوادي شمالي قنا، مكوناً ما يسمى إقليم مصر الوسطي؛ الذي يعد حلقة الاتصال بين شمال مصر وجنوبها. ويقع غربي مصر الوسطى إقليم عظيم، منخفض السطح، يعرف بالفيوم، ويعده العلماء واحة من الواحات التي يكثر وجودها بالصحراء الليبية، وكانت مياه النيل تتدفق في هذا الإقليم من ثغرة في الهضبة الغربية، تعرف بفتحة اللاهون أو الهوارة، فتغمر مساحة كبيرة من أرض هذا الإقليم. وكان سكانه يشتغلون بالزراعة والرعي.

وينتهي الوادي عند تفرع النيل، إذ تبدأ الدلتا، التي تنشر أرضها على شكل مروحة كبيرة؛ يمينا ويساراً، ودلتا العصور القديمة غير دلتا اليوم، إذ كان يتخلل الأراضي الزراعية الخصبة، مستنقعات تنمو فيها أعشاب كثيفة، ويجرى بها مجار مائية كثيرة الأسماك والطيور، فاشتغل سكان الدلتا بالزراعة والرعي، وصيد الأسماك والطيور.

والدلتا أكثر جهات مصر اتصالاً بالخارج، كما أنها كانت أكثر تعرضاً للغزو الأجنبي، وقد أثر ذلك في حضارتها وثقافتها، التي لم تصبح مصرية خالصة كحضارة الصعيد.



وكان سكان الدلتا أقل استمساكاً ووحدة من سكان الوادي، لكثرة المستنقعات وسعتها، وكثرة تحول فروع النيل، فضعفت بذلك وحدتهم وقوتهم.

رابعا - مناخ مصر

تتمتع مصر منذ القدم، بمناخ معتدل، وسماء صافية، شتاؤها دافئ، وصيفها –وإن كان حاراً في أقصى جنوبها– إلا أنه معتدل الحرارة في باقي جهاتها، ولقد بعثت هذه العوامل المناخية النشاط في المصريين، ويسرت لهم سبل الحياة، فعمدوا إلى زراعة أراضيهم، واستغلال موارد الثروة في بلادهم.

وكذلك ساعدت تلك العوامل على تنظيم الزراعة في مصر، إذ كانت الأرض تغمر بمياه الفيضان في فترة تمتد من منتصف الصيف، إلى منتصف الخريف ثم تبدأ الزراعة في أوائل فصل الشتاء، حيث تسقط أمطار تساعد على إنماء المحصولات، التي يتم نضجها وحصادها، في أوائل الصيف، وفي هذا الوقت من السنة، يعظم انخفاض النيل، ويشتد الجفاف، فتترك الأرض بغير زراعة إلى ما بعد الفيضان. وفي فترة الجفاف هذه تشقق الأراضي ويتخللها الهواء، فتهلك الحشرات والآفات الضارة بالزراعة، وهذا كله يساعد على جودة المحصول ووفرته.

وفوق ما كان للمناخ المعتدل من أثر في الزراعة، فقد ساعدت قلة الأمطار وندرة هبوب الرياح العاصفة، على الإبقاء على ما خلفه المصريون الأقدمون من آثار ومعالم، يراها العالم اليوم، فيشهد لأجدادنا بما وصلوا إليه من رقي، وتقدم وازدهار.

مدنية مصر قبل التاريخ

وفد إلى مصر منذ آلاف السنين، قبل بدء التاريخ، أقوام من شمال إفريقية، هم الليبيون، ومن شرقها، الصوماليون، وقد أمتزج هؤلاء الأقوام بالمصريين، وتأثرت الحضارة المصرية بحضارتهم. يدل على ذلك ما وجد من شبه،

بين الأواني والأدوات المصرية، التي يرجع تاريخها إلى ذلك العصر البعيد، ومثيلاتها الليبية، التي عثر عليها في شمال إفريقية، وكذلك الشبه الكبير بين قبور المصريين وقبور الصوماليين.

ثم أغارت على مصر قبائل أسيوية، من الجنس السامي، يرجح أنها سلكت في سبيل الوصول إليها، طريق برزخ السويس، وهو الطريق الذي طالما سلكه الغزاة، من غرب آسيا إلى مصر، وقد استطاع أوليات الساميون أن يؤثروا في لغة المصريين تأثيراً كبيراً، ولكنهم لم يتركوا مثل هذا الأثر في حضارتهم، إذ كانوا قوماً رعاة جائلين، في حين كان المصريون –وما يزالون– شعباً زراعياً مستقراً. وبدأت الحضارة في مصر قبل العصر التاريخي بأجيال طويلة، يقدرها العلماء بنحو مائة ألف سنة، ويرجح أن الإنسان ظهر على أرض مشر لأول مرة منذ ذلك التاريخ. وكانت الحضارة في أول أمرها بسيطة غاية البساطة، ثم أخذت تنمو وترقي ببطء شديد، استغرق تلك الآلاف الطويلة من السنين. ولما بدأ العصر التاريخي في عام ٣٢٠٠ ق. م، اتخذت حضارة المصريين شكلاً آخر؛ أرقى وأعظم من حضارتهم الأولى، في عمر ما قبل التاريخ.

ويرجع الفضل في كشف حضارة مصر في عصر ما قبل التاريخ، إلى جهود العلماء المنقبين، الذين قاموا ببحوثهم، في مناطق مختلفة من مصر: في الفيوم والبدارى بأسيوط، ونقادة بقنا، والمعادي وحلوان، وغيرها من المدن التي كانت مراكز القوة والحضارة منذ آلاف السنين.

ويقسم العلماء عصر ما قبل التاريخ ثلاثة عصور مختلفة: العصر الحجري القديم، والعصر الحجري الحديث، وعصر بداية المعادن.

١- العصر الحجري القديم

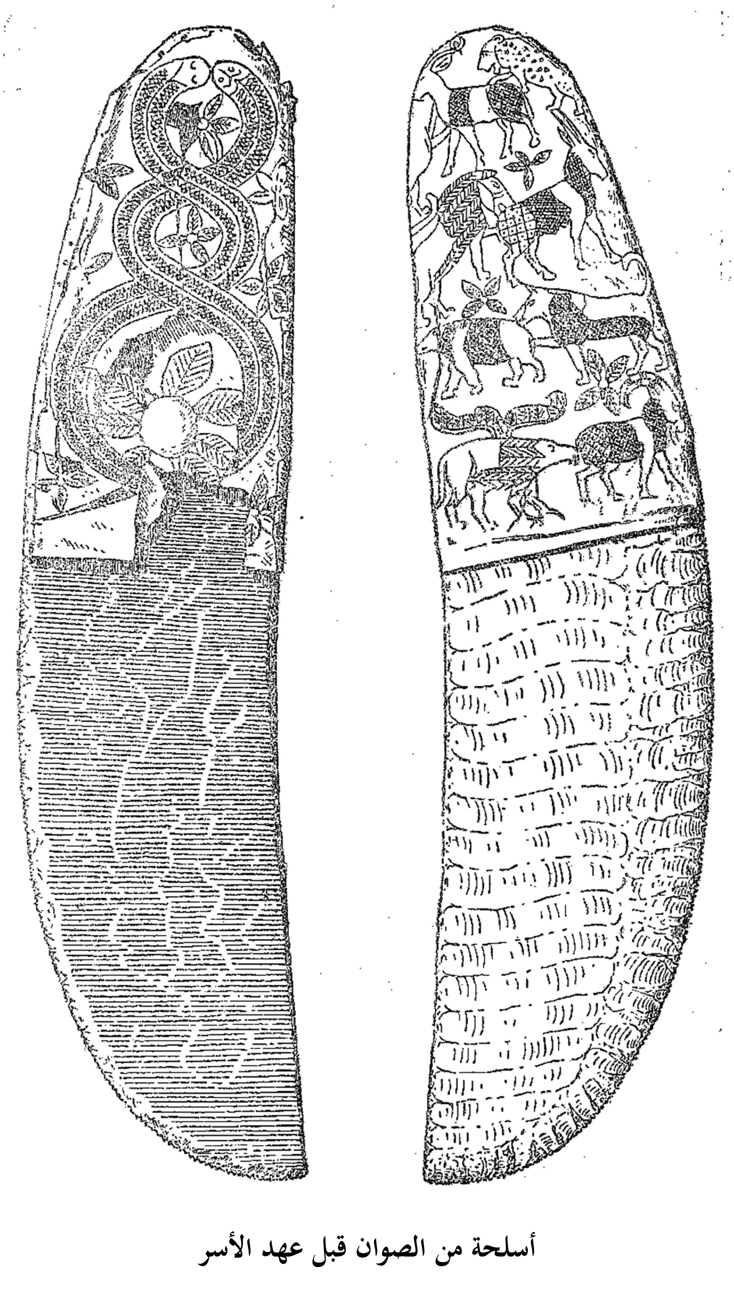
منذ آلاف من السنين، أتي على أوروبا حين من الدهر، غطى الثلج أرضها، وعطل الحياة فيها، وفي نفس ذلك العصر، كان شمال إفريقية، بما فيه مصر، كثير المطر، بما لا تقاس به أمطار عصرنا الحالي، وكان من أثر ذاك، أن نمت على الهضاب والصحاري في مصر أعشاب كثيرة، وأشجار متفرقة، عاش فيها الكثير من الحيوان، كالوعل والغزال والأغنام البرية، والبقر الوحشي، والضباع، أما وادي النيل فكان مليئا بالمستنقعات، لكثرة طغيان النهر وفيضانه على جانبيه، فكثرت التماسيح والفيلة، ونجل البحر، والحشرات المهلكة كالأفاعي.

ولقد فضل المصريون الأولون، أن يعيشوا فوق الهضاب، هرباً من الحيوان الضاري، وفراراً من طغيان النهر عليهم، فشقوا لأنفسهم كهوفاً في الصخور يأوون إليها، ويقيمون المواقد عند مداخلها، وعاشوا على الفطرة، يجمعون الثمار من الأشجار، و يصيدون الطير والحيوان.

صناعاتهم:

ولقد دعتهم حياة الصيد هذه، إلى التفكير في إيجاد الوسائل، التي تساعدهم في قنص الحيوان، وسلخ جلده، فصنعوا أدوات غاية في البساطة من حجر الصوان، ومن أهم ما صنعوه: البلطة، والسكين والمنشار، ودبابيس ذات مقابض خشبية، وكانت هذه الأدوات في أول أمرها خشنة كبيرة الحجم، ثم أخذ حجمها يتضاءل، ونوعها تحسن على مر الزمان.

وفضلاً عن تلك الآلات والأدوات، التي ابتكرها المصري القديم، فقد عرف كيف يوقد النار، و يطهو الطعام، ومن هذا كله تبين أن الحضارة قد بدأت في مصر، مع ظهور الإنسان فيها، وأخذت ترقى و تدرج كلا المسيح تفكيره، وكثرت تجار به وزادت حاجاته.

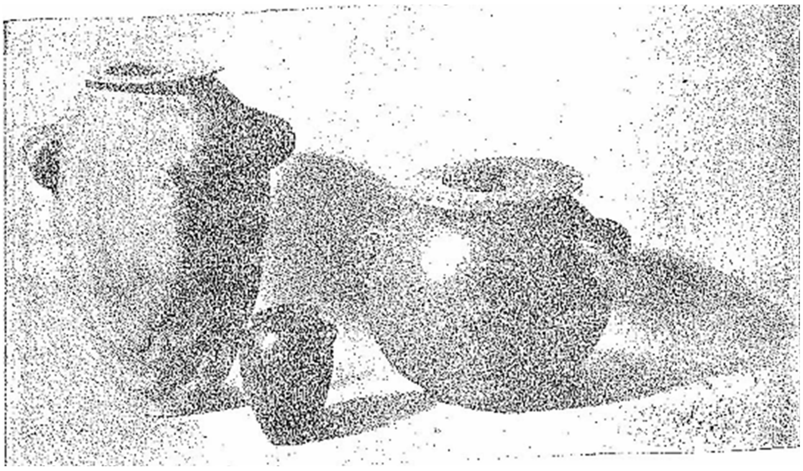


أسلحة من الصوان قبل عهد الأسر

وقد عثر الباحثون من العلماء على الكثير من تلك الأدوات، على

الهضبتين وأطراف الوادي، وفي بعض الواحات، وفي جهات متفرقة من مصر.

ويعرف هذا العصر، الذي سكن فيه المصريون الهضاب، وصنعوا أدواتهم الخشنة من الحجر، بالعصر الحجري القديم.



أوان من الحجر

٢ - العصر الحجري الحديث

ظل المصريون الأولون على هذه الحال، التي امتدت عشرات الآلاف من السنين، تغيرت خلالها الأحوال المناخية في الصحراء، فقد قتل سقوط المطر، وكاد ينعدم، ولم تعد الحشائش تغطى سطح الهضبة، كما كان الحال من قبل، فهجرها الحيوان، وكان طبيعيًا أن يهجرها الإنسان.

أما المستنقعات التي كانت تملأ الوادي، وتغطى بقاعًا واسعة من أراضي الدلتا، فقد ردم معظمها الطمي، المتخلف من مياه الفيضان كل عام.

وعندئذ هبط السكان إلى الوادي، حيث النبات وفير، وصيد الماء والبر كثير، ثم أخذوا بالتدريج يعتمدون في حياتهم على ماء النهر، لا على المطر، كما

كانوا يفعلون من قبل، واهتدوا إلى زراعة الأرض، فبذروا البذور والحبوب، وأخذوا يلاحظون الزرع، ويتتبعون أدوار نموه حتى موعد حصاده، وبذلك بدأت حضارة المصريين تتخذ شكلًا آخر، فبعد أن كان أساسها من قبل، الصيد، أصبح قوامها الزراعة، وتبع ذلك تقدم في نوع الأدوات الحجرية، وبذلك انتقلت إلى العصر الحجرى الحديث.

نشأة القرى والمدن

ولما عرف المصريون الزراعة، وما تحتاج إليه من جهود وعناية مستمرة، اضطروا إلى الاستقرار والثبات بجانب أرضهم، وتركوا حياتهم الأولى: حياة الترحال، والانتقال من مكان إلى مكان؛ وبدلًا من أن يعيشوا في قبائل متفرقة، لا تربطها رابطة، ولا تخضع لنظام ثابت، آخذوا يجتمعون ويقيمون قرى لسكناهم. وقد اتسع بعض تلك القرى، لكثرة عدد السكان فيها، ومهد هذا لقيام المدن.

وقد غطت، تلك القرى، بمضي آلاف السنين، كميات الطمي المتعاقبة، التي يحملها النيل عامًا بعد عام، فلم تعد تظهر على سطح الأرض، ولكن جهود العلماء اتجهت أخيرًا إلى الكشف عنها، فعثر على الكثير منها قرب القاهرة، وفي الفيوم، وبعض جهات الوجه القبلي.

المساكن:

وكانت القرية تتكون من أكواخ تبنى من الغاب، وأغصان الشجر، وتطلى من الخارج بالطين، وتسقف بحصير من الغاب، أو بجلد الحيوان، وتشبه تلك الأكواخ عشش الفلاحين، التي تقام وسط المزارع وقت الحصاد، في عصرنا الحاضر.

وكان الكوخ بيضي الشكل في الغالب، أو مستديرًا، ويحفر عند مدخله

موقد، ترص بجواره قدور مختلفة الأحجام، يحفظ الماء في بعضها، ويخزن الطعام والغلال في البعض الآخر.

الصناعة:

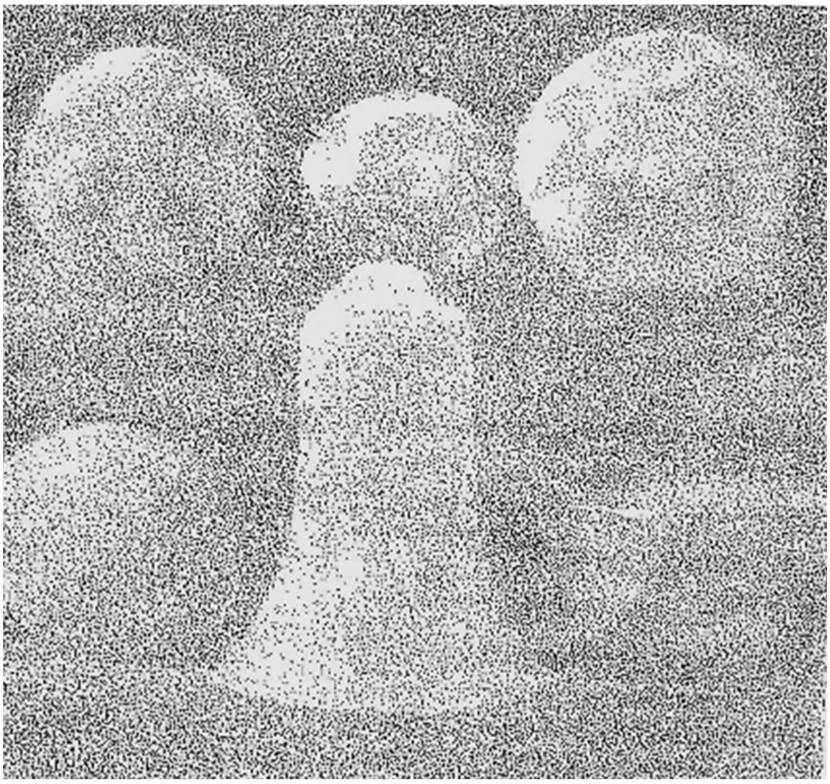
تعددت الآلات والأدوات في هذا العصر، تبعًا للانتقال من حياة الرعي والصيد، إلى الحياة الزراعية، ولم تعد تلك الآلات تصنع من الحجر الصوان وحده، بل تنوعت المواد التي استخدمت في الصناعة، وتحسن نوعها.

فصنعوا أسنة الحراب الدقيقة، ورؤوس الفؤوس اللازمة للزراعة، والمكاشط الخاصة بصناعة الجلد، والمدى والمناشير، وقد تجلى ذوق المصر بين ودقتهم، في كل ما عملوه من الماء الآلات. واستعملت العظام في عملي أسنة الخطاطيف والإبر، وغيرها من الصناعات الدقيقة.

ولقد برع المصريون في هذا العصر، في صناعة آنيتهم من الفخار، ذي اللونين: الأحمر والأسود، وصنعوا نماذج جميلة من الأطباق، والأكواب والجرار والأباريق، كان لبعضها أزرار بارزة، أو ثقوب في جوانبها، يعلق فيها بخيط يسهل حملها. وقد عثر في بعض الجهات على آنية من الطين الأسود، مزخرفة بمادة بيضاء.

الفنون:

صنع المصريون ما صنعوه من آلات وأدوات، لتعينهم في حياتهم العملية، فلم يلتفتوا إلى صناعة غيرها من أدوات الزينة وما شابهها، مما يتجلى فيه الفن، فكانت حليهم بسيطة وساذجة، يصنعونها من عظام الحيوان، أو الطين المحروق.



أوان زخرفية منقوشة قبل عهد الأسر



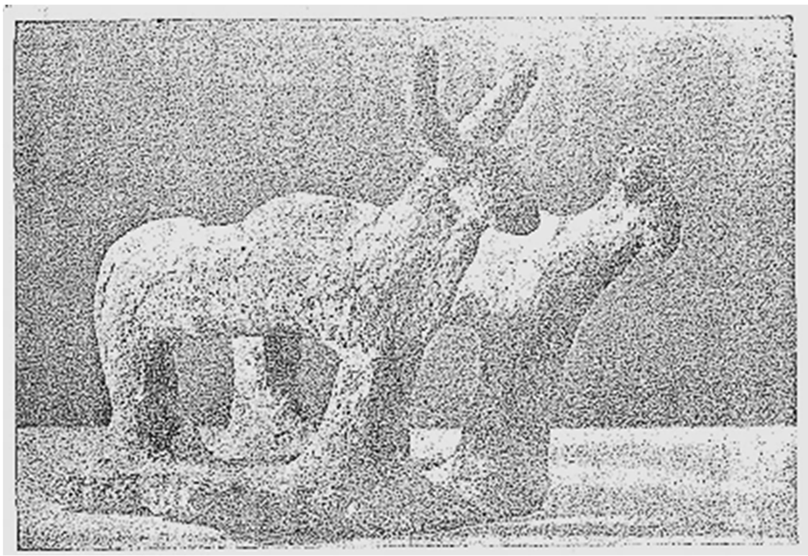
أوان خزفية منقوشة قبل عهد الأسر

القبور وعادات الدفن:

كان المصريون في ذلك العصر، يدفنون موتاهم في مدافن قريبة من القرى، وعلى حافة الصحراء، لتكون بعيدة عن فيضان النيل. وكان القبر عبارة عن حفرة

بسيطة، قريبة من سطح الأرض، بيضية الشكل أو مستديرة، وتشبه في هذا أكواخهم، وكانت الجثة توضع على جانبها الأيسر، متجهة من الشمال إلى الجنوب، ومطوية بحيث تقترب الركبتان من الصدر، كالجنين في بطن أمه، وكانت يد الميت توضع أحيانا قرب فمه، كما كانت في أحيان أخرى توضع بين أسنانه.

وكانوا يضعون في يد الميت بعض الحبوب، وإلى جانبه أوان تحوي الطعام والشراب، وأدوات الزينة، الأدوات والآلات التي كان الميت يستعملها في حياته، مما يدل على أنهم كانوا يعتقدون في حياة أخرى بعد الحياة الدنيا، يعود الميت فيها إلى استعمال آلاته وأدواته، وطعامه وشرابه.



تمثال حيوان من الطين – قبل عهد الأسر



قبر قبل عهد الأسر

ولم تكن القبور في الغالب مسقوفة، وإنما كانت تغطى بالرمال، ثم صارت فيما بعد، تسقف بسقف من الخشب أو البوص، تعلوه طبقة من الطين.

٣ - عصر بداية المعادن

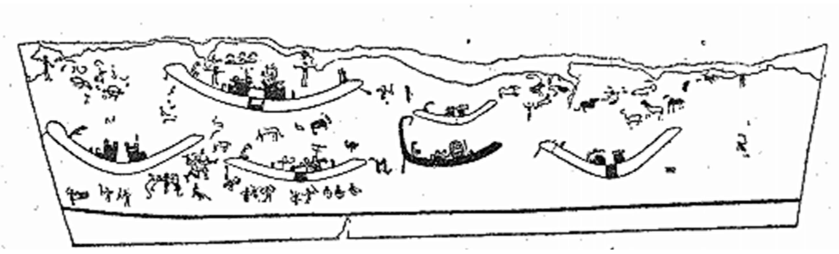
يطلق هذا الاسم على العصر الذي يتبع العصر الحجري الحديث، وينتهي بدء العصر التاريخي، وفيه عرف المصريون معادن عدة، كالنحاس والذهب والحديد والبر وتز، وأخذوا يستخدمونها في صناعة أدواتهم وحليهم، وكان أهم معدن انتفعوا به، واستخدموه في الكثير من صناعاتهم، هو النحاس؛ وأهم مناجمه في شبه جزيرة سيناء.

النحاس وأثره في الصناعة:

ولما عرف المصريون النحاس، وتبينوا من مزاياه، أخذوا يستخدمونه في صناعة آلاتهم وأدواتهم، ويستغنون تدريجيًا عن الصوان، وما إليه من الأحجار، ومن أهم ما صنعوه من هذه المعادن: المقصات والأزاميل والخناجر، والخطاطيف والفؤوس، وقد باغ المصريون في صناعة تلك الآلات درجة كبيرة من المهارة والإتقان.

أما الذهب والفضة والحديد، فقد استخدمها المصريون في صناعة الحلي وأدوات الزينة.

ومن الصناعات التي ارتقت في ذلك العصر، نسيج الأقمشة، والنجارة وصناعة الجلود والعاج. أما الأواني الفخارية، فقد بلغت درجة فائقة من الجمال، إنه تعددت ألوانها، وكثرة أنواعها، وصارت تزين بنقوش جميلة، وتصور عليها صور الإنسان أو الحيوان أو النبات.



أقدم رسوم معرفة قبل عهد الأسر (بها صور سفن وحيوان وصيادين وغير ذلك)

وبدأ المصريون في ذلك العصر يصنعون خرزات من الزجاج، وقد عثر الباحثون على حلى منها ذات لون أزرق.



نقوش بيضاء على أران من الفخار الأحمر

المسـاكـن:

ولقد امتدت يد التحسين إلى المساكن، فلم تعد كما كان الحال من قبل، أكواخًا من البوص، بيضية الشكل أو مستديرة، وإنما صارت مستطيلة الشكل من اللبن، وتفرش بالحصير، وتؤثث بأسرة من الخشب، ووسائد من القماش، أو الجلد المحشو بالقش، وبدلًا من الموقد الخارجي، حفرت مواقد داخل الأكواخ، يهيئون عليها طعامهم، وتدفئهم في الشتاء.

الديانة وعادات الدفن:

لم يصل العلماء بعد، إلى معرفة عقائد سكان ذلك العصر، معرفة كاملة، لأنهم لم يكونوا قد عرفوا الكتابة، فلم يدونوا ما يدل على معتقداتهم، ولكن يستدل مما عثر عليه في قبورهم، من جثث بعض الحيوان، مثل: ابن آوى والفئران والكباش والغزلان، على أنهم كانوا يعبدونها.

وتدل عنايتهم بوضع الطعام والشراب وغيرهما في القبور، على أنهم كانوا يعتقدون في حياة ثانية بعد الموت.

وقبور هذا العصر كانت كالمساكن، مستطيلة، مبنية من اللبن، وأضيفت إليها حجرات، توضع فيها القدور التي كانوا يملئونها بالقرابين، وكان لكل مقبرة سلم جانبي، يستخدم في الصعود والهبوط.

مدنية الدلتا والصعيد

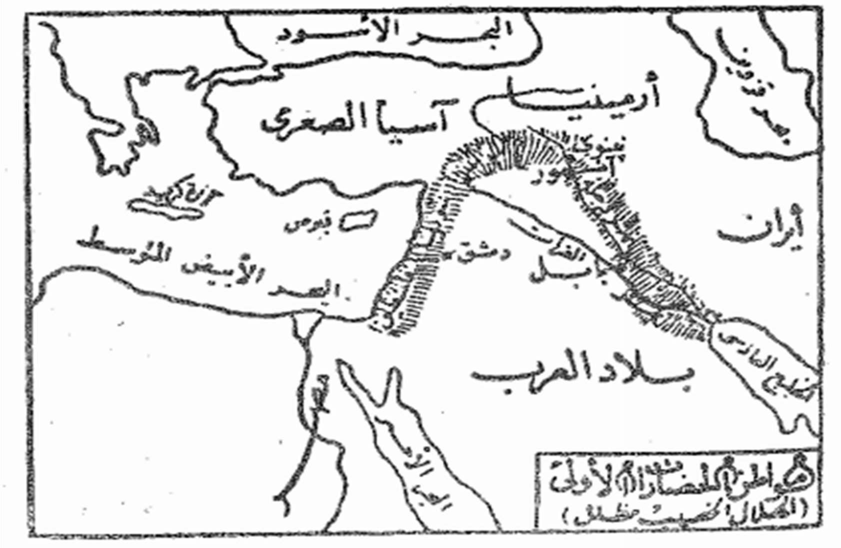
كان العلماء يعتقدون إلى عهد قريب، أن الوجه القبلي أسبق مدنية، وأعظم حضارة من الوجه البحري، لأن عنايتهم كانت متجهة دائمًا إلى الكشف عن حضارة مصر القديمة، بالتنقيب في أرض الوجه القبلي. ولكن بعض العلماء بدأوا حديثًا يبحثون وينقبون في جهات متفرقة من الدلتا، فكشفوا عن آلات وأدوات كثيرة، يرجع تاريخها إلى العصر الحجري الحديث، وبمقارنتها بمثيلاتها التي عثر عليها في الوجه القبلي، وجدوها أحسن شكلًا، وأجمل صقلًا، ومن تلك الأدوات أسنة الحراب والبلط.

وكذلك دل البحث على أن الدلتا قد سبقت الوجه القبلي في صناعة الفخار، بلونيه الأحمر والأسود، واستأنس أهلها الحيوان البري، وبخاصة الخنازير قبل أهل الصعيد. وثبت كذلك أن سكان الدلتا، كانوا أسبق في بناء مساكنهم

من اللبن، من سكان الوادي، كما كانت القرى التي أنشئوها أجمل تخطيطًا، وأحسن تنظيمًا، تتخللها شوارع فسيحة. ويستنتج من ذلك أن الدلتا كانت أقدم حضارة من الوجه القبلي.

والدلتا ما سبق ذكره، أرض منبسطة متسعة، كلها من الغرين، لا تقوم فيها جبال، كما أنها بعيدة عن الصحراء. فكانت هذه العوامل مشجعة على قيام الزراعة وانتشارها، وتقدم المدنية فيها. واتصال الدلتا بآسيا وشمال إفريقية، ساعد أهلها على الاختلاط بالأجانب، مما كان له أثر في سرعة تقدمهم.

أما الوجه القبلي، فهو بطبيعته واد طويل ضيق، محصور بين هضبتين قاحلتين، تمتد وراءهما صحراوان متسعتان، جعلتا الوادي وسكانه في عزلة عن بقية العالم، وحتى اتصالهم بالشمال كان ضئيلا، لبعد المسافة بينهما، وصعوبة المواصلات في تلك العصور.



الباب الثاني

الدولة القديمة

(٣٢٠٠ – ٢١٦٠ ق.م)

اتحاد مصر

كان المصريون الأقدمون، وهم يسكنون الهضاب، يعيشون في قبائل متفرقة، اتخذت كل منها حيوانًا أو نباتًا رمزًا لها، وإلهًا يحميها، ولما هبطوا إلى الوادي، وزرعوا الأرض، واستقروا حولها، أنشأوا قرى ومدنًا، لكل منها حاكم يحكمها، ورمز من حيوان أو نبات، يعبده سكانها.

ثم أخذت المدن والقرى، التي كانت تعبد إلهًا واحدًا، تندمج بعضها. في بعض، ونشأ من اندماجها مقاطعات واسعة، يحكم الواحدة منها حاكم مستقل، وبلغ عدد تلك المقاطعات اثنتين وعشرين في الوجه القبلي، وعشرين في الوجه البحري.

وبتعاقب الأزمان، كثر اتصال المصريين بعضهم ببعض، وعظمت الصلة بينهم، فأخذت تلك المقاطعات تتحد، وتندمج الواحدة في الأخرى، حتى نشأت في النهاية مملكتان عظيمتان، يحكم كلًا منهما ملك، وهما مملكة الشمال (الوجه البحري)، ومملكة الجنوب (الوجه القبلي).

فمملكة الشمال، كانت عاصمتها "بوتو" قرب دسوق، وقد اتخذ سكانها نبات البردي، الذي ينمو بكثرة في مستنقعاتها، رمزا لهم، وكان إلههم الذي يعبدونه هو "حور"، الذي يمثل في نظرهم النور المنبعث من نجوم السماء. أما الملوك فكانوا

يلبسون تاجًا أحمر، تحميه إلهة رمزوا لها بالثعبان. ويذكر لسكان الدلتا بالفخر، أنهم كانوا أول من عرف أن السنة ٣٦٥ يومًا، قسموها اثني عشر شهرًا، في كل شهر ثلاثون يومًا، والأيام الخمسة الباقية جعلوها أعيادًا بغير تاريخ.

أما مملكة الجنوب، فكانت عاصمتها مدينة "نخب"، على الضفة الغربية للنيل، قرب أدفو، وكان شعار سكانها "اللوتس"، والإله المعبود فيها هو "ست" منافس "حور"، وهو يمثل الظلمة والهلاك. وكان ملوكها يليسون تاجًا أبيض، تحميه آلهة، رمزوا لها بالنسر.

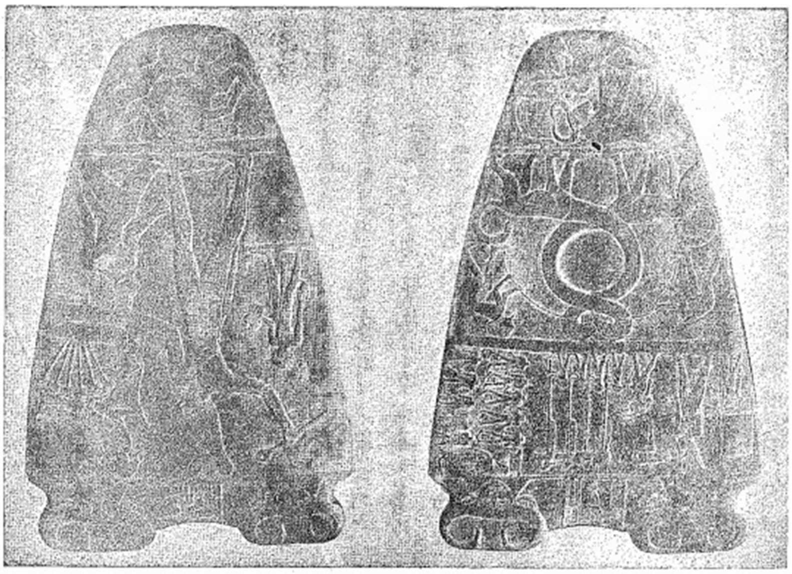
اتحاد المملكتين:

قامت محاولات في عصر ما قبل التاريخ، لتوحيد المملكتين، ولكنها لم تنمو، حتى تربع على عرش مملكة الجنوب، سنة ٣٢٠٠ ق.م، رجل عظيم، ومحارب ماهر، يدعى " مينا " أو " نارمر"، ويعد المؤرخون عهده، بدء العصر التاريخي، وفاتحة، قيام الأسرات، التي يبلغ عددها نحوًا من ثلاثين أسرة، مقسمة ثلاث دول: الدولة القديمة، والدولة الوسطى، والدولة الحديثة..

الأسرة الأولى

الملك مينا أو نارمر:

نشأ هذا الملك في مدينة "طيبة"، قرب العرابة المدفونة، بمديرية جرجا، وورث حكم الوجه القبلي عن آبائه، ثم عمل على توحيد البلاد، فضم الوجه البحري إلى الوجه القبلي، وأنشأ منهما مملكة واحدة كان هو أول ملوكها. ولا يعرف المؤرخون: إذا كان هذا الاتحاد قد تم بطريق الحزب وسفك الدماء، أو بطريق السلم، وإن كانوا يرجحون الرأي الثاني، إذ يقولون إنه ورث عرش الوجه البحري عن أمه.



لوح من حجر الأردواز أهداه نارمر إلى معبد مدينة نخن

حاضرة البلاد:

كان مؤرخو اليونان يعتقدون أن مينا، وقد نشأ في مدينة طيبة، اتخذها هو وخلفاؤه من ملوك الأسرتين الأولى والثانية، عاصمة لمصر، ولكن البحوث الحديثة، ترجح الاعتقاد بأن مقر الحكم في عصر هاتين الأسرتين، كان مدينة "نخب" التي مر ذكرها. أما طيبة فكانت المكان الذي اختاره ملولك الأسرتين، لبناء مدافنهم فيه، لأنها كانت كما رأينا مسقط رءوسهم.

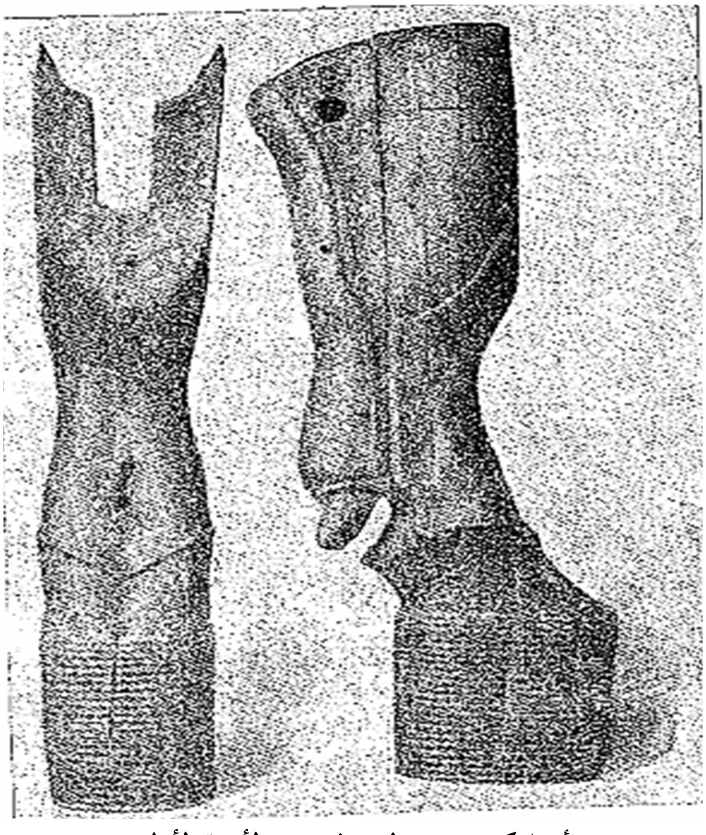
مدينة منف:

رأى مينا أن إدارة البلاد كلها من نخب، الواقعة في الجنوب الأقصى، أمر شاق وعسير، فاختار ما يقول بعض المؤرخين، مكانًا يتوسط الوجهين، وأقام سدًا ضخمًا، حول به مجرى النيل، ومنع طغيان الماء على ذلك المكان، فنشأت بذلك أرض جديدة، بني عليها مدينة، سميت في أول الأمر مدينة الجدار الأبيض، ثم

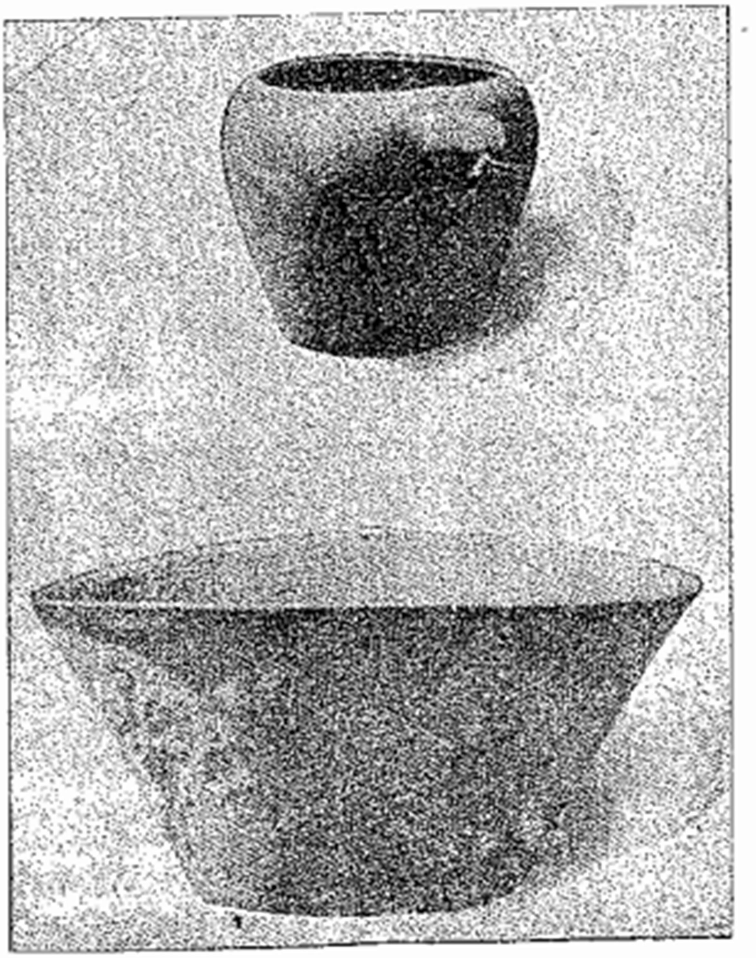
أطلق عليها فيما بعد اسم "منف"، ومكانها الآن البدرشين ومنية رهينة، وأتخذ منها مركزًا إداريًا، ووضع بها حامية كبيرة.

حروب مينا:

ولقد عمل مينا بعد أن أتم توحيد البلاد، على تأديب الليبيين، الذين كثيرًا ما غزوا غرب الدلتا، فحاربهم وهزمهم. وكذلك اتجه نحو بلاد النوبة، جنوبي مصر، وهرب سكانها، الذين كانوا يسيطرون على بعض جهات من مصر نفسها، فقهرهم، واستولى على جزء مما كان بأيديهم.



أرجل كراسي من العاج في عهد الأسرة الأولى



أوان نحاسية – في عهد الأسرة الأولى

وفاته:

وبعد أن حكم مينا مصر زمنًا طويلًا، وخلف، آثارًا كثيرة، مات ودفن في "أبيدوس" (العرابة المدفونة) قرب طيبة. ويعتبر مينا مؤسس أول أسرة ملكية حكمت مصر المتحدة، وقد عظم اسمه في أعين خلفائه، فعبدوه مئات من السنين..

خلفاء مينا:

تولى الحكم بعده ملولك أقوياء، قاموا بأعمال كثيرة جليلة، أولها وأهمها ضم الجزء الجنوبي من مصر، الذي كان لا يزال بأيدي النوبيين، فصارت حدود مصر الجنوبية تمتد حتى الشلال الأول.

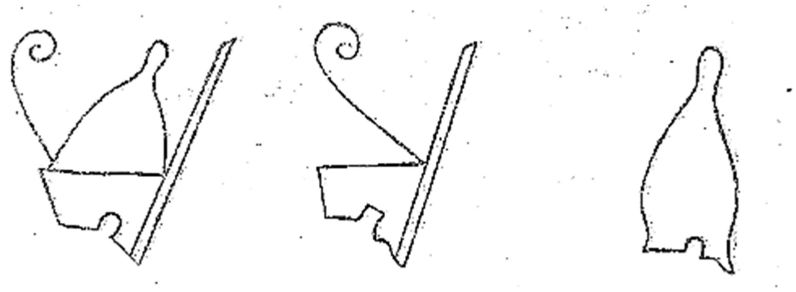
وكذلك أمن ملوك تلك الأسرة حدود مصر الغربية، بعد أن ضربوا على أبدى الليبيين، الذين كانوا يكثرون من الأغارات على الدلتا. وأوفد أحدهم بعثة لاستخراج المعادن من شبه جزيرة سيناء، فلما اعتدى البدو الساكنون في تلك الجهات على رجاله، خرج إليهم في حملة وأدبهم.



تمثال من العاج لأحد الملوك من أبيدوس

الأسرة الثانية

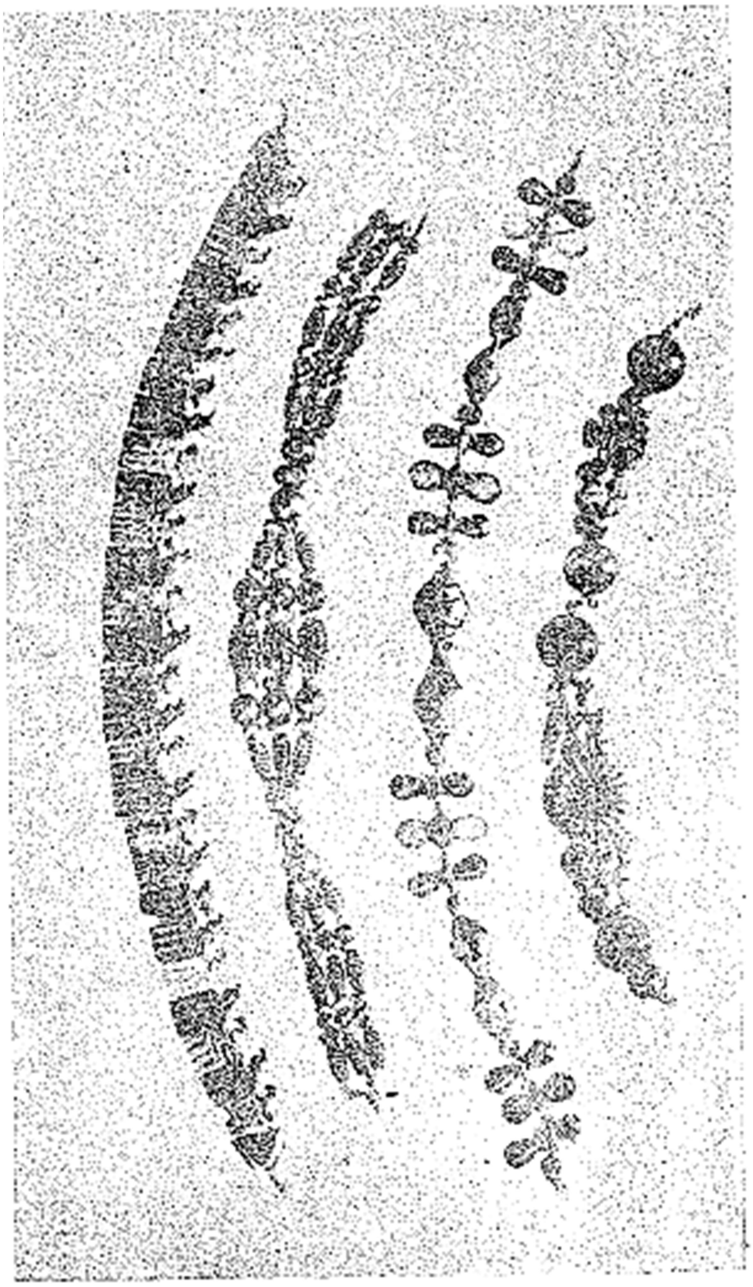
وملوك هذه الأسرة، كملوك الأسرة الأولى، أصلهم من طيبة، وفي عهدهم تم التوحيد الحقيقي لمملكتي الشمال والجنوب، لأن اتحادهما في عصر الأسرة الأولى، كان ظاهريًا، إذ كانت كل منهما منفصلة في الإدارة، كما كان الملوك يظهرون في الحفلات العامة والأعياد، لابسين تاج الوجه القبلي الأبيض مرة، وتاج الوجه البحري الأحمر مرة أخرى، وكانوا يلبسون أحيانًا تاجًا يجمع



تاج الوجه القبلي الأبيض   تاج الوجه البحري الأحمر   تاج الوجهين

بين الاثنين. وكثيرًا ما قام أهل الدلتا بثورات، أريقت فيها الدماء، وغبة في الانفصال والاستقلال، وظلت الحال هكذا طوال عهد الأسرة الأولى، وجزء من عهد الأسرة الثانية، ثم استطاع ملوك هذه الأسرة أن يخضعوا أهل الشمال، ويخمدوا ثوراتهم، فاتحدت المملكتان اتحادًا نهائيًا. وقد ساعد على تقوية هذا الاتحاد وتثبيته، ما لجأ إليه الملوك من التزوج من أميرات الشمال.

فسارت المملكة في مجموعها في طريق التقدم، وحفرت الترع، وتقدم فن الهندسة المعمارية، كما يظهر من مقابر هاتين الأسرتين وراجت التجارة واتسع نطاقها، فوصلت إلى سيناء، ومنها إلى بلاد العرب والبلاد المجاورة لها.



أساور أحد ملوك الأسرة الثانية

عصر بناة الأهرام (٢٩٨٠ - ٢٤٧٥ ق.م)

بدأ هذا العصر الهام من عصور تاريخ مصر القديمة، بقيام الأسرة الثالثة، وينتهي بانتهاء الأسرة السادسة، وقد أطلق هذا الاسم عليه، لكثرة ما شيده ملوك تلك الأسر من الأهرام، التي لاتزال باقية إلى اليوم، شاهدة بما بلغه ملوك ذلك الزمان من قوة، وما كانت عليه الحكومة من قدرة ومهارة، وما وصل إليه الشعب من مدنية وحضارة. على أن بناء الأهرام لم يقف تمامًا بسقوط الأسرة السادسة؛ بل إنه استمر بدرجة أقل، حتى نهاية الأسرة الثانية عشرة.

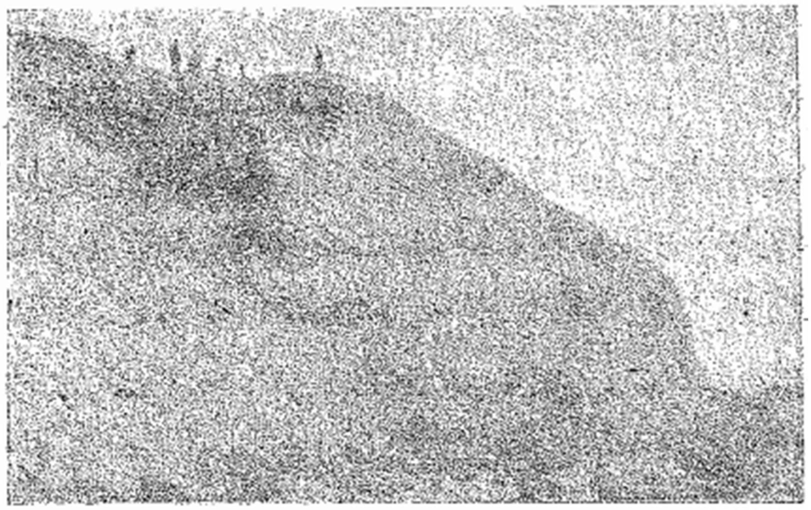
كيف وصل المصريون إلى بناء الأهرام

رأينا كيف كان المصريون، في عصر ما قبل التاريخ، يدفنون موتاهم في حفر في الأرض، يغطونها بالأشجار، ويهيلون عليها الرمال والحصى، ثم رأينا هذه الحفر البسيطة تتدرج فتصير حجرات مستطيلة الشكل، تبنى من اللبن، وقد رصف بعضها بالجرانيت، كما بنى البعض الآخر من الحجر الجيري.

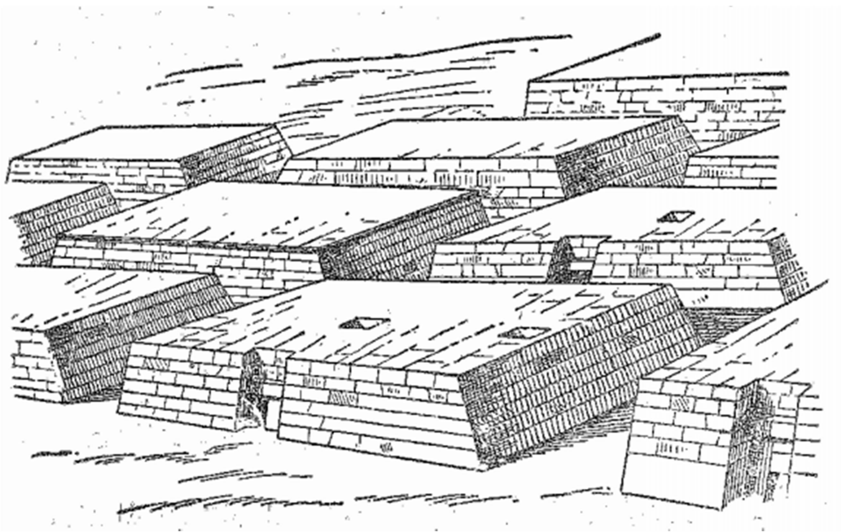
المصطبة:

تدرج بعد ذلك بناء المقابر، فشيد الملك "زوسر"، مؤسس الأسرة الثالثة، قبرًا من الطوب، ببيت خلاف قرب أبيدوس، على هيئة مصطبة كبيرة، وقد أطلق عليها هذا الاسم، لأنها تشبه كثيرًا المصاطب التي يقيمها الفلاحون، في الوقت الحاضر، أمام منازلهم.

وكانت المصطبة تقام على حجرة منحوتة في الصخر، تحت الأرض، يوضع فيها تابوت الميت، ويوصل إليها من الباب سرداب عميق. ويحوي بناء المصطبة في الغالب حجرة صغيرة أخرى، تقدم فيها القرابين، كما تودع بها تماثيل الميت.



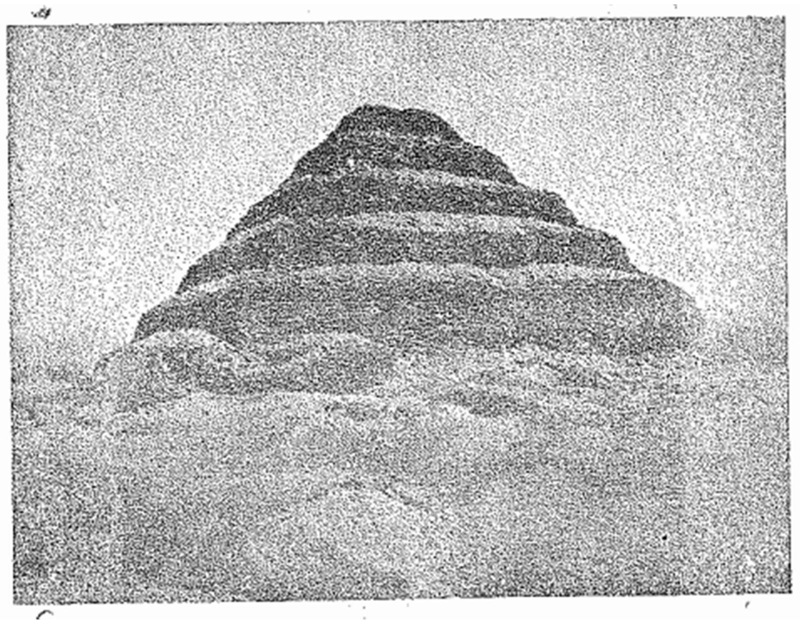
مصطبة زوسر ببيت خلاف



عدة مصاطب كاملة البناء

الهرم المدرج:

ثم بنى زوسر بجهة سقارة، على حافة الصحراء الغربية، قبرًا آخر من الحجر، من ست مصاطب، أولاها، وهي التي فوق الأرض مباشرة، أكبر حجمًا، ويبلغ طول قاعدتها ١٩٠ قدمًا، والمصاطب الخمس الأخرى يتناقص حجمها تدريجًا، كلما اتجهت نحو القمة، وبذلك ظهر القبر على شكل هرم مدرج، وهو أول بناء حجري ضخم في التاريخ.



الهرم المدرج بسقارة

الهرم الكامل:

ولم يقف المصريون عند هذا الحد في بناء مقابرهم، بل أخذوا يدخلون التحسينات على الهرم المدرج، بطلاء سطحه بطبقة ملساء، لإخفاء تدرج الصخور، فنشأ بذلك ما يعرف بالهرم الكامل.

الأسرة الثالثة

انتقال مقر الحكم الى منف:

ظل ملوك الأسرتين الأولى والثانية يحكمون البلاد من مدينة نخب، نحو ٤٠٠ سنة، وفي خلال هذه السنين الطويلة، أخذت أهميتها تتضاءل، وبدأت مدينة الجدار الأبيض "منف" تعظم وتظهر، لتوسط مركزها بين الوجهين، حتى صارت عاصمة البلاد، ومقر الملك، عندما ولى الحكم "زوسر" مؤسس الأسرة الثالثة.



تمثال زوسر

زوسر:

وقد تابع هذا الملك سياسة من سبقه من الملوك، باستخراج النحاس من سيناء، كما بسط سيطرته على النوبيين في الجنوب، حتى وصلت الحدود المصرية إلى ما بعد الشلال الأول.

ويعزى نجاح زوسر في سياسته إلى وزيره الحكيم "إمحتب"، وكان بارعًا في الدين والسحر وضرب الأمثال، والطب، والهندسة. ولقد بلغ من شدة تعلق المصرين به، وحسن تقديرهم له، أن رفعوه بعد موته بمئات السنين، إلى مرتبة الآلهة، وسموه "إله الطب". وكان إمحتب هذا هو المهندس البارع، الذي. أشرف على بناء مصطبة زوسر الأولى ببيت خلاف، وهرمه المدرج في سقارة.

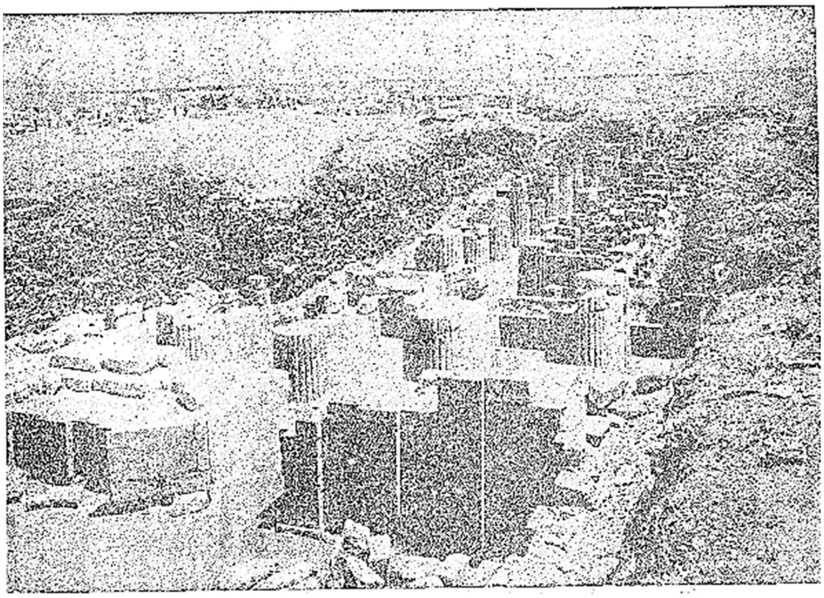
حفائر سقارة:

وقد قامت مصلحة الآثار في السنوات الأخيرة، بأعمال الحفر والتنقيب حول الهرم المدرج في سقارة، فكشفت في سنة **١٩٣٦** عن أبنية، ترجع إلى **٥٠٠٠**سنة، شيدت لإقامة الشعائر الجنائزية للملك زوسر. وهي مقامة على مساحية تبلغ أربعين فدانًا، ومحوطة بسور من الحجر، على شكل أبراج، يزيد ارتفاعه على عشرة أمتار.

وهذه الآثار التي كشفت، لها أهميتها في عالم الفن والحضارة، وذلك لأنها تمثل أعمدة مختلفة الطراز، بعضها مضلع، والبعض الآخر ذو زخرف بارز أو مجوف.

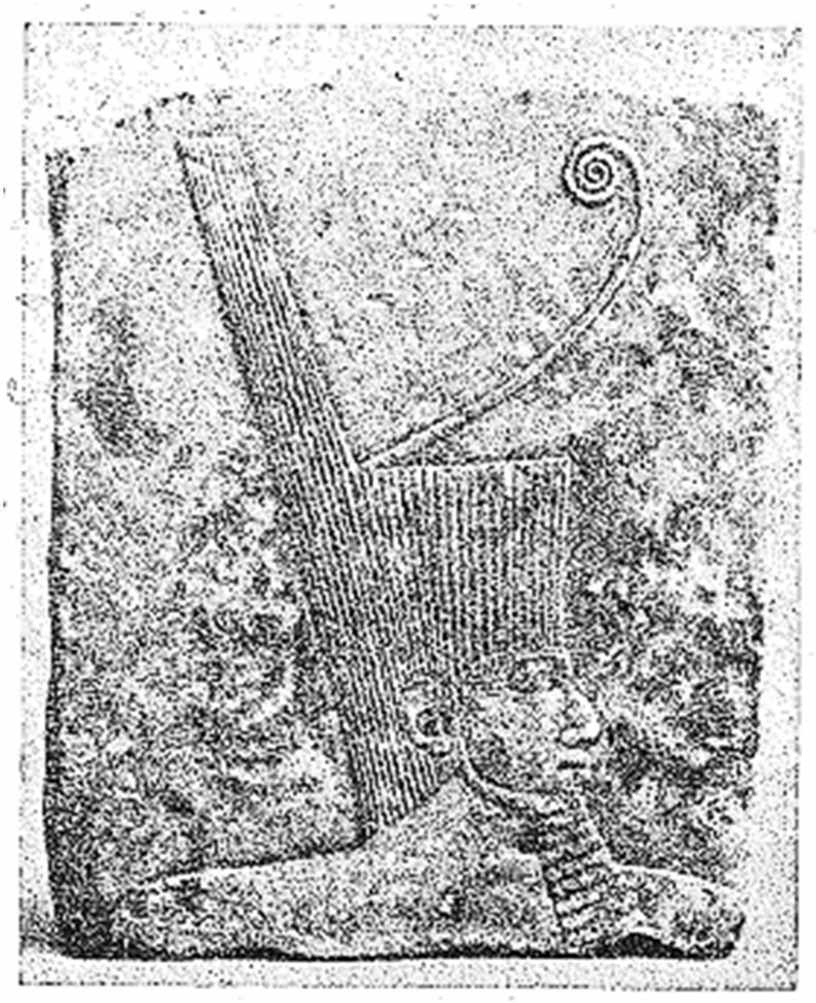
خلفاء زوسر:

وتولى الملك بعد زوسر ملوك عدة، تاريخهم غامض، فلا نعرف إلا القليل من أخبارهم. ومن أهم آثارهم التي خلفوها، هرم بجهة دهشور وسط بين الهرم المدرج، والهرم الكامل.



بقايا الأعمدة في معبد هرم زوسر المدرج

ويمكن القول، إن مصر في عهد الأسرة الثالثة، كانت على درجة كبيرة من الرخاء والثروة، وآية ذلك ما قام به الأشراف وكبار الموظفين، من إنشاء مقابرهم على شكل مصاطب من الحجر الجيري، حول قبر الملك، بعد أن كانوا يبنونها من اللبن في أبيدوس وما يجاوره.



تمثال ملك من الأسرة الثالثة لابسًا التاج الأحمر

الأسـرة الـرابعـة

ورث الملك عن آخر ملوك الأسرة الثالثة صهره "سنفرو"، مؤسس الأسرة الرابعة، التي يعد عصرها من أزهى عصور مصر القديمة.

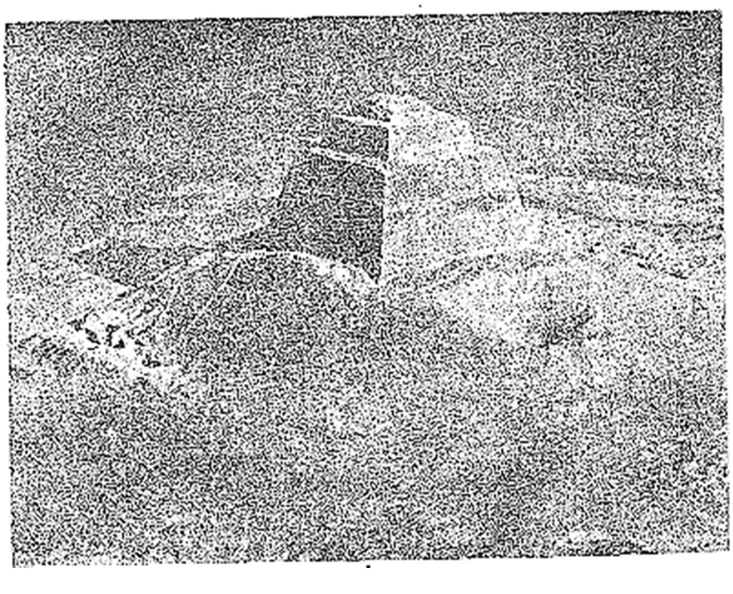
وقد اشتهر "سفرو" بالقوة وبعد النظر، لما قام به من ضروب الإصلاح في

الداخل، وجليل الأعمال في الخارج. ومن أهم ما يؤثر عنه، أنه بنى سفنًا كثيرة، تجرى في النيل، استخدمها موظفو الحكومة في الانتقال من مكان إلى مكان للإشراف على إدارة الأقاليم، كما استخدمت في نقل البضائع، وتيسير الانتقال بين مختلف الجهات.

وأرسل أسطولًا بحريًا، من أربعين سفينة، إلى فينيقيا على ساحل الشام، لجلب خشب الأرز من جبال لبنان، ويعد عمله هذا أول عمل بحري هام في التاريخ.

وتابع إرسال البعوث إلى سيناء، لاستخراج النحاس، وأخمد ثورة البدو، ووطد سلطان مصر في تلك الجهات. ولم ينس حدود مصر الجنوبية، فغزا شمال النوبة، وعاد منها بأسرى وغنائم كثيرة من الماشية.

وشيد "سنفرو" لنفسه هر مين، أحدهما بجهة ميدوم، بين منف والفيوم، وهو على نمط الهرم المدرج، ويسميه الناس الهرم الكاذب، لعدم انتظام شكله.



هرم سنفرو بميدروم

خـوفـو:

ولما مات "سنفرو" خلفه ابنه "خوفو"، باني هرم الجيزة الأكبر، ذلك البناء الذي تدل ضخامته ومتانته، على ما كانت عليه حكومة ذلك الزمان، من قوة جبارة، وإدارة حازمة، وما وصل إليه في البناء والهندسة وقتئذ من تقدم وارتقاء.

خوفو

الهـرم الأكـبر:

ويقع الهرم الأكبر على الهضبة الغربية، تجاه الجيزة، وقد رأى خوفو اختيار ذلك المكان، لأنه مرتفع، فيشرف الهرم منه على الوادي، ولأن المنطقة في تلك الجهة متسعة، ويكثر بها الحجر الجيري المتين، الذي يصلح للبناء.

وتبلغ مساحة قاعدة الهرم ١٣ فدانًا، وكان ارتفاعه في أول الأمر ١٤٦ مترًا، ثم تحطم جزء من قمته، فصار الآن ١٣٧ مترًا[١].

وكان العمل في بناء الأهرام، يجري في أوقات الفيضان، حيث تكون الأرض مغمورة بالمياه، والفلاحون بغير عمل. ويقول بعض المؤرخين، إن بناء الأهرام

---

(١) ويقدر عدد الأحجار التي استخدمت في بنائه بمليونين وثلاثمائة ألف حجر، يزن الواحد منها طنين ونصف طن.

وكانت الفكرة السائدة أن هذه الأحجار الضخمة، قطعت من محاجر طرة، على الضفة الشرقية للنيل، ولكن أعمال البحث والتنقيب الحديثة في منطقة الأهرام، دلت على أن أحجار البناء قد قطعت كلها من محاجر تقع إلى جوار الهرم، وكانت هذه الأحجار بعد قطعها، تحمل إلى حيث يبنى الهرم، على زحافات تجري على أحجار مستديرة، ثم ترفع (بالبكر) من أسفل إلى أعلى، ويدل استعمال المصريين لهذه الطريقة، على ما وصلوا إليه من دقة ومهارة فن البناء.

وبعد أن تتم بناء الهرم، كسى بأحجار بيضاء ملساء،من محاجر طرة، ولكن هذه الكسوة قد أزيلت عن الهرم في بعض العصور، وأصبحت الأحجار عارية، يتسابق الناس في تسلقها للوصول إلى قمة الهرم.

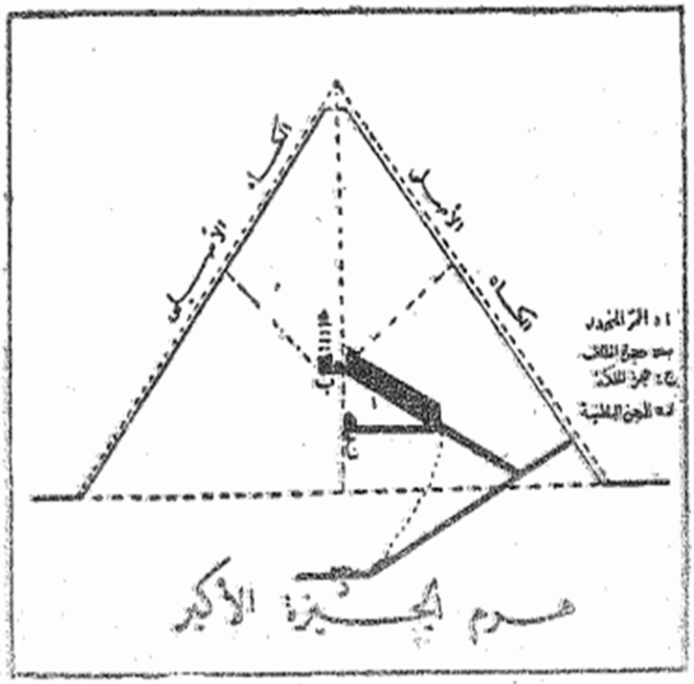
استغرق عشرين عامًا، وقد سخر في بنائه مائة ألف من الفلاحين، كان يستبدل غرهم هم كل عام.

مدخل الهرم وسراديبه:

ولما كان الغرض من بناء الأهرام، إيجاد مكان حصين خفي، يوضع فيه تابوت الملك بعد مماته، فقد صنعت فيه سراديب خفية ضيقة، وسقفها منخفض، ليتعذر الوصول إلى المخدع، الذي به التابوت:

ومن أجل ذلك أيضًا سد مدخل الهرم بحجر هائل متحرك، لا يعرف سر تحريكه إلا الكهنة والحرس، وهو يقع في الجهة الشمالية من الهرم، على ارتفاع نحو ٤٩ قدمًا من الأرض. أما المدخل الحالي للهرم، فهو عبارة عن فتحة، أحدثها لصوص المقابر في زمن المصريين القدماء.

ورغم ما بذل من جهد ومال، في إنشاء هذا الهرم العظيم، ليكون دارًا أبدية. للملك خوفو، فإن جثته ما لبثت أن نزعت من حصتها الحصين، ولا يوجد بالهرم اليوم، سوي تابوت، فارغ مشوه من الجرانيت، خلو من النقوش والرسوم.



المعبد الجنائزي:

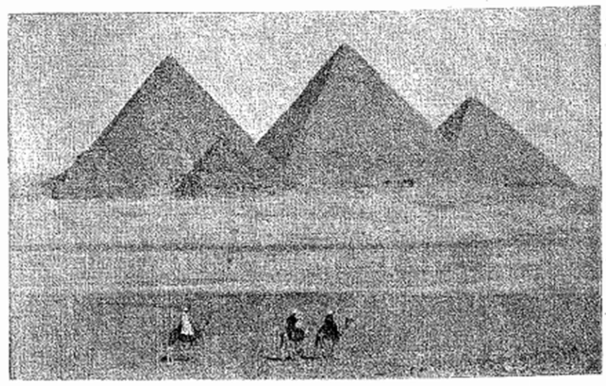
وفي الجهة الشرقية من الهرم، بني معبد، يقيم فيه الكهنة الصلوات للملك خوفو، ويتردد عليه أقاربه؛ وعلى مسافة منه في أسفل الوادي، بني معبد آخر يعرف بمعبد الوادي، يزوره الناس من مختلف الطبقات، ويصل المعبدين بعضهما ببعض، طريق مرصوف من الحجر. وقد تراكمت الرمال في العصور المتعاقبة على المعبدين والطريق، فكادت تخفي معالمها، ولكن أعمال البحث الحديثة بمنطقة، الأهرام، أدت إلى إزالة بعض الرمال، ومعرفة الكثير مما عليها من نقوش.

ولا شك أن طول مدة حكم خوفو، وعظم ثروة البلاد في هذا العهد، وكثرة الأيدي المتعطلة في مدة الفيضان، ساعدته على بناء هرمه العظيم، الذي لا يزال

الناس ينظرون إليه كأعجوبة هندسية، شيدت في زمن، لم يكن يستعمل فيه من الآلات، سوى قوة الإنسان البدنية.

بقية أعمال خوفو:

قام خوفو، إلى جانب بناء هذا الهرم الكبير، بأعمال هامة أخرى، إذ تابع استخراج المعادن من سيناء، وهاجم البدو فيها لحماية رجاله، واستخرج المرمر من الصحراء الشرقية، وبسط نفوذه على النوبيين.



أهرام الجيزة

خفرع:

وبعد خوفو تولى عرش مصر ابنه "خفرع" وكلمة "رع" التي تقترن باسم الملك، تشير إلى إله الشمس، الذي كان أقوى الآلهة في ذلك العهد، وكانت مدينة "عين شمس" مركز عبادته.



خفرع

الهرم الثاني:

رأى خفرع أن يقلد أباه، فبنى هرمًا آخر، بجوار الهرم الأكبر، وهو وأنت كان أقل منه حجمًا، إلا أنه يبدو أجمل شكلًا، إذ ما يزال جزؤه الأعلى مغطى

بالكسوة البيضاء، التي جيء بها من محاجر عطرة، وقاعدته محلاة بالجرانيت الأحمر المحبب.. ولهذا الهرم، كما للهرم الأكبر به معبدان: معبد جنائزي، ومعبد الوادي؛ ويصل المعبدين طريق طوله ٦٠٠ متر، وقد عثر حديثًا على تمثالين لخفرع، بمعبد الوادي تتجلى في صنعهما المهارة والدقة.

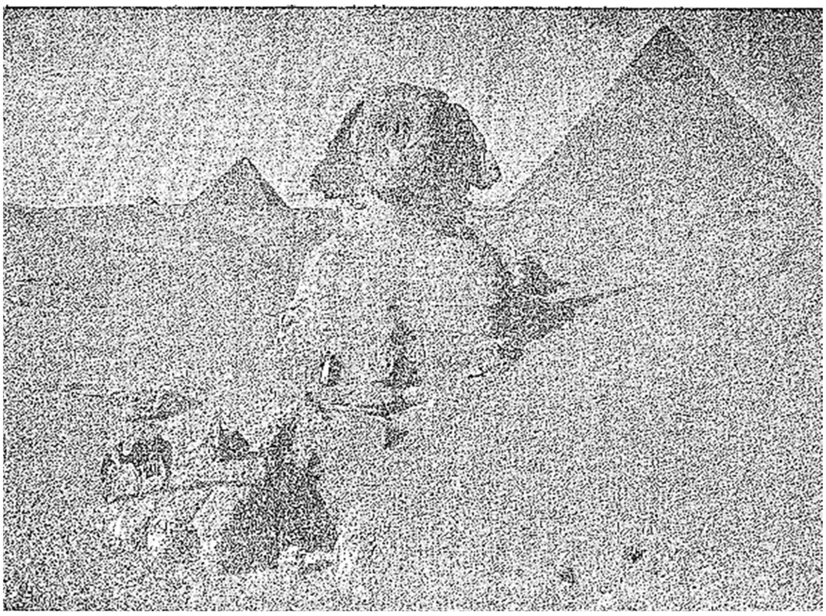
ويقال إن عهد خفرع كان مليئًا بالخلافات، ولذلك لم يترك آثارًا تذكر غير هرمه.

أبو الهول:

يوجد إلى جانب معبد الوادي الذي بناه خفرع، تمثال ضخم، ورأسه رأس إنسان، وجسمه جسم أسد، نحت في قطعة واحدة من الحجر الجيري المحلى، ويبلغ طوله ٤٦ مترًا = وارتفاعه ٣١مترًا، وهو "أبو الهول" الشهير.

ويختلف العلماء والباحثون، في تحديد التاريخ الذي أقيم فيه هذا التمثال العظيم، فيذكر البعض، أنه نحت في عصر ما قبل التاريخ، ويذكر الآخرون أنه نحت في عهد خوفو، ولكن الأرجح أنه أنشئ في عهد الملك خفرع.

ويختلف الباحثون كذلك في الغرض من إقامة هذا التمثال: فمنهم من يعتقد أنه يمثل الملك خفرع، لأن رأس التمثال يشبه رأسه، ويرجح البعض الآخر أنه وإن كان على شكل خفرع، إلا أنه يمثل إله الشمس وقت الغروب، ويستدل على ذلك مما عثر عليه من نقوش ولوحات، خلفها الملوك المتعاقبون، الذين



أبو الهول قبل إزالة الرمال عنه

زاروا التمثال، وتشير تلك النقوش إلى ما كان يشعر به أولئك الملوك، من حب وولاء واحترام نحو ذلك الإله. وقد قام الباحثون أخيرًا بإزالة الرمال، التي كانت تغمر تمثال أبي الهول، وكشفوا معبدًا خاصًا له، كانت تقام فيه الصلوات لعبادته.

منقرع:

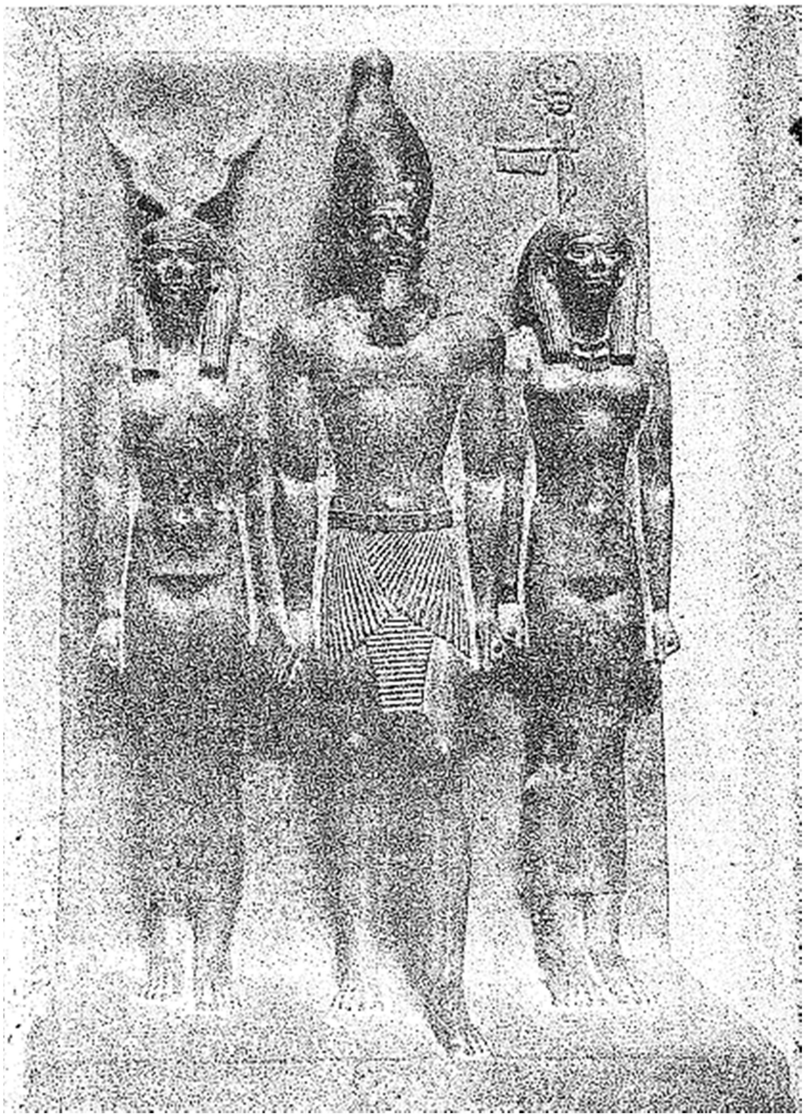
تولى حكم مصر بعد خفرع، ابنه "منقرع"، وكان تقيًا حكيمًا، فأحبه المصريون. ولقد بنى الهرم الثالث، الذي يختلف عن الهرمين الأولين، في أن كسوته من حجر الجرانيت، ولكن هذه الكسوة لم تكمل، لأن الملك مات فجأة. ولهذا الهرم، كما لغيره، معبدان، جنائزي مكسو بالجرانيت، ومعبد الوادي. وقد أدرك الموت منقرع قبل إتمامه، فأتمه خلفاؤه من اللبن، وقد عثر الباحثون على بقايا

تابوت خشبي، في حجرة الدفن في الهرم، كما عثروا في معبد الوادي على تمثال واحد للملك وزوجه، وأدوات وآنية فنية، على جانب عظيم من الجودة والإتقان.

ويدل صغر هرم منقرع عن هرمي أبيه وجده، على أن الملك لم تعد له القوة التي كانت لسلفيه، وذلك بسبب منافسة كهنة رع وزيادة نفوذهم.

الهرم الرابع:

وكشفت أعمال الحفر الحديثة، في منطقة أهرام الجيزة، عن هرم جديد، هو الهرم الرابع، بنته الملكة "خنت كاوس" ابنة منقرع، على قاعدة مربعة من الحجر الجيري المحلي، طولها **٤٥** مترًا، وفوقها بناء على شكل تابوت، كسي بالحجر الجيري الأبيض الأملس من طرة، وارتفاع الهرم كله **٣٥** مترًا.

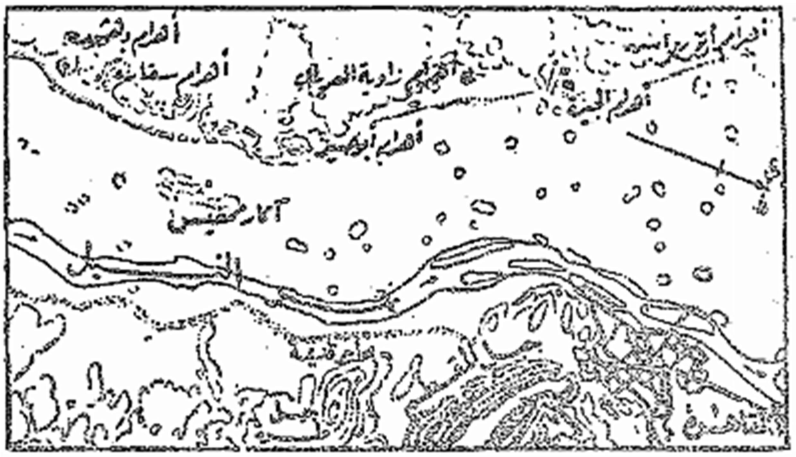


منقرع بين إلهين

ومعبده الجنائزي كسي بالجرانيت، ونقشت على جدرانه المناظر الدينية والقرابين، أما معبد الوادي، فيقع إلى جوار معبد أبيها.



الهرم الرابع في الوسط، وعلى جانبيه هرما خوفو وخفرع



موقع مدينة ممفيس (منف) وأشهر الأهرام المصرية القديمة

الغرض من بناء الأهرام

درج المصريون، في عصر ما قبل التاريخ، وقبل قيام الأسر الملكية، على أن يضعوا إلى جوار الميت في قبره، طعامًا وشرابًا وآنية وأدوات، مما كان يستخدمه الميت في حياته. وقد فعل المصريون ذلك، اعتقادًا منهم أن الإنسان الفاضل، الذي حسنت سيرته في الدنيا، سيحيى بعد موته حياة أخرى،

في مكان آخر، غير المكان الذي قضى فيه حياته الأولى، ولقد تخيلوا أن هذا المكان يقع في الغرب، ولهذا نرى معظم قبورهم وأجسامهم مقامة على حافة الصحراء الغربية.

وكان المصريون يعتقدون أن جسم الإنسان، تحركه قوة حيوية خفية، تحيا معه، وتسكن وإياه القبر بعد موته، فإن فارقته لسبب من الأسباب، يموت الإنسان موتًا أبديًا. وقد سموا تلك القوة "كا" أي القرين، ورموزا له بذراعين مرفوعتين إلى أعلى، واعتقدوا أيضًا أن لكل إنسان روحًا "با"، تخيلوها على شكل طائر، بين الأشجار، أو زهرة أو ثعبان، أو تمساح، وتصعد هده الروح إلى السماء، بعد موت صاحبها.

ولكي يحيا الإنسان حياته الأخرى، رأوا من الضروري أن يبقى الحسم سليمًا حتى تحل فيه "المكا"، فاخترعوا فن التحنيط، الذي يبقي على الجثة، ويحفظها من التحلل، وأقاموا لملوكهم الأهرام، لتكون مقار حصينة، تحفظ الجثة من اللصوص، وفي داخل تلك الأهرام، كانوا يبنون حجرات، توضع في إحداها جثة الميت، تبدأ أن يفتحوا فمه وأذنيه، كي يستطيع أن يتكلم ويسمع في الحياة الآخرة، وكانوا ينقشون على جدران تلك الحجرة، المناظر، التي اعتاد الميت أن يراها في حياته، ليذهبوا عنه الوحشة، وليدخلوا عليه السرور في حياته الأخرى، ويضعون إلى جانب الجثة، الطعام والشراب وأدوات الزينة، وبعض التعاويذ، التي تحمي الميت من أعدائه، وبخاصة الثعابين.

وإلى جانب حجرة الميتة، كانوا يبنون حجرة أخرى صغيرة، يصلها بالأولى سرداب، ويضعون فيها تمثالًا يشبه الميت تمام الشبه، تحل فيه "المكا"، وعن طريق السرداب السالف الذكر إلى حجرة الميت، لتناول الطعام والشراب وقد اعتقد المصريون كذلك، أن هذا التمثال ضروري لمواصلة الحياة الثانية، إذ تستعيض به

"المكا" عن الجثة الأصلية، إذا ما سرقت أو بليت.

خاتمة الأسرة الرابعة:

تدل الأهرام التي بناها ملوك تلك الأسرة، على ما كان لهم من قوة ونفوذ، وما كانت عليه الحكومة من تنظيم ودقة، وما وصلت إليه مصر من تقدم في فن البناء والهندسة.

على أن قوة أولئك الملوك لم تكن على درجة واحدة، إذ تدل آثارهم على أن خوفو كان أقواهم نفوذًا وأعظمهم سلطانًا، ثم أخذ هذا النفوذ يتناقص، في عهد خلفائه، بسبب ما شجر بين الأبناء من خلاف على تولي العرش من جهة، وزيادة نفوذ كهنة عين شمس من جهة أخرى.

فلما تولت حكم مصر الملكة "خنت كاوس"، تزوجت – كما يقول بعض المؤرخين – من أحد أولئك الكهنة، وأنجبت منه "أوسر كاف"، الذي تولى العرش بعدها، وأسس الأسرة الخامسة.

الأسرة الخامسة

أخذت عبادة الإله رع تنتشر في عهد الأسرة الرابعة، حتى عمت البلاد كلها، وأضاف بعض ملوك تلك الأسرة، اسمه إلى أسمائهم، كما يتبين من اسمي "خفرع" و "منقرع". ولما كانت مدينة عين شمس، هي المدينة التي انبعثت منها عبادة "رع"، فقد قوي تبعًا لذلك، نفوذ كهنتها، وأخذوا يقاسمون الملوك القوة والسلطان.

وكان قيام الأسرة الخامسة، انتصارًا جديدًا لكهنة "رع"، إذ كان أوسر كاف، مؤسس هذه الأسرة، أحد أولئك الكهنة، كما يرجح المؤرخون، واعتبر نفسه ابنًا لرع، وكذلك فعل خلفاؤه من ملوك تلك الأسرة.

معابد الشمس:

أخذ ملوك الأسرة الخامسة، يقيمون أهرامهم به قرب سقارة، بجهة أبي صير، ويبنون إلى جوارها معابد، تسمى "معابد الشمس"؛ لأن الشمس كانت تعبد فيها، ونقشت على جدرانها زوارق، يمثل أحدها الشمس في رحلتها النهارية،



ويمثلها الآخر في رحلتها الليلية، ولهذه المعابر أعمدة من الجرانيت الوردي، ذات تيجان مزينة بنبات البردي، وزهرة اللوتس؛ وقد أخذ المصريون في العصور التالية، يقيمون أعمدتهم على هذا الطراز. وكان يقوم على حراسة تلك المعابد، نفر من الكهنة، يوقف عليهم الملوك كثيرًا من الأوقاف، ويجزلون لهم العطاء.

أما أهرام هذه الأسرة، فكانت أصغر حجمًا من أهرام الأسرة الرابعة، إذ أن الملوك، وهم أبناء رع، لا يهتمون كثيرًا ببناء الأهرام، بل يوجهون عنايتهم، ويبذلون جهدهم، لإرضاء ذلك الإله، بإقامة المعابد الكثيرة، كي يُعبد ويذكر اسمه فيها.

على أن هذه الأهرام، رغم صغرها، وقلة خامتها، كانت أبدع من سابقتها نقشًا، وأجمل زينة، وأشهرها هرم "أوناس" بسقارة.

وراثة الوظائف الرئيسية:

في عهد الأسرة الرابعة، كان الابن الأكبر للملك وزيرًا، وقائد الجيش، وكبيرًا للقضاة، في المملكة. ولكن في عهد الأسرة الخامسة، انتقلت تلك المناصب إلى أسرة تعرف باسم "بتاح حتب"، وأصبحت وراثية فيها. وكذلك قويت سلطة حكام الأقاليم، وصار أبناؤهم يرثون وظائفهم من بعدهم، وإن بقوا على الولاء للملك.

ملوك الأسرة الخامسة:

أول ملوك هذه الأسرة "أوسر كاف"، ويقال إنه كان الكاهن الأكبر في عين شمس، قبل أن يرث العرش عن أمه، وقد سعى لتثبيت مركز أسرته، وأرسل الحملات جنوبًا حتى الشلال الأول، ونقش اسمه على صخوره.

وقام خلفاؤه بأعمال كثيرة، منها إرسال بعوث بحرية إلى فينيقيا، عادت بأسرى وغنائم من الفينيقيين، وبعوث أخرى إلى بلاد بنت في (الصومالي)،

أحضرت لمصر الصموغ العطرة والبخور وغيرها من البضائع النفيسة، وكذلك فتحوا محاجر وادي الحمامات، التي تقع تقريبًا في منتصف المسافة بين النيل والبحر الأحمر.

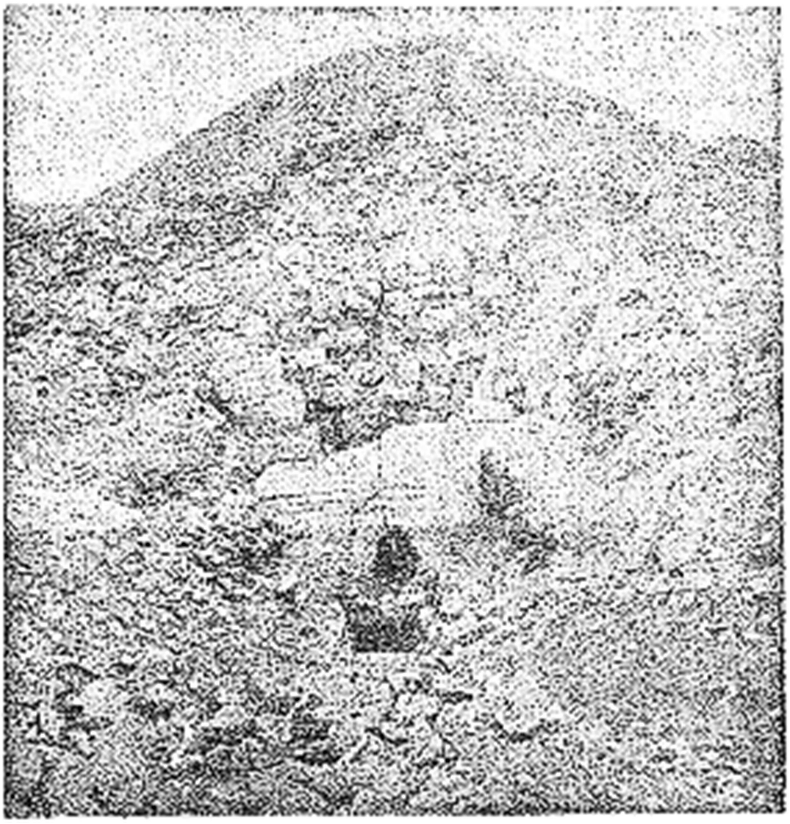
وآخر ملوك هذه الأسرة هو " أوناس"، الذي حكم البلاد زهاء ثلاثين عامًا، نشط خلالها في إرسال الحملات نحو الجنوب، ونقش اسمه على الشلال الأول



أحد مجاري الشلال الأول

مشفوعًا بلقب (سيد البلاد)، وبنى بجهة سقارة هرمًا، كسيت جدرانه كلها بنقوش، أطلق عليها العلماء "نصوص الأهرام". وهذه النقوش عبارة عن تعاويذ وصلوات دينية، اعتقد المصريون أنها تحفظ الميت في حياته الأخرى.

ولقد أفادت نصوص الأهرام العلماء، في معرفة الشيء الكثير عن ديانة المصريين القدماء، وعقائدهم.



بقايا هرم أوناس بسقارة

الأسرة السادسة

لما توفي أوناس، آخر ملوك الأسرة الخامسة، قامت أسرة جديدة هي السادسة، لا يعرف المؤرخون تمام المعرفة، إذا كانت قد نالت الحكم قوة واقتدارًا، أو أنه آل إليها بطريق السلم.

الإله فتاح:

وفي عهد الأسرة السادسة، أخذت عبادة "رع" تتضاءل، وحلت محلها عبادة "فتاح"، وهو آله المقاطعة المحيطة بمنف؛ وكان سكانها يعتقدون أن "فتاح" خالق

كل شيء، ويعلم جميع الأشياء، ما خفي منها وما ظهر. وقد أخذ نفوذ كهنة ذلك الإله يشتد ويقوى، حتى تمتع رئيسهم بنفوذ كبير.

ملوك الأسرة السادسة:

وأول ملوك هذه الأسرة، هو الملك "تيتي"، وقد استمر يحكم مصر، من مدينة منف، كما كان الحال من قبل. وظهر في عهده رجل عظيم يدعى "أوني"، عاش سنين طويلة، وخدم ملوكًا عدة، وكان في أول أمره مديرًا للزراعة وضياع الملك، ثم ارتقت به كفايته حتى صار أميرًا وحاكمًا الجنوب (الوجه القبلي)، ونائبًا للملك في "نخب".

بيبي الأول:

خلف تيتي ملوك ضعاف، حكموا مددًا قصيرة، كانت مليئة بثورات الجند، فلم يتركوا آثارًا تذكر. ثم أعتلى العرش ملك قوي يدعى "بيبي الأول"، حكم البلاد زهاء خمسين عامًا، ذاع فيها صيته، حتى لقد سمى الكثير من المصريين أبناءهم باسمه، وقد عثر الباحثون على تمثالين له من النحاس، غاية في الدقة، وبراعة الصناعة، في مدينة نخب (الكاب).

ومن أعمال هذا الملك العظيم، إقامة مبان عدة بالوجهين القبلي والبحري، وبناء هرم في سقارة، على جدرانه متون، تشبه متون هرم أوناس على أن أهم مصدر تستقى منه أخبار هذا الملك، هو ما كتبه "أوني" نفسه، على جدران مقبرته بالعرابة المدفونة، واصفًا أعماله المختلفة في عهود الملوك الذين خدمهم.

حروبه

قام في الأول بحروب كثيرة، منها أنه أخضع النوبيين، جنوبي مصر،وأخذ عليهم العهود والمواثيق، أن يمدوه بالرجال كلما احتاج إليهم في حروبه.

ولما أعتدى بدو آسيا على شرق الدلتا، وعطلوا استخراج المعادن في شبه

جزيرة سيناء، سير إليهم "أوني" على رأس جيش كبير، وهزمهم ودفع عن البلاد شرهم.

وفي ذلك العهد، أغارت قبائل، كانت تسكن بين نهري دجلة والفرات، على فلسطين، وصارت تهدد مصر من الشرق، فهز بيبي جيشًا بريًا، حملة أسطول بحري عظيم، يقودهما "أوني" ليغزو بهما فلسطين من البحر، وقامت تلك الحملة البرية البحرية فعلًا، بغزو تلك البلاد، وطردت القبائل المغيرة، وأمنت مصر من شرهم. ويعد المؤرخون حملة فلسطين هذه، أول عمل حربي وبحري مشترك في التاريخ، أثبت المصريون بنجاحهم فيه، أنهم بحارة مهرة.

مرنوع:

تولى هذا الملك الحكم صبيًا، بعد وفاة أبيه بيبي الأول، ومات كذلك صبيًا، بعد أن حكم سبعة أعوام، ولكن رغم قصر عهده، ظلت أعمال الإصلاح مطردة، يتولاها "أوني". وبلغ من تقدير الملك له، أن عينه حاكمًا للجنوب، وهي وظيفة كبيرة، لم يكن ينالها إلا من أخلص الحب للملك، وتفانى في خدمته، وحظي برضاه.

ومن الأعمال الهامة في عهد هذا الملك، قيام "أوني" بحفر خمس قنوات، خلال أحجار الجرانيت، التي تعترض سير النهر عند الشلال الأول، فتيسرت بذلك الملاحة نحو الجنوب.

– وفي السنة الخامسة من حكم هذا الملك، قصد بنفسه إلى الشلال الأول، حيث تقدم إليه رؤساء الجنوب بفروض الطاعة والولاء، ونقش اسمه وألقابه على صخور الشلال.

وقام المصريون برحلات كثيرة، ووصلوا إلى أواسط أفريقية، فكشفوا بعض

مجاهلها، ونقلوا إلى العالم الكثير من أخبارها.

ومن أعظم المكتشفين المصريين في ذلك العصر، "حرخوف" مدير القوافل، وحاكم جزيرة إلفتين، قرب الشلال الأول والذي قام بأربع رحلات في وسط أفريقية وغربها، ونقش أعماله على جدران قبره، المواجه لجزيرة إلفنتين، على الساحل الغربي للنيل..

بيبي الثاني:

وبعد وفاة مرنع، خلفه أخوه بيبي الثاني، الذي يقال إنه تولى الملك في السادسة من عمره، وظل يحكم البلاد حتى مات وعمره مائة سنة. وقد ساعده في صغره خاله وأمه، وفي خلال حكمه الطويل، تتابعت البعوث إلى الخارج ومنها بعثة على رأسها، "حرخوف" السابق ذكره، وصلت إلى أواسط إفريقية، وجاءت بقزم من الأقزام، فرح به الملك كثيراً، لأنه كان يدخل السرور إلى قلبه، ويقوم برقصات في القصر الملكي، بلغ الإعجاب بها درجة كبيرة.

سقوط الأسرة السادسة:

وبعد وفاة بيبي الثاني، خلفه ملوك عدة، حكموا مددًا قصيرة، وكانوا، ضعافًا، خرجت السلطة من أيديهم، وسلبها منهم حكام الأقاليم، الذين لم يعودوا موظفين، تعينهم الحكومة، وإنما صاروا أمراء أو أشرافًا، يهيمن كل منهم على مقاطعته، ويرثها ابنه من بعده، وصار حاكم الإقليم بلقب الرئيس الأكبر، أو السيد الأعظم.

ثم أخذ الأمراء ينافس بعضهم بعضًا، يحاول كل منهم أن يكون أكثر نفوذًا وأعظم قوة، ويبسط سلطانه على غيره من الأمراء. وقد أدى هذا إلى قيام حروب كثيرة بينهم، فسقطت الأسرة السادسة، وانتشرت الفوضى في البلاد وعادت إلى ما كانت عليه قبل توحيدها في عهد مينا.

الأسرتان السابعة والثامنة

نشطت عوامل الهدم والتخريب في البلاد، بعد سقوط الأسرة السادسة، فقد امتدت الأيدي العامة إلى المعابد فحطمتها، ودمرت النقوش والزخارف التي كانت تزين تماثيل الملك. وفي خلال هذه الفوضى، التي غمرت البلاد كلها، استطاع بعض الأمراء أن يرجعوا الأمور إلى مجاريها، فأسسوا حكومة مركزية في «منف»، يعدها المؤرخون الأسرة السابعة. ثم سقطت هذه الأسرة، وتبعتها الأسرة الثامنة، ولم يعثر الباحثون على أهرام لهما أو حتى على مقابر الأشراف في عهدهم.

الأسرتان التاسعة والعاشرة

حكمت الأسرتان السابعة والثامنة نحو قرن من الزمان، ثم انتقل الحكم إلى أمراء "اهناس" المدينة، التي تقع في مديرية بني سويف، فأسسوا الأسرتين التاسعة والعاشرة. وكان ملوك هاتين الأسرتين على شيء من القوة، ولكنهم مع ذلك لم يتركوا آثارًا تدل عليهم، وكذلك لم يعثر لمعاصريهم من الأمراء على آثار ما، اللهم إلا أمراء أسيوط، الذين بلغوا درجة كبيرة من القوة، ووثقوا صلاتهم بملوك اهناس، وحفروا الترع، وخفضوا الضرائب، وتركوا مقابر صخرية، أثبتوا عليها أعمالهم، ووصفوا حال البلاد في أيامهم. وقد منح أحد أمراء أسيوط لقب "قائد مصر الوسطى"، تقديرًا له على ما كان يبذله من عون ومساعدة الملك..

وبانتهاء الأسرة العاشرة، انتهى عصر الدولة القديمة.

الحضارة المصرية في عهد الدولة القديمة

نظام الحكم

مقام الملك:

تمتع الملوك في ذلك العصر بنفوذ قوي واحترام فائق، ولقد تساوى في الخضوع لهم، الكبير والصغير، وكان الملك في نظر رعاياه إلهًا، يطلقون عليه وعلى حكومته اسم "برعو" أي "البيت العظيم"، وقد حرف اليهود هذا اللفظ إلى "فرعون"، وأطلقوه على ملوك مصر القديمة. وكان الملك إذا مات، يدخل في عداد الآلهة، ويعبده الناس في المعبد المجاور لقبره

وكان للملك حاشية كبيرة، تضم كبار القواد والموظفين، يقوم كل منهم بتلبية أوامره. وكان من عادة الملوك أن يعلموا أبناءهم، وهم في حداثة سنهم، مع أشباههم من أبناء الأشراف. وكان لهذه السياسة أثر عظيم، ذلك لأن أبناء الملوك، كانوا عند ما يتربعون على العرش، يجدون أنفسهم محوطين، بأبناء الأشراف، وقد أصبحوا هم أيضًا أشرافًا بدورهم، فتعمل العلاقة القديمة والصداقة الأولى عملها، في تقوية الملك وجمع الأشراف حوله. ولم تقف علاقته بهم عند هذا الحد، بل إن الملك تجاوزها أحيانًا، فكان يتزوج من أخوات أولئك الأشراف تارة، ويزوجهم من أخواته تارة أخرى، فزاد بذلك التقرب، وعظمت المحبة، بين الملك وأمراء البلاد.

مهام الملك:

وكانت أعمال الملك كثيرة مضنية، إذ كان يستقبل الوزراء والمهندسين، يبحث وإياهم حاجات البلاد، وبخاصة شئون الزراعة والري، ويتصل بممثليه في سيناء والنوبة، ويقرأ تقريراتهم، كما كان يخرج مع وزيره وكبار رجاله، يفتش المصالح ويراقب الأعمال العامة.

قصر الملك:

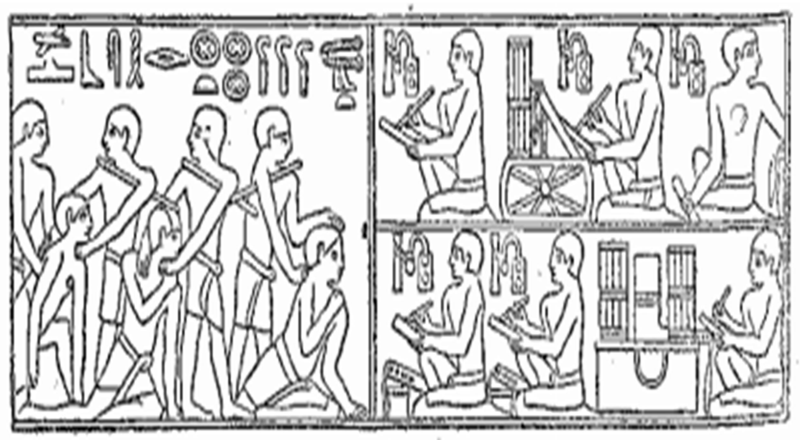
وكان الملك يبني لنفسه قصرًا يعرف بالبيت العظيم، له واجهة رئيسية بها بوابتان، تشير إحداهما إلى مملكة الشمال (الدلتا)، والأخرى إلى مملكة الجنوب في مصر العليا، وكان هذا القصر مقر الملك والحكومة، ولذلك سمي بالقصر المزدوج.

الوزير:

لم يكن الملك يتصرف في كل الأمور وحده، وإنما كان يعاونه فيها رجل عظيم قادر، هو "الوزير"، وكانت مهامه كثيرة متنوعة، إذ كان هو رئيس جميع الموظفين والكتاب في جميع المصالح، كما كان كبير القضاة، والمهندس الأول في البلاد. ولما كانت سلطته واسعة، وهيبته كبيرة، لجأ إليه الناس من كل مكان، باثين شكواهم، ضارعين إليه أن يقوم المعوج ويصلح الأخطاء. ونظرًا لأهمية منصب الوزير به كان ملوك الأسرة الرابعة يسندونه إلى أولياء العهد.

الخازن الأعظم:

ومن الوظائف العالية في ذلك الحين، وظيفة الخازن الأعظم، الذي كان يقرر الضرائب على حكام المقاطعات، فيجمعونها ويرسلونها إلى الخزانة العامة ولم تكن تلك الضرائب في ذلك الزمان البعيد، سوى الحبوب والماشية والدواجن والمنتجات الصناعية، لأن النقود لم تكن قد عرفت بعد.



جمع الضرائب: في القسم الأيمن كتاب وضباط ماليون
وفي الأيسر عمال المالية يحضرون الأهالي لدفع الضرائب

الموظفون:

وقد احتاجت إدارة الحكومة ومصالحها المتنوعة، إلى طوائف مختلفة من الموظفين، فكانت الحكومة تختارهم من بين المتعلمين، ويعينون بمرسوم من الملك، ويبدأ الواحد منهم بوظيفة كاتب، ثم يتقلب في عدة وظائف إدارية، إلى أن يصل في النهاية إلى أعظم مناصب الحكومة، فيكون إما حاكمًا لمقاطعة، أو مديرًا لإحدى مصالح الحكومة الرئيسية، أو أمينًا للملك.

الحكومة المحلية:

كانت مصر العليا مقسمة إلى اثنتين وعشرين مقاطعة، يحكم كلًا منها حاكم تساعده إدارة محلية، تشبه إلى حد كبير الإدارة العليا في عاصمة المملكة، فكان الحاكم هو القاضي الذي يفصل في قضايا السكان، وله بيت مال، وديوان الأراضي، ومصلحة تشرف على الترع والسدود، كما كان له حرس خاص.



نبيل يصطاد — في الدولة القديمة

أما الدلتا، فقد كان الحكام المحليون فيها أقل عددًا، ولكن كان لهم من السلطة والنفوذ ما لأمثالهم في مصر العليا.

ورغم تمتع حكام المقاطعات بقدر كبير من السلطة، فقد كانوا يخضعون الحكومة العليا وينفذون أوامرها.

القضاء:

كان في كل إقليم محكمة خاصة، يرأسها الحاكم، ومهمتها الفصل فيما يقع بين سكان ذلك الإقليم من نزاع، وما يشجر بينهم من خلاف، وكان الحكام يراعون العدل في القضاء بين الناس، لا ينصرون أحدًا لكبر مقامه، ولا يخذلون الضعيف لضعفه، وإنما كان الحق والعدل رائدهم.

وكانت محاكم الإقليم جميعًا متفرعة من المحكمة العليا، في عاصمة البلاد،

ورئيسها الوزير، وكان ينظر فيما يقدم إليه من شكايات وظلامات، ويبعث مساعديه إلى المقاطعات، ليرفعوا إليه التقريرات عن حال القضاء فيها. وكانت أحكامه في القضايا المختلفة، تصدر على وفق قانون الشرائع المرسومة.

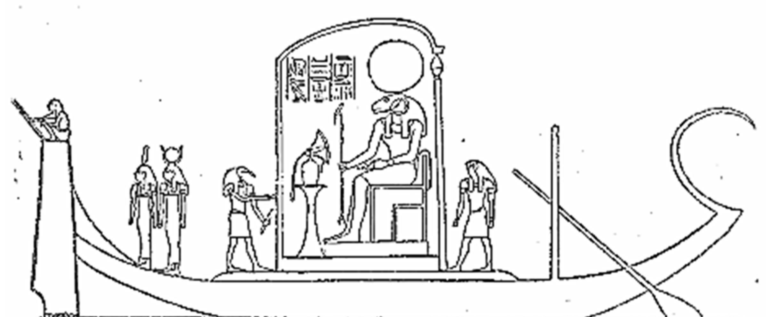
المعتقدات الدينية:

لا نجد في دراسة تاريخ العالم القديم، أمة تأصلت فيها الديانة، وامتزجت بحياة أهلها امتزاجًا كبيرًا، كالأمة المصرية، حتى لنرى الدين هو الحافز الأكبر، لما نشأ في مصر القديمة من علوم وفنون؛ وبه اصطبغت آدابها وفلسفتها.

آلهة قدماء المصريين:

أعتقد قدماء المصريين أن ما يحيط بهم من مخلوقات، كالأشجار والينابيع، والطيور والوحوش، على نوعين: نوع يخدمهم ويعينهم، والآخر عدو لهم، يقيم الصعاب في وجوههم، وينزل بهم المرض؛ وكانوا يرجعون كل ما يصيبهم من ألم وشقاء، إلى أرواح شريرة تتقمص ذلك النوع الأخير، فحاولوا إرضاءها بوسائل ساذجة.

وكان بعض المصريين القدماء يعتقدون أن السماء بحر عظيم، يعتمد على عمد أربعة، وأن الشمس تولد في كل صباح، كما يولد الطفل، وتعبر السماء في زورق



السفينة الفلكية للعبود الشمس

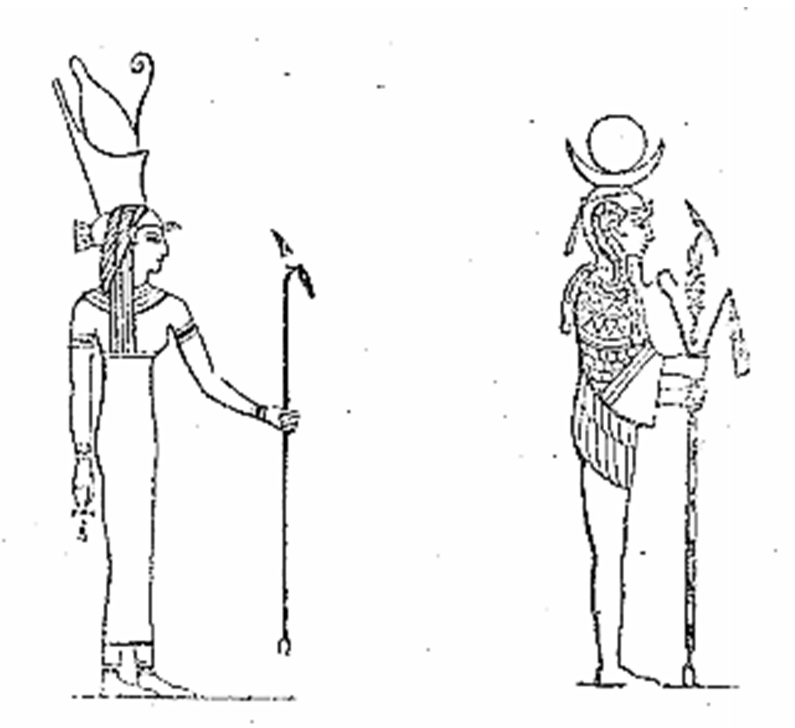
سماوي، حتى تصل إلى الغرب، فتنتقل إلى زورق ثان تسير به في نيل آخر، فصوروه يخترق أرضًا شديدة الظلمة، ثم تعود ثانية في الصباح، لتستأنف رحلتها النهارية.

قصة الإله أوزيريس:

لهذا الإله قصة شائقة، ذاعت واشتهرت بين المصريين، ومؤداها أنه كان في أول أمره إلهًا، وملكًا عادلًا رحيمًا بأمته، وكان يحكم في الأرض، تساعده أخته وزوجه "إيزيس"، وله أخ اسمه "ست" حدثته نفسه بقتل أخيه، غيرة وحقدًا، فقتله، وحزنت "إيزيس" على أخيها حزنًا عظيمًا، وقامت بتجهيز المعدات اللازمة لدفن جثته.

غير أنه نظرًا لما قرأته من التعاويذ والدعوات، وما أقامته من الصلوات على جثة أخيها وزوجها، عادت إليه روحه، ودبت فيه الحياة مرة ثانية.

ولما كان من المستحيل أن يستأنف أوزيريس حياته في الأرض، فقد صار سيد آلهة الدنيا السفلى، وأصبح إله الموتى، ورئيس محكمة الحساب في الحياة الأخرى.



أوزيريس إيزيس

ثم ولدت إيزيس ابنها "حور"، وسهرت على تربيته في مستنقعات الدلتا حتى كبر وترعرع، وامتلأ نشاطًا وقوة، ثم بدأ عراكًا عنيفًا مع عمه، وعدو أبيه، "ست Set "، واستعرت الحرب بينهما في البلاد كلها، من أقصاها إلى أقصاها، وانتهى الصراع بفوز حور، وتربعه على عرش أبيه، حاكمًا في الأرض.

الآلهة تحل في الطيور والحيوان:

ولقد تخيل المصريون أن آلهتهم، كانت تحل فيما يحيط بهم من حيوان وطير أليف، كالصقر والعجل والبقرة والكبش، وكذلك الحيوان الضاري، كالذئب والتمساح والأفعى. وكان المصريون يعنون بالطيور والحيوانات الأليفة المقدسة، وكذلك كانوا يقدمون القرابين للحيوان الضاري، كالذئب مثلًا، ولا يمسونه بأذى،

اعتقادًا منهم أن المعاملة الطيبة، وإظهار الاحترام له، يمنعه من نبش قبور الموتى، والفتك بجثثهم.

تنوع العيادات:

كــان مــن أثــر طــول الــوادي، وبعــد الأقــاليم بعضــها عــن بعــض، أن تنوعت العيادات، وكثر عددها.

ففي عهد الأسرتين الأولى والثانية، كانت عبادة الالة "حور"، أوسع العبادات انتشارًا، ثم أخذت عيادة الإله رع، تشتد وتظهر منذ الأسرة الرابعة، حتى بلغت ذروتها في عهد الأسرة الخامسة، التي كان ملوكها يلقبون أنفسهم "أبناء رع". ومن آلهة المصريين في ذلك العصر، إله القمر، وهو إله الحساب والمواقيت، وأوز بريس إله الموتى.

وكان لكل إله كهنة يخدمون معبده، ويقومون بإطعام تمثاله وإلباسه، ويعنون بالحيوان المقدس، ويقيمون الأعياد والمواكب، الدينية في مواقيت معينة كل سنة.

عقيدة البعث:

واعتقد المصريون، أن الإنسان بعد موته سيبعث حيًا، يدل على ذلك بناء القبور الضخمة لحفظ جثث الموتى، وعنايتهم بوضع كل ما كان الميت يستعمله في حياته، من أدوات وآنية وطعام وشراب معه في قبره، واعتقادهم أنه سيحاسب في الحياة الأخرى على ما عمل في دنياه.

الحياة الاقتصادية (الزراعة والصناعة والتجارة)

أولًا - الزراعة

ملكية الأرض:

كانت غالبية الأمة المصرية القديمة من الفلاحين، الذين يزرعون الأرض ولا يملكونها، إذ النظرية السائدة وقتئذ، أن الملوك هم أصحاب الحق المطلق على أراضي القطر الزراعية، يقطعونها لحكام المقاطعات، أو يوقفونها على المعابد وغيرها من المؤسسات الدينية. وفي كلتا الحالتين، يقوم الفلاحون بزراعتها، تحت إشراف موظفي حكام المقاطعات، ويجبى منهم الخراج عينًا بمقدار خمس المحصول.

طريقة الزراعة:

قسم المصريون السنة إلى ثلاثة فصول زراعية: الفيضان، ويليه البذر، ثم فصل الحصاد. وكانت الزراعة تبدأ بعد جفاف مياه الفيضان، فيحرث الفلاح الأرض، ثم يذر الحب ويتعهد النبات، حتى ينضج المحصول فيحصده. ويخزن القمح بعد ذلك في مخازن مبنية من اللبن، في أعلى كل منها فتحة، على نحو ما يفعل الفلاحون في أيامنا هذه.

الآلات الزراعية:

ولا تختلف طرق الزراعة أو الآلات الزراعية كثيرًا عما هي عليه الآن، إذ كان الفلاح يستعمل الفأس في عزق الأرض، والمحراث في شقها، والشادوف في ريها، والمنجل لقطع المحصول وحصده، والمذراة لفصل التبن عن القمح.



وأهم ما كانوا يزرعون، الحبوب من قمح وشعير، وكذلك البقول والكروم والكتان. وكان النبيذ مستخرج من العنب، ويقدم قربانًا للآلهة وشرابًا.

ثانيًا - الصناعة

طائفة الصناع:

كان تقدم الصناعة خاضعًا لحاجات المصرين في هذا العصر، فحياة الفراعنة وكبار الموظفين والأغنياء، كانت تتطلب صناعات مهمة، يقوم بها عدد كبير من المصريين، ولما كان الابن يرث عن الأب صناعته، تكونت في البلاد طائفة وراثية من الصناع المهرة.

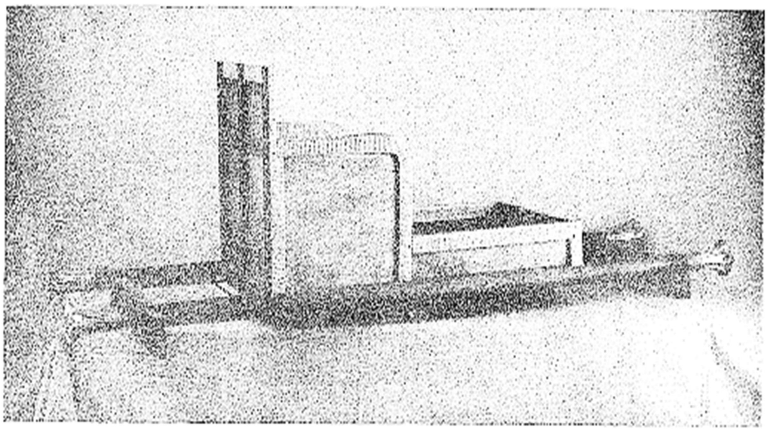
الصناعات المصرية:

وقد برع المصريون في صناعات عدة، فصنعوا المنسوجات من الكتان، وحذقوا صناعة الفخار والخزف والزجاج، وسبك المعادن من النحاس والذهب والبرونز، ومهروا في الصناعات الخشبية على اختلاف أنواعها، مع قلة الأخشاب في مصر. وكانوا يستخدمون خشب الجميز في المصنوعات الكبيرة، أما الأثاث الفاخر، فكان يصنع من أبنوس السودان وأرز لبنان وغيرهما.

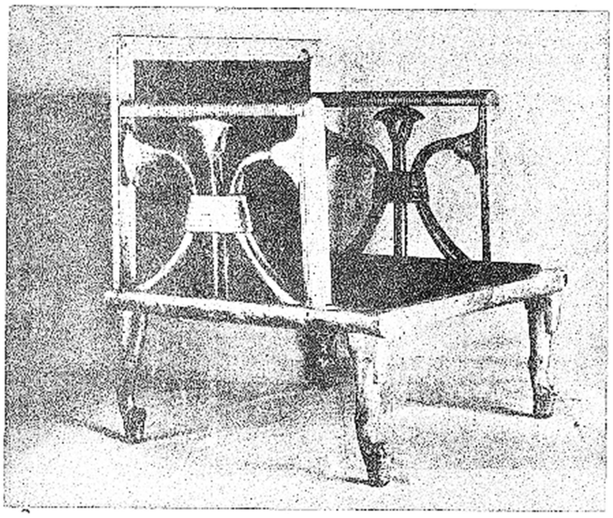


حوانيت السباكين في عهد الدولة القديمة: في الجزء الأيسر من القسم العلوي طريقة وزن المعادن النفيسة؛ وفي الجزء الأوسط رجال يوقدون على الحلى. وفي الجزء الأيمن صب تلك الحلى وطرقها. أما القسم السفلي فقيه طريقة تركيب القلائد وأدوات الزينة

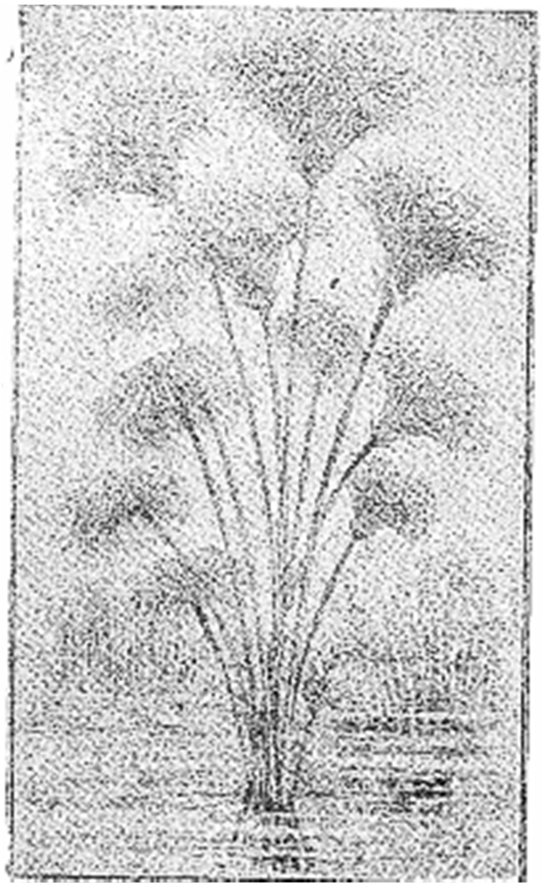
واستخرجوا الزيوت من قشور الأشجار وبذورها، واستعملوها في دباغة الجلود، وتجهيز بعض الصناعات الأخرى، وصنعوا مواد التحنيط، وبرعوا في صناعة الورق من نبات البردي، كما حذقوا بناء السفن والقوارب. وقد استقى المؤرخون معلوماتهم عن الحرف والصناعات في عهد الدولة القديمة، من المناظر التي عثر عليها في مقابر الجيزة وسقارة وغيرها في هذا العصر...



محفة لحمل الإنسان



كرسي الجلوس



نبات البردي



صناعة السفن في الدولة القديمة

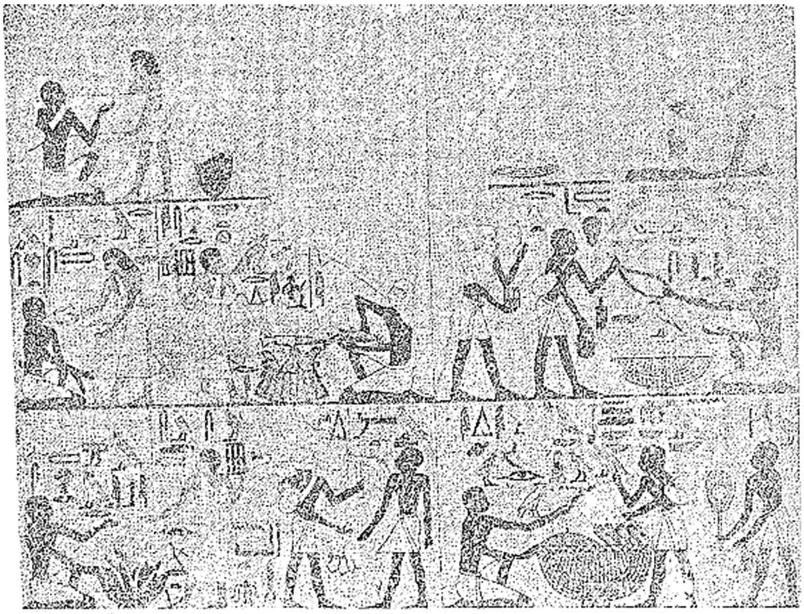
ثالثًا- التجارة

التجارة الخارجية:

لم يجد المصريون في بلادهم كل ما يسد حاجة الصناعات المنوعة، التي نشأت في مصر، فأوفد الملوك البعوث إلى الخارج، للحصول على ما احتاجوا إليه من المواد. وبذلك نشأت حركة تجارية نشيطة، بين مصر والبلاد المجاورة، إما بالقوافل على ظهور الحمير، وإما بالسفن التي مرت البحار، حتى وصلت إلى المحيط الهندي جنوبًا، وبحر إيجه شمالًا. فمن النوبة والسودان، جلب المصريون الذهب وريش النعام والأبنوس والجلود والعاج، ومن بلاد "بنت **Punt**" (الصومال) وما وراءها: المر وأنواع الصموغ العطرية والأخشاب الزكية الرائحة، ومن الشام ولبنان وفينيقيا: خشب الأرز، ومن سيناء المعادن، وخاصة النحاس وبعض الأحجار الكريمة. وكانوا يحملون إلى البلاد المجاورة، وبخاصة الشام وجزيرة كريت، مصنوعاتهم، من خزف وزجاج وكتان وورق.

الأسواق في المدن والقرى:

كانت المعاملة التجارية بين المصريين قائمة على المبادلة، ففي كل مدينة وفي كل قرية، كانت توجد سوق، يتقابل فيها أهل المدن والفلاحون في أوقات معينة، ويتبادلون سلعهم المنوعة، وكانوا يفدون إلى هذه الأسواق راجلين، أو على ظهور حميرهم، أو في زوارقهم النيلية، حاملين منتجاتهم الزراعية أو الصناعية، كالخضر والسمك والزيوت والعطور وأواني الفخار والعصي والنعال والمراوح. أما في الصفقات التجارية العظيمة، فقد استعملوا المسكوكات، وكانت سبائك وقضبانا من الذهب أو النحاس، يتعاملون بها، وتعتبر هذه أول عملة في التاريخ.



منظر الأسواق في الدولة القديمة

وقد تطلبت التجارة والمعاملات، وما يتبعها من دفاتر الحساب والعقود، قيام طائفة من الكتاب، حذقوا الكتابة وبرعوا في الحساب.

وكانت الحكومة تشرف إشرافا تاما، على نظام التعامل في تلك الأسواق وتعي بإدارتها واستقامة الأمر فيها، وذلك بإيجاد مندوبين عنها، يكونون وسطاء بين التجار، منعا للتلاعب، وحماية لمصالح الأهلين.

العلوم والفنون والآداب

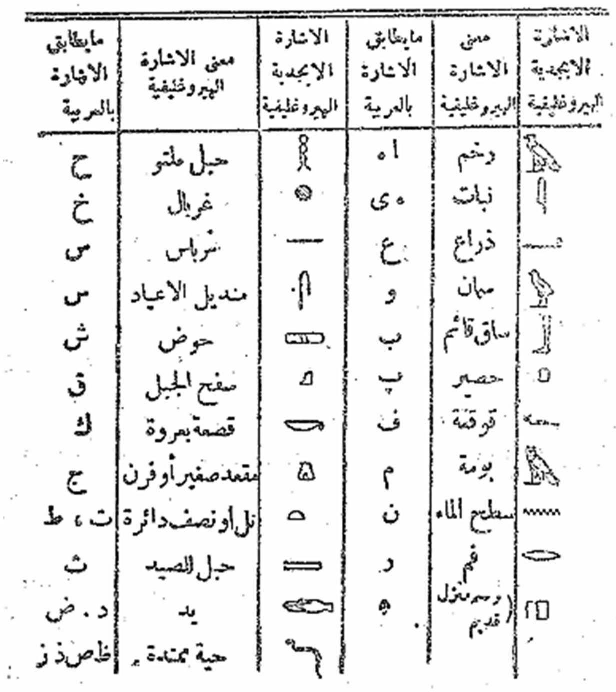
أولًا- العلوم

الكتابة: سبق المصريون بجميع شعوب العالم في استعمال الكتابة، ولقد أخذها عنهم الفينيقيون، سكان سواحل سوريا، ثم انتقلت من هؤلاء إلى أوربا، بعد إن جرى فيها تحوير وتغيير.

وكانت الكتابة في أول أمرها صورًا، إذ كانوا يعبرون عن الشيء، حيوانًا كان أو طيرًا أو نباتًا، برسم صورته، وكانت صورة القمر تعبر عن الشهر، والخطوط الأفقية، تبين أرقام الآحاد.

ثم تطورت الكتابة تدريجياً، فلم تعد مقصورة على الصور التي تعبر عن أشياء فردية، وإنما استعملوا حروفًا أبجدية، يكتبون بها كل ما يدور في خلدهم، من تعبيرات وكلمات يصعب تصويرها.

وكتابة قدماء المصريين على نوعين: الهيروغليفية، ومعناها الإشارات المقدسة، والهيراطيقية، وهي نوع من هذه الكتابة، ولكنها مختصرة عنها، والفرق بينهما كالفرق بين حروف المطبعة وخط اليد.



الاشارة الابجدية الهيروغليفية	معنى الاشارة الهيروغليفية	مايطابق الاشارة بالعربية	الاشارة الابجدية الهيروغليفية	معنى الاشارة الهيروغليفية	مايطابق الاشارة بالعربية
	رخم	ا ه		حبل ملتو	ح
	نبات	ه ى		غربال	خ
	ذراع	ع		ترباس	س
	سمان	و		منديل الاعياد	س
	ساق قائم	ب		حوض	ش
	حصير	پ		صفح الجبل	ق
	قرقنة	ف		قصعة بعروة	ك
	بومة	م		مقعد صغير أو فرن	ج
	سطح الماء	ن		تل أو نصف دائرة	ت ، ط
	فم	ر		حبل الصيد	ث
	(رسم منزل قديم)	ه		يد	د . ض
				حية ممتدة	ظ ص ذ ز

جدول الإشارات الهيروغليفية

أدوات الكتابة:

استعمل الكتاب المصريون في كتابتهم المداد الأسود، ذا اللون الثابت، وأقلامًا من البوص، وورقًا ناعمًا، صنعوه من نبات البردي، الذي كان ينمو بكثرة في المستنقعات.. ويبلغ طول بعض تلك الأوراق نحو أربعين مترًا، إذ كانوا يلصقون الأوراق بعضها ببعض، كي تتسع لكل ما يريدون تدوينه

ثم يلفونها. وكانت العادة عندهم، أن يكتبوا على وجه واحد فقط من الورقة ويتركوا الوجه الآخر.

وقد عثر على كثير من قطع الخزف والفخار، في جهات مختلفة من مصر، كان أفراد الطبقة الفقيرة يسجلون عليها كتاباتهم، لرخص ثمنها، ولعدم استطاعتهم الحصول على ورق البردي، وهذه القطع البسيطة المتناثرة جليلة الفائدة، إذ ساعدت العلماء على معرفة الكثير من حياة الشعب في ذلك العصر.

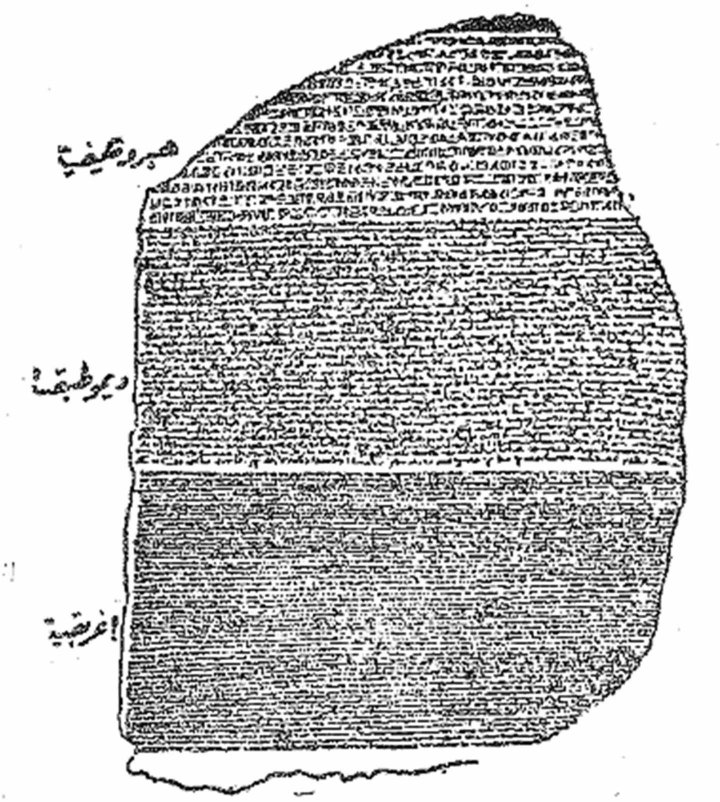
حجر رشيد وكتابة قدماء المصريين:

قضى الفتح العربي لمصر، على اللغة المصرية القديمة وكتابتها، إذ دخل المصريون في الدين الإسلامي أفواجًا، وبدئوا يتعلمون اللغة العربية وكتابتها، ويهملون لغتهم الأصلية. وبتعاقد السنين، نسيت اللغة والكتابة القديمة نسيانًا تامًا، وأصبح الناس يرون آثار مصر القديمة، وما عليها من نقوش وكتابات، فلا يفهمون لها معنى، ولا يدركون منها مغزى.

وبقيت الحال على ذلك أجيالًا طويلة، حتى عام ١٧٩٩، إذ عثر أحد ضباط الحملة الفرنسية في ذلك العام، على هجر بجهة رشيد، بسيط المظهر، ولكنه ذائع الشهرة بعيد الأثر، أطلق عليه العلماء اسم "حجر رشيد". وهو من البازلت، وعليه ثلاث كتابات: العليا منها هيروغليفية، تليها كتابة تعرف

بالديموطيقية، وهي التي كان يستعملها عامة المصريين، والثالثة هي الإغريقية، كتابة اليونان الأقدمين.

ومنذ أن كشف هذا الحجر الأثري الهام، انصرفت جهود العلماء المؤرخين إلى قراءة ما عليه من كتابات، مستعينين معرفتهم للكتابة الإغريقية، وكان أكثرهم نجاحها وتوفيقًا. العالم الفرنسي الشهير "شمبليون"، الذي استطاع منذ عام **١٨٢١** أن يقرأ الكثير من الكلمات، ويعرف الحروف الأبجدية، وما تدل عليه الصور المختلفة في الكتابة الهيروغليفية.



حجر رشيد

ثم تبعه علماء كثيرون من مختلف الدول، ومن بينهم علماء مصريون، فبحثوا ونقبوا في آثار مصر، حتى وفقوا لحل الكثير من غوامض كتابة المصريين القدماء، وعرفوا أسرارها، فكشف عن معلومات جميلة، تفيد في معرفة تاريخ أجدادنا الأولين.

الهندسة:

نبغ المصريون في كثير من العلوم ذات الفائدة العملية، كالهندسة، ويدل على تفوقهم فيها ما أقاموه من مبان ضخمة كالأهرام والمعابد والتماثيل، وأعمال الري، وإنشاء المسدود، ومن أهمها السد العظيم، الذي أقامه مينا (نارمر) سنة ٣٢٠٠ ق. م، وتمكن به من تحويل مجرى النيل.

الحساب:

عرف المصريون الأرقام الحسابية قبل عهد الأسرات؛ وفي عصر الدولة القديمة، كانوا يميزون الأرقام حتى الألف بعلامات خاصة، فالأرقام من ١ إلى ٩، كانت تميز بخطوط أفقية متوازية، والعشرات بحلقات مفتوحة من أسفل، ويرمز للمئات بحلزون في المائة التاسعة.

وكذلك عرف المصريون حل المسائل الحسابية، مستخدمين الجمع والطرح والضرب والقسمة، واتخذوا مقاييس يقيسون بها الأراضي، لمعرفة مساحتها، وموازين يزنون بها حاجاتهم.

الفلك:

وأهم مميزات الفلك المصري على وجه خاص، اختراع التقويم السنوي لضبط السنين وحساب الأيام، وهو أقدم تقويم في العالم، جعلوا به السنة ٣٦٥ يومًا، تنقسم ثلاثة فصول، حسب مواعيد الزراعة والفيضان، والبذرة والحصاد.

وقسموا السنة اثني عشر شهرًا، والشهر ثلاثين يومًا، ثم أضافوا خمسة أيام في نهاية السنة، جعلوها أعيادًا ومواسم.

وتمكنوا من رصد كثير من النجوم والكواكب، ومعرفة مواقعها وتسجيل حركاتها، وقد عثر في بعض المقابر على آلات للرصد، ومصورات عجيبة لشكلي الماء ومواقع النجوم.

الكيمياء:

ومن أكبر البراهين على نبوغ المصريين في علم الكيمياء، تحنيط الأجسام، الذي لم يعرف سره تمامًا حتى الآن، وخلط المعادن وتجهيز المراهم والأدوية، وتحضير مركبات الألوان ذات الصبغة الثابتة.

الطب:

وكان اللي عندهم مرتبطًا بالسحر، لاعتقادهم الراسخ أن الأمراض تنتج من حلول الأرواح الخبيثة بجسد الإنسان، وأنها لا تزول إلا بالسحر، لذلك اعتقدوا أن التعاويذ خير من العقاقير. ومع ذلك فالمعروف أن الطب المصري القديم، ارتقى شأنه إلى درجة كبيرة؛ عن طريق التجارب والمشاهدة أولًا ثم بدراسته في مدارس خاصة.

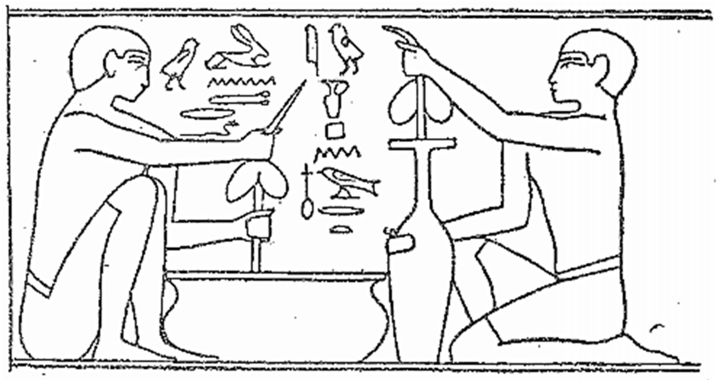
وتدل النقوش المصرية في عهد الدولة القديمة، على أنه كان في مصر أطباء مهرة، في علاج أمراض العيون، والأمراض الباطنية، والأسنان، والجراحة والعظام. وكانت وظيفة الطبيب يرثها الابن عن الأب، كباقي الصناعات في ذلك العهد.

وكان للمصريين علم واسع بالعقاقير الطبية، كما أنهم برعوا في التشريح؛ وقد جمعوا علومهم الطبية في أوراق من البردي، وانتقلت بعض طرقهم في العلاج إلى اليونان ثم إلى أوربا.

ثانيًا- الفنون

ارتقى الفن في مصر، في عصر ما قبل الأسرات، فقد صنع المصريون أدوات وأواني كثيرة من الفخار وأحجار المرمر والبازلت وغيرهما، بلغت درجة كبيرة من الجمال وحسن الذوق.

ولكن الفن الحقيق بدأ يتجلى في عصر الدولة القديمة، وبلغ اسمي مراتبه في عهد الأسرتين الرابعة والخامسة، ويرجع ازدهاره في ذلك الحين، إلى ما كان يسود العقول من عقائد دينية، وما كان الملوك يبذلونه من مالي وجهد، في تشجيع الحرف والصناعات المختلفة.



نحت الأواني الحجرية في الدولة القديمة

ومن أهم الفنون التي ارتقت في ذلك العصر:

العمارة:

شاد المصريون الكثير من القبور المختلفة الأشكال المصاطب والأهرام في الخيرية وسقارة وأبي صير، واستخدموا في بنائها الأحجار الخيرية الضخمة والجرانيت والبازلت، وبنوا معابد كثيرة ذات عمد من الجرانيت الأحمر تعلوها

تيجان، تمثل سعف النخل وزهر اللوتس.

وقد بلع المصريون، في قطاع الأحجار الضخمة وتنسيقها، مبلغًا كبيرًا من الإتقان، كما توصلوا إلى اختراع (البكرات) من الجرانيت، لرفع الأحجار الضخمة إلى علو شاهق.

وتدل مباني الدولية القديمة على القوة والثروة وسرعة العلم ودقة الصنع: في نحت الأحجار وصقلها، ولحملها بالملاط الدقيق.

النحت: صناعة التماثيل:

بذل مثالو الدولة القديمة جهدهم، في جعل التماثيل التي ينحتونها مطابقة للحقيقة، لتشبه صاحبها تمام الشبه، في قوامه وشكله وتقاطيع وجهه، حتى لا يخطئه القرين فيموت موتًا أبديًا.

واختاروا لعمل التماثيل أصلب أنواع الحجر، كالجرانيت والبازلت والمرمر، كي تكون رمزًا للثبات والخلود، واصطلحوا على تلوين بشرة النساء باللون الأصفر، والرجال باللون الأحمر القاتم، وكانوا يلونون الملابس باللون الأبيض، والشعر المستعار باللون الأسود الفاحم.

وبلغ فن النحت في عهد الأسرة الرابعة قمته، من حيث الإتقان وحسن الذوق ومطابقة الحقيقة. ومن أشهر تماثيل ذلك العصر:

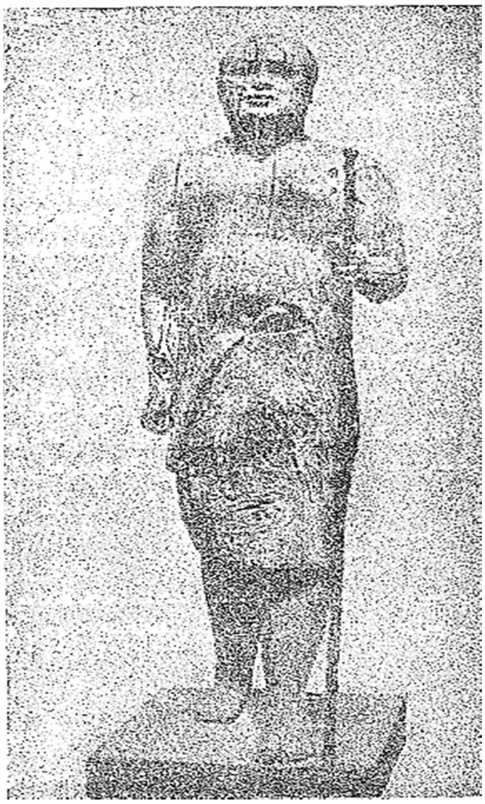
تمثال شيخ البلد:

ومن أجمل تماثيل الدولة القديمة، تمثال كشفه "مريت" في سقارة وبمجرد أن رآه المال الذين يعملون تحت إدارته، صاحوا "هذا شيخ البلد!" لمشابهته لشيخ بلدهم، فصارت هذه التسمية علمًا عليه. وقد صنع هذا التمثال من الخشب بمهارة وإتقان، وهو قصير القامة ممتلئ الجسم، يمسك عصا معقدة، تبدو عليه

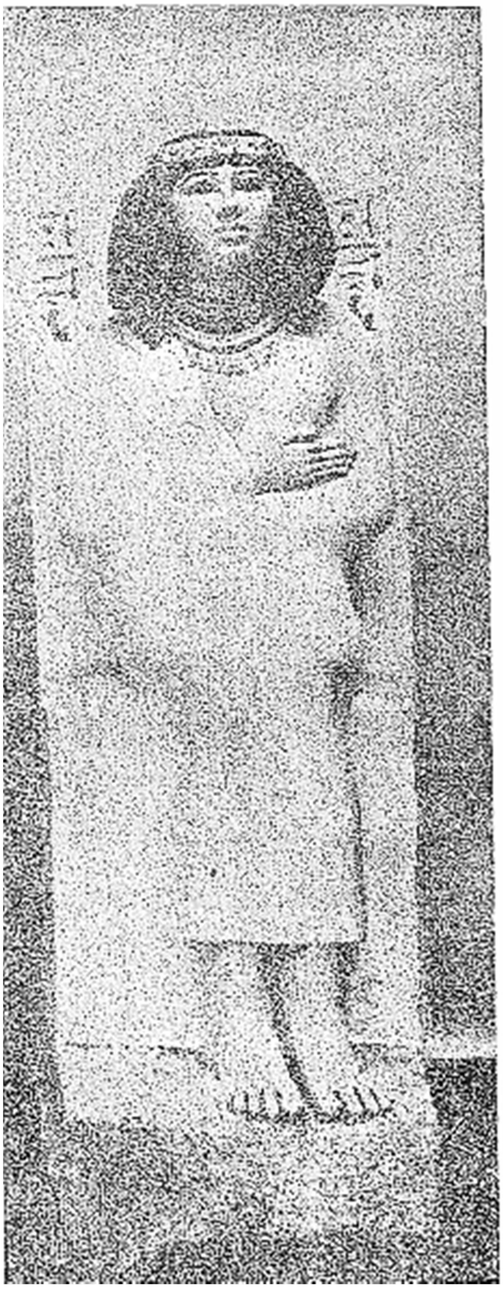
سمات الأمارة، قال عنه "ماسبرو" إنه لا يوجد بالمتحف المصري تمثال أحسن منه في دقة الصنع، وإنك لتراه وهو ممسك بعصاه، فيخيل إليك أنه قادم نحوك.

تمثال الأميرة نفرت:

كانت تلك الأميرة من سلالة ملكية، فجاء تمثالها مؤيدًا لذلك: وجه ممتلئ تعلوه المهابة والوقار، وثوب محبوك على جسدها، يظهر أجزاءه في لطف وحشمة، ويزين رأسها غطاء من الشعر الكثيف المقصوص، وعيناها واسعتان، وحاجباها من مجنان، وحول عنقها أحجار مرصعة.



تمثال شيخ البلد



تمثال الأميرة نفرت

تمثال الكاتب المتربع:

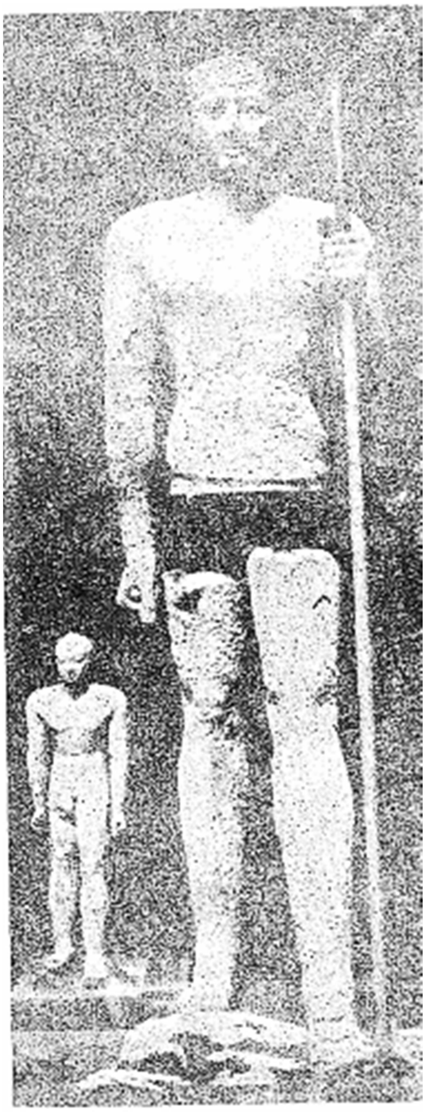
لم يكن ذلك الكتب حسن المنظر، ومع ذلك فقد أظهر الفنان شكله بدقة وأمانة، إذ تراه متربعًا يستعد للكتابة، وعلى حجره ملف من ورق البردي، وفي يده قلم من الغاب.



تمثال الكاتب المربع في الدولة القديمة

تمثال الملك بيبي الأول:

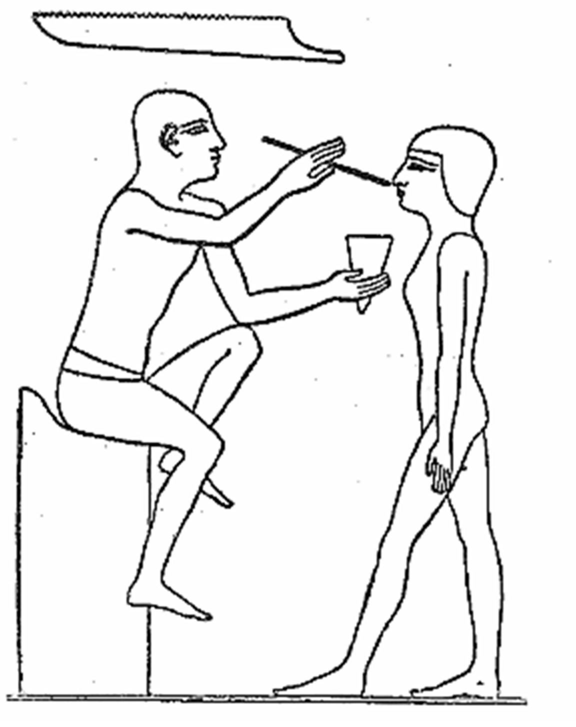
وهو أكبر تمثال معدني في مصر، صنعت يداه ورجلاه ورأسه من البرونز المسبوك، أما باقي جسمه فمن الخشب المغطى بالنحاس.



تمثال بيبي الأول وابنه

النقش والتصوير:

وكما امتازت الدولة القديمة بضخامة المباني ودقتها، وجمال التماثيل ومطابقتها للواقع، امتازت كذلك بنقوشها البارزة الرائعة، التي تزدحم بها جدران مقابر الأسرتين الخامسة والسادسة، وبخاصة مقبرة الكاهن "تي" ومقبرة الأمير بـ "تاح حتب" في سقارة، فجدرانهما زاخرة برسوم وصور، تمثل ألوانًا مختلفة من الحياة الاجتماعية، من حرث وبذر وجمع للمحصول، وتعهد للماشية والطيور، كما تمثل النجارين والحدادين وهم يعملون.



مصور مصري يلون تمثال حجريًا

وتتجلى روعة النقش ودقته الفائقة، على جدران طريق معبد الملك أوناس، الذي كشف عنه حديثًا في سقارة، وهو مبني من الحجر الجيري الأبيض،

ومسقوف بقطع ضخمة من هذا الحجر، مزدانة بصور النجوم لتمثيل السماء.

والجدران التي على جانب الطريق، مزدانة بنقوش غاية في الإتقان، بعضها يمثل الملك وهو يحارب الأعداء، وجنوده يحملون الحراب والمدي، وبعضها يمثل النيل وما فيه من أسماك، والحقول وما يحط على أرضها من طيور، والبعض الآخر يمثل مناظر الزراعة والحصاد والنبات، وحتى شهد العسل، وصيد حيوان الصحراء. وتكشف هذه المناظر البارزة، عن الحذق في رسم تفاصيل أجزاء الطيور والنبات والحيوان، كما تدل على انسجام الألوان والذوق السليم في توزيعها، مما يكسب هذه المناظر حياة وروحًا.

ولم يستعص على الفنان في ذلك العصر، إلا رسم الإنسان على الجدران من الوجه، فكان دائمًا يرسمه بصورة جانبية.

ثالثًا – الأدب

لم يلق الأدب من عناية المصريين، في عصر الدولة القديمة، ما لقيته العلوم والفنون المادية، ومن أهم ما وصل إلينا من أدبهم في ذلك العصر، حكم ومواعظ، انطلقت بها السنة بعض الحكماء والوزراء، أمثال إمحوتب وبتاح حتب، وقصص نقشها الأشراف والحكام على مقابرهم، صيغت في عبارات قصيرة، تصف ما نالوه من مجد، وما جرى لهم من حوادث.

ولقد ذاعت في أيامهم، كما هو الحال في عصرنا الحاضر، الأغاني الشعبية، التي كان يتغنى بها الزارع في حقله، والخادم في بيت سيده. ومن الأغاني الشهيرة، أغنية راعي الغنم، التي يناجي فيها أغنامه، وأغنية حملة الملحقات، وفيها يعبرون لسيدهم عن سروره بحمله، ويؤكدون له في كثير من الغبطة، أن المحفة وهي تضم سيدهم، أخف وزنًا وأسهل حملًا، منها وهي خالية منه.

الآداب الدينية: متون الأهرام:

اصطبغ الأدب في عصر الدولة القديمة بالصبغة الدينية، وقد عثر في كثير من الأهرام، على كتابات تعرف بمتون الأهرام أو نصوص الأهرام، وهي مجموعة تعاويذ وصلوات دينية، منقوشة نقشًا بارزًا، في حجر الدفن بهرم الملك أوناس وأهم ملولك الأسرة السياسة في سقارة. وهذه المتون أو النصوص متشابهة فيها جميعًا، وتحتوي على الآلف من الأسطر، وتعد الأساس الأكبر لمعرفة ديانة قدماء العربات وأخبار المتهم، في عهد الدولة القديمة. والغرض مما فيها من تعاويذ ودعوات وأناشيد، هو حفظ جثة الميت. مما يصادفها فيها من شر، أو ينزل بها من مكروه في العالم الآخر، وكذلك بعث الحياة، في صور المأكل والمشرب المرسومة على الجدران، والحصول على حياة أبدية للملك، لا تفنى بعد الموت.

حكم بتاح حتب:

ومن أجمل حكم ونصائح الدولة القديمة، تلك التي صاغها الحكيم المشهور ومتاح "حتب"، وهو رجل ظهر في عصر الأسرة الخامسة، واشتهر بالحكة والمقدرة وضرب الأمثال. وقد ارتفعت به حكمته، فتولي الوزارة، وبقي فيها سنين طويلة، وقد وضع نصائحه في شكل مواعظ ووصايا، استخلصها من تجارب الحياة وعظات الزمن، ووجه الخطاب فيها إلى ابنه، فدعاه إلى الحد والاستقامة وتقديس الواجب، وحثه على الطاعة والتواضع وطلب العلم والاستمساك بمكارم الأخلاق وآداب السلوك، والتحلي بالصدق والأمانة والعفة، والعطف على الصغير واحترام الكبير.

الجيش والإدارة الحربية

كان الجيش يجند من المقاطعات، ويقود جند كل مقاطعة حاكمها، لمساعدة فرعون وقت الحرب. ولما تولى الملك زوسر الحكم، كون جيشًا جعله تحت إمرة

قائد أعلى، وكان القواد يختارون من بين أمراء البيت المالك ومن الأشراف.

التجنيد:

ويقوم حكام المقاطعات بتجنيد الشبان وتسجيل أسمائهم، والحكومة تعني بتدريبهم على الأعمال الحربية. وكان سلاح الجيش غاية في البساطة، لا يعدو القوس والنشاب والحراب والسيوف المصنوعة من الخشب والبلط المعدنية؛ ولباس الرأس قبعة محشوة بالقش. وكانوا يلبسون الدروع لحماية أجسامهم، وكان الجند من حملة الحراب يتقدمون الجيش في صف واحد.

الجنود المرتزقة:

وإلى جانب الجنود المصريين، استخدم عدد من النوبيين واللوبيين في الجيش، وكان ملوك الأسرة السادسة يمنحونهم الأراضي، ويعفونهم من الضرائب، ويعرف هؤلاء الجنود المرتزقة، لأنهم كانوا يتخذون الجندية مهنة يرتزقون منها.

الأسطول الحربي:

وكان لمصر في الدولة القديمة أسطول حربي، مكون من عدة سفن، ويعمل به جنود من البحارة، تحت إمرة ضابط عظيم يسمى "رئيس الأسطول".

الحصون:

واهتم الملوك في ذلك العصر، بإقامة الحصون والأسوار الضخمة، في الجهات الضعيفة على الحدود المصرية، ولذلك شيدوا القلاع في الوجه القبلي والدلتا على السواء، لحماية البلاد من إغارات الأعداء.

الإدارة الحربية:

وكانت الإدارة الحربية مسندة الى مصلحة خاصة، تعرف باسم "بيت الأسلحة" وموظفوها من أعلى طبقات الموظفين، ومهمتها تجهيز الجيش بالسلاح

والملابس وتموينه بالعدة والطعام، وبناء الحصون وسفن الأسطول.

حروب مصر:

اتجهت همة الفراعنة في عصر الدولة القديمة، إلى صد إغارات القبائلي المجاورة، التي كانت تهدد البلاد المرة بعد المرة، طمعًا في خيراتها، فجردوا الحملات لتأديبهم، أو للحصول على الغنائم من بلادهم. ولذلك كانت حروب مصر في هذا العصر حروبًا دفاعية، ضد اللوبيين في الشمال الغربي من حدودها، والنوبيين في الجنوب، وبدو سيناء في الشرق. وخرجت مصر من تلك الحروب الدفاعية ظافرة منتصرة، بفضل تقدم حضارتها، وتنوع أسلحتها، وحسن نظامها الحربي.

الباب الثالث

الدولة الوسطى

(٢١٦٠- ١٥٨٠ ق.م)

ظهور طيبة:

وفي أواخر عهد الأسرة العاشرة، بدأ نجم إحدى المدن في جنوب الوجه القبلي يسطع، وأخذت عظمتها تظهر، حتى بلغت في النهاية، درجة لم تبلغها غيرها من مدن الدنيا القديمة، تلك هي مدينة "طيبة"، ومكانها الآن مدينة الأقصر. وتقع في مهل متسع خصيب، تحف به من جانبيه تلال، ساعدت على حمايتها؛ ويبدأ بالقرب منها طريق وادي الحمامات، الموصل إلى البحر الأحمر، فكانت على اتصال سهل بالمحاجر والمناجم في الصحراء الشرقية، وبلاد بنت، وما يجاورها من بلدان البحر الأحمر.

وقد ظهر هذه المدينة أمراء أقوياء، نافسوا ملوك أهناس المدينة، واستقلوا بالبلاد المصرية الممتدة من طيبة إلى الشلال الأول، واتخذوا لأنفسهم لقب "حماة باب مصر الجنوبي"، ثم أخذوا ينتزعون البلاد تدريجيًا، حتى انتهى الأمر بالقضاء على الأسرة العاشرة، وقام أسرة جديدة، هي الأسرة الحادية عشرة، التي يعدها المؤرخون بدء الدولة الوسطى.

الأسرة الحادية عشرة

اتخذ ملوك هذه الأسرة مدينة طيبة حاضرة لهم، وأعادوا البلاد إلى ما كانت

عليه من وحدة وارتباط.

ومن أهم أعمالهم، إيفاد البعثات لجلب الأحجار من وادي الحمامات بالصحراء الشرقية، وتأمين الطرق في تلك الجهات، وإرسال السفن إلى بلاد بنت.

ومن الآثار الهامة التي خلفوها، أهرام من اللبن، كشفها مريت باشا، غربي مدينة طيبة.

وبعد أن حكمت الأسرة الحادية عشرة ١٦٠ سنة، تعرضت البلاد، كما يقول بعض المؤرخين، إلى إغارة عدو أجنبي، فهب لملاقاته أحد أمراء طيبة ويسمي "منحت"، وأعد جيشًا وأسطولًا نهريًا ورد بهما العدو على أعقابه، وطرده من مصر، ثم تولى هذا الأمير العرش بعد وفاة الملك، وأنشأ أسرة جديدة، هي الثانية عشرة.

عصر الإقطاعات

لم يكن اللوك الذين حكموا مصر، منذ سقوط الأسرة السادسة، حتى قيام الأسرة الحادية عشرة، من السلطة في البلاد سوى الاسم، أما النفوذ الحقيقي فكان بيد أمراء المقاطعات، الذين استقلوا بتدبير مقاطعاتهم، ونافس بعضهم بعضا.

ورغم اتحاد مصر مرة ثانية، في عهد الأسرة الحادية عشرة، فقد بقيت الإسراء سلطتهم في الأقاليم، غير أنهم صاروا أكثر ولاء واتصالًا بالملك.

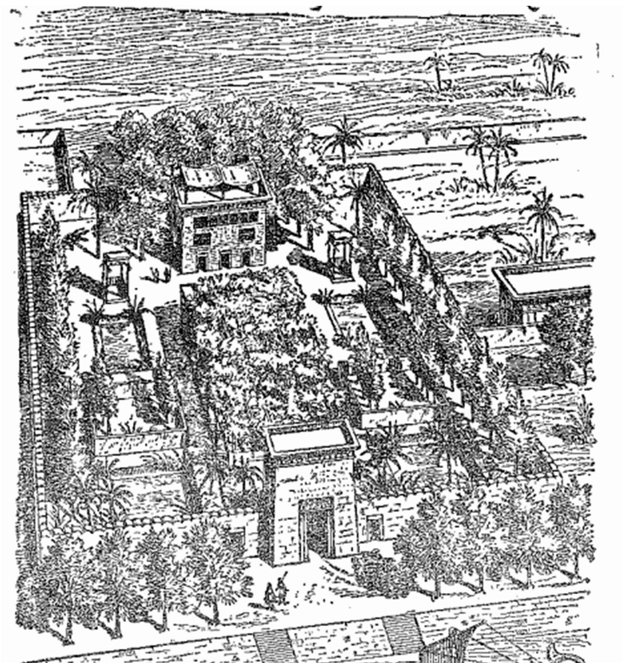
ولما ارتقى أمنحتب عرش مصر، وأنشأ الأسرة الثانية عشرة، كان نفوذ الأمراء قد بلغ غايته، فلم يحاول أن يخضعهم بالقوة، أو يسلبهم نفوذهم، الذي تمتعوا أجيالًا طويلة، دفعة واحدة بلي رأى من حسن السياسة، أن يقربهم إليه،

بالحزم والدهاء تارة، وتقديم الهدايا، ومنهم الهبات والعطايا تارة أخرى، فأخلصوا له، وتفانوا في خدمته وطاعته، وأصبح العهد الإقطاعي قائمًا على أسس واضحة، تحدد العلاقة ما بين الملك والأمراء.

حالة مصر في ذلك العصر

مدى استقلال الأمراء:

كانت مصر في ذلك العصر مقسمة إلى إقطاعات، بعضها كبير، وبعضها الآخر صغير، يحكم كلًا منها أمير. ومع أن هؤلاء الأمراء ولم يتولوا مناصبهم بأمر الملك، بل بطريق الوراثة، فإنهم كانوا يشعرون بواجب الولاء لفرعون مصر، ينصرونه إذا حارب، ويمدونه بالمال كلما دعت الحاجة. وقد بلغوا



قصر وحديقة لنبيل مصري في الدولة القديمة

درجة عظيمة من القوة والسلطان، في عهد الأسرة الحادية عشرة، فكانوا أشبه بفراعنة صغار، شيدوا في أقاليمهم قصورًا شامخة، واتخذ كل منهم لنفسه حاشية كبيرة، ورئيسًا للمالية، وهيئة قضائية، وعدة دواوين، وكتبة وموظفين.

وكان الأمير يجمع الضرائب في إقطاعيته، ويرأس هيئاتها الدينية، ويقود جيشها الثابت المنظم، وبذل غاية جهده لإرضاء سكانها، ويخلف آثارًا ترفع من شأنه، في أعين الأجيال التي تخلفه.

الحالة الاجتماعية:

وكان الأمراء في عهد الدولة القديمة، يعيشون حول الملك في عاصمته، ثم– أخذوا منذ أواخر الأسرة السادسة، يستقرون في مقاطعاتهم، ويعيشون فيها عيشة الترف والنعيم، ويمارسون أعمال الصيد والرياضة.

وإلى جانب الأمير والمترفين من أبناء الطبقة العليا، بدأت طبقة جديدة في الظهور، هي الطبقة الوسطى، من التجار وملاك الأرض، ورجال الفن والصناعة، وكان على رأس هذه الطبقة موظفو الحكومة، الذين ساعدتهم ثقافتهم، على الارتفاع فوق مستوى أقرانهم ممن لا ثقافة لهم.

وقد عمل أفراد هذه الطبقة، على محاكاة أفراد الطبقة العليا، في حياتهم ونظام معيشتهم، وهن في جريمة دفنهم، فبنوا القبور، ونصبوا عليها لوحات تذكارية، نقشوا عليها أسماءهم، وأثبتوا فيها أعمالهم.

وكانت الطبقة الدنيا، من طبقات المجتمع في ذلك العصر، هي طبقة الفلاحين وصغار الصناع والعمال، وهؤلاء أيضًا عثر لهم على قبور، مبين عليها ما كانوا يقومون به من أعمال.

الحالة المالية:

كانت أملاك كل أمير على نوعين: نوع يرثه عن سلفه، ونوع ثان يهبه إياه الملك، ليشرف عليه طول حياته فقط. وكان للملك في الإقطاعيات موظفون يشرفون على أعمال الحكومة، ومع ذلك كانت رقابهم اسمية، وكان النفوذ الغالب للأمير، الذي كان يقوم بنفسه بجمع الضرائب، ويرسل إلى بيت المال اللي نصيبه منها.

ولم تكن تلك الضرائب، المورد الوحيد للإيرادات الملكية، بل يضاف إليها ما كان يصل إلى بيت المال من ذهب بلاد النوبة، والصحراء الشرقية، وأرباح التجارة مع الصومال، وإيراد محاجر سيناء ووادي الحمامات.

الجيش:

لم يكن لمصر في ذلك العصر، جيش واحد، وإنما كان بها عدة جيوش، منها ما هو خاص بالملك، ومنها ما هو تابع للأمراء.

أما جيش الملك، فكان يتكون من أفراد، أطلق عليهم، أتباع صاحب الجلالة، ومن واجباتهم حراسة قصر الملك، والقلاع المصرية، الممتدة من بلاد النوبة إلى الحدود الأسيوية، ولم يكن هذا الجيش في جملته كبير العدد، ولكن يضاف إليه جيوش الأمراء في كل مقاطعة.

فإذا ما أغار على البلاد عدو، دعا الملك الأمراء، لنجدته، فيهب كل منهم على رأس جيشه، ويقفون جميعًا تحت راية الملك، يردون العدو، ويبعدون الخطر عن البلاد.

أما في وقت السلم، فكان جنود الأمراء، يقومون بالمساعدة في الأعمال الهامة، التي تجرى في الإقطاعيات، كحفر الترع، وبناء القصور، وإقامة التماثيل.

الأسرة الثانية عشرة

ميزاتها:

يعد عصر الأسرة الثانية عشرة، أزهى عصور الدولة الوسطى، إذ انتشر فيه الأمن وساد النظام، وتقدمت الزراعة بفضل عناية ملوكها، الذين آثروا صالح الشعب، على بناء الأهرام الضخمة. وفي هذا العصر أحييت العلوم والفنون، وشيدت المباني، ونشطت التجارة بين مصر والخارج.

أمنمحت الأول:

أسس هذا الملك الأسرة الثانية عشرة، وقد ذكرنا أنه ساس أمراء الإقطاع بالحكمة والاعتدال، حتى أخضعهم إليه، وأصبحت كلمته هي العليا في البلاد. وقد صرف في عمله هذا، الشطر الأكبر من أيام حكمه، وهيا لأبنائه من بعده أن يحكموا مصر قرنين من الزمان، نعمت فيهما البلاد بإدارة حازمة، وحكومة عادلة، وأيد عاملة منتجة.

نقل العاصمة من طيبة:

رأى أمنمحت الأول، أن مدينة طيبة، حاضرة الأسرة الحادية عشرة، تقع في جنوبي مصر، ويصعب عليه إدارة البلاد كلها، منها، فنقل حكومته إلى الشمال، إلى مدينة جديدة، سماها "إتت تاو"، بناها على ضفة النيل الغربية، جنوب مدينة منف، وعلى مقربة من قرية لشت الحالية، وبجوارها اهم هرمه، الذي ما تزال بقاياه موجودة إلى اليوم.

إصلاحات أمنمحت:

ومن مآثر هذا الملك، اهتمامه بصالح الفلاحين، فحدد لهم الأراضي، منعًا للمنازعات، ووزع عليهم الماء بالعدل، وأقام الأمن في البلاد.



تمثال أمنمحت الأولى

حروبه:

استأنف أمنمحت إرسال الجيوش نحو الجنوب لغزو النوبة، وكانت الحملات عليها قد وقفت تقريبًا، منذ انتهاء الأسرة السادسة، فأعاد فتح جزء كبير منها حتى كورسكو، وعادت جيوشه ظافرة، حاملة الكثير من الأسرى والغنائم.

وفي عهده شن البدو الأسيويون عدة هجمات على شرق الدلتا، فطردهم وعاقبهم، وأقام الحصون، ووضع الحاميات على الحدود الشرقية، لحراسة البلاد ووقايتها من شرهم.

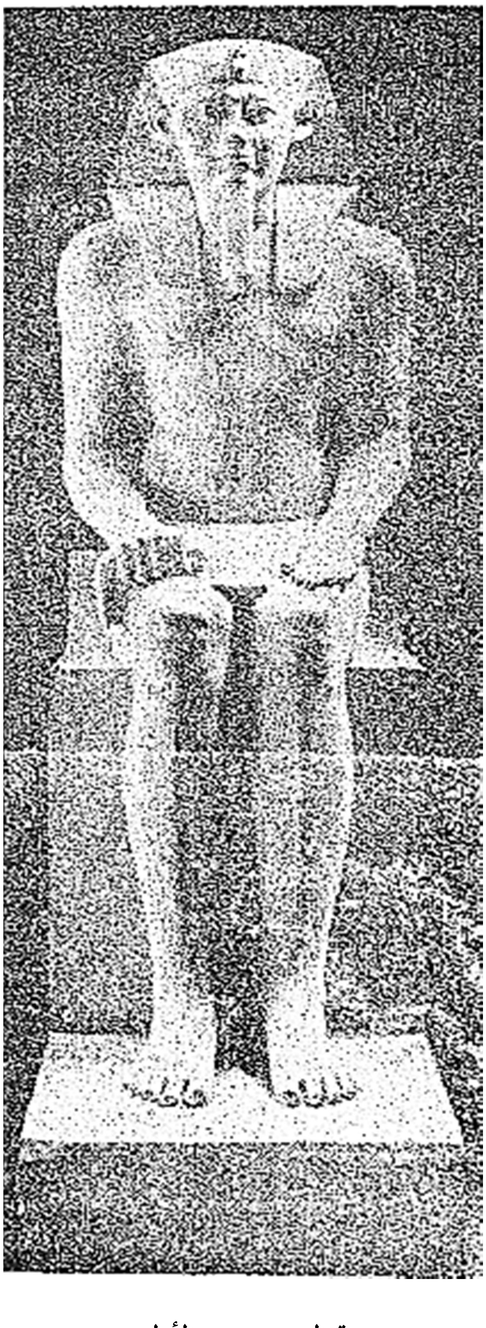
وما كاد أمنمحت. يفرغ من توطيد ملكه، وتثبيت عرشه، حتى دبره له بعض أفراد أسرته مؤامرة، لقتله في قصره، ولكنه نجا من شرهم، ثم أشرك معه في الحكم ابنه «سنوسرت» سنة ١٩٨٠ ق.م، كي يتدرب على أعباء الحكم، ويمرن على تحمل مشاقه ومسئولياته، وقد صار عمله هذا سنة، أتبعها خلفاؤه من ملوك الأسرة الثانية عشرة، فوجدوا من أبنائهم أولئك، أعوانًا صادقين في تنفيذ ما كانوا يرمون إليه من أعمال وإصلاح.

وفاته:

ومات أمنمحت الأول سنة ١٩٧٠ ق.م، وابنه يحارب الليبيين على حدود مصر العربية.

سنوسرت الأول

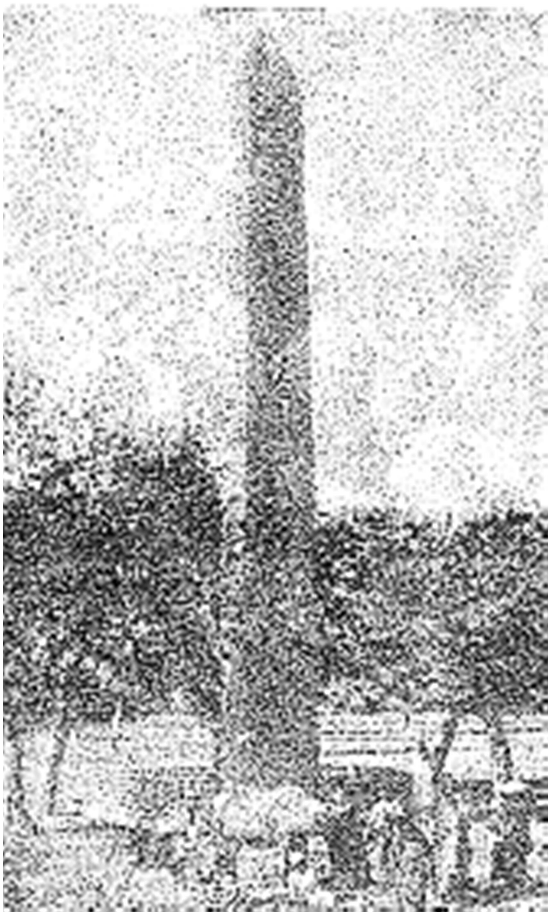
تولى الملك بعد أبيه، وسار سيرته في الفتح، وتوغلت جيوشه في بلاد النوبة، حتى وصل إلى بلاد "كوش"، التي تقع بين الشلالين الثاني والرابع، وأصبح سلطان مصر على التوبة كاملًا، وأخذ ذهبها يتدفق الى مصر.



تمثال سنوسرت الأول

وأوفد ابنه الى تلك الجهات، ليتعرف الى أهلها ويختبر أحوالها. وبدأ يستغل مناجم الذهب في الصحراء الشرقية، شرقي "فقط"، واتصل بالواحات الغربية، وأرسل الحملات لتأديب البدو على الحدود الشرقية، والله بن على الحدود الغربية.

ورغم هذه الأعمال الكثيرة التي قضت جهودًا كبيرة، فقد حل الرخاء واليسر، وتقدمت مرافق البلاد، وقامت بها نهضة فنية كبيرة، تظهر آثارها في مقابر "بني حسن" بمديرية المنيا. ولقد ترك سنوسرت الأول المسلة الشهيرة بالمطرية بالقرب من القاهرة.

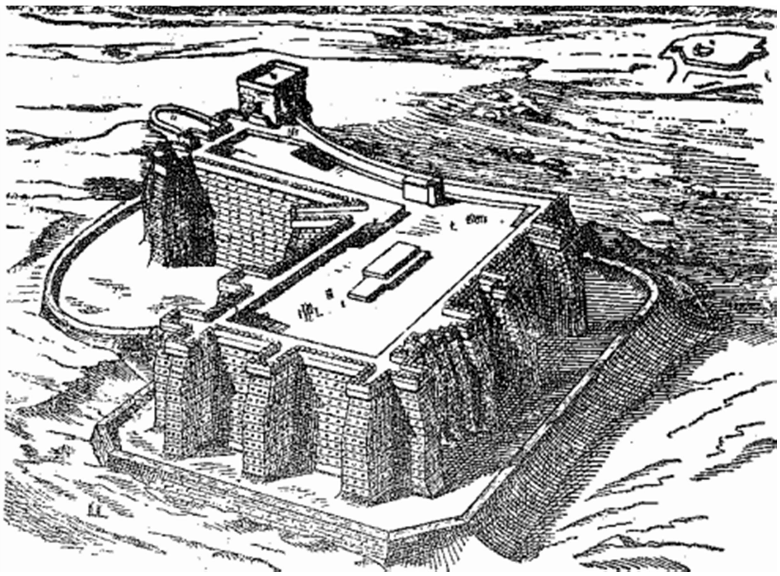


مسلة سيزوستريس بعين شمس

مسلية سيزوستريس بعين شمس. وفي أيام خلفه، ساد الهدوء والاستقرار، واستمرت الطمأنينية التي تمتعت بها البلاد منذ عهد امه امنمحت الأول، فنعمت بحكم سعيد، كله سكينة، وانصراف إلى تنمية الثروة الأهلية. واستؤنف العمل بمناجم النحاس في سيناء، وتوطدت أعمال التجارة مع بلاد بنت، وظل ذهب بلاد النوبة يكون ركنًا من أركان ثروة الملك، واستمرت الحال كذلك، حتى تولى الحكم سنوسرت الثالث.

سنوسرت الثالث

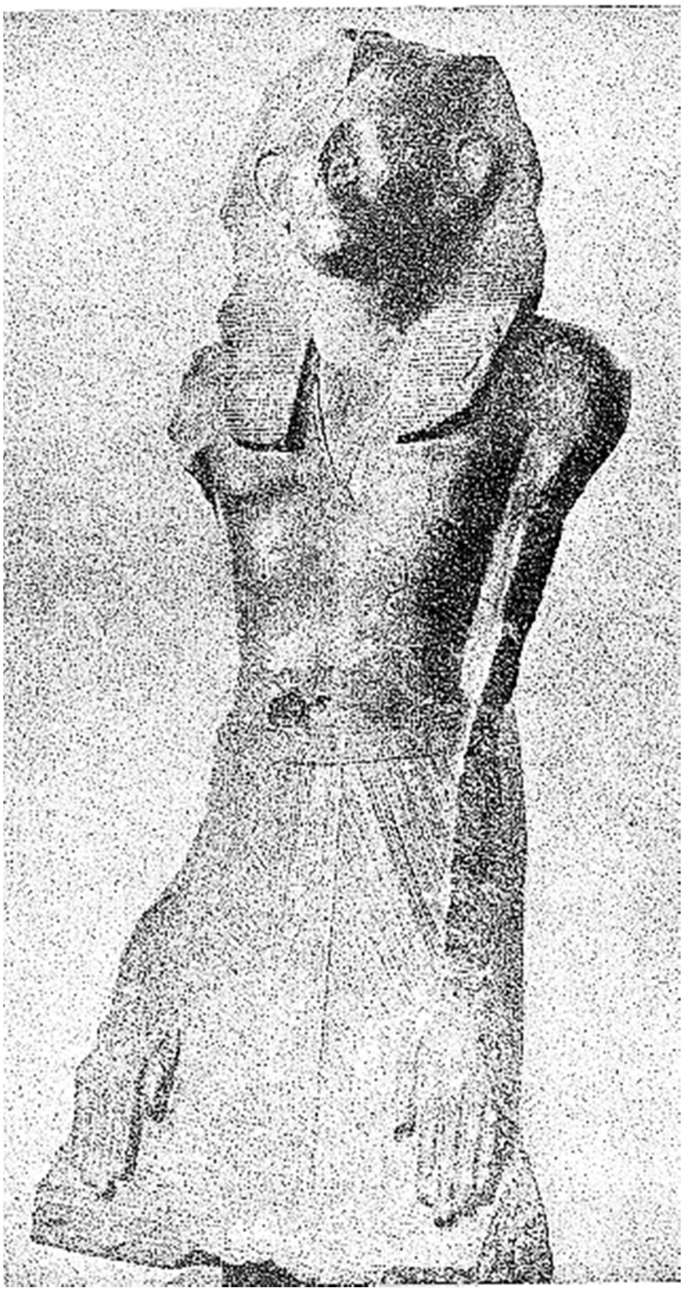
كان هذا الملك شديد البأس، فقبض على الأمور كلها بيده، وفقد الأمراء–ما كان لهم من نفوذ. وكان يميل الى الفتح، فغزا سوريا وأوقع الرعب في قلوب أهلها، وأتم فتح بلاد النوبة، فمد الحدود الجنوبية الى ما وراء الشلال الثاني وشيد بالقرب منه قلعتين متقابلتين، هما قلعتا "سمنة وقمنة"، لحماية الحدود الجديدة، وأمر الشعوب السوداء ألا تتجاوز تلك الحدود إلا للتجارة.



قلعتا سمنة وقمنة بعد الترميم

ولا تزال آثار هاتين القلعتين باقية إلى الآن، وهي تشير إلى ما بلغه المصريون في ذلك العصر من القدرة على بناء الحصون الدفاعية.

وكان الجهود التي قام بها هذا الملك العظيم، أثر كبير في تثبيت سيادة مصر على تلك الجهات، واعتبره المصريون فيما بعد إلهًا لهم وعبدوه.



تمثال سنوسرت الثالث

ومن أعماله العظيمة، أنه أعاد حفر المجرى الذي يخترق صخور الشلال الأول لكي يمهد السبيل لسير السفن في النيل، إلى ما وراء ذلك الشلال، كما أنه وصل النيل بالبحر الأحمر، عن طريق شرق الدلتا، بخليج يعرف بخليج دو سيزوستريس[٢].

ومات بعد أن حكم ٣٨ عامًا، قضاها كلها في الفتوح وأعمال الإصلاح.

أمنمحت الثالث

امتاز حكم "أمنمحت" الثالث بالمشروعات العظيمة، التي قام بها، والتي زادت كثيرًا في ثروة البلاد، وعادت عليها بالخير العميم، ومن أظهر أعماله:



النصف العلوي لتمثال أمنمحتب الثالث

٢ كان الإغريق يسمون سنوسرت، سيزوستريس **seso tris**.

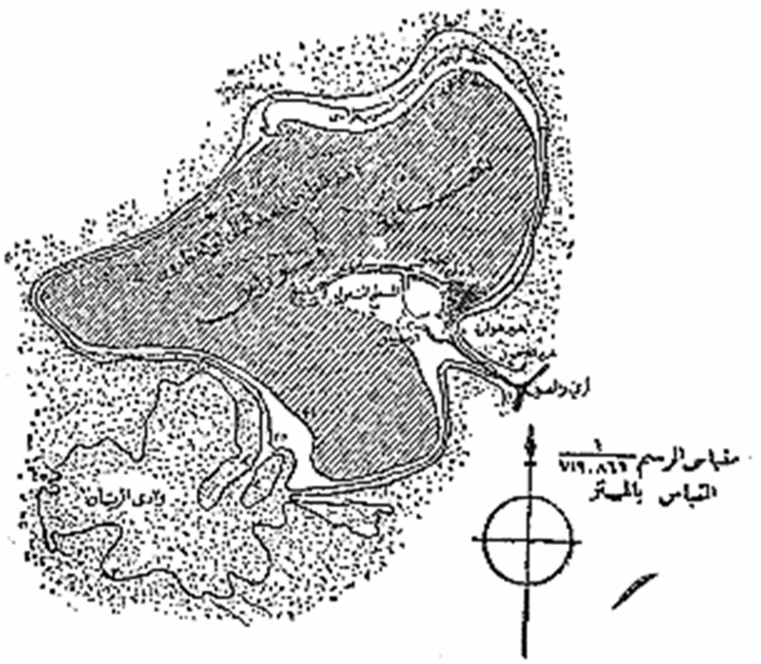
تنظيم مناجم سيناء:

رأى هذا الملك، أن البعوث التي تذهب إلى سيناء، تعاني مشاق جسيمة، من وعورة الطريق، وجفاف الصحراء، فعمل على إنشاء مساكن للعمال، وحفر الآبار، وأقام القلاع لصد هجمات البدو، ووضع المناجم تحت إشراف رؤساء، فرض على كل منهم مقدارًا ثابتًا من المعادن المستخرجة، يدفعه كضريبة الحكومة، فانتظمت بذلك حال المناجم، وصارت موردًا ثابتًا من موارد الدولة.

خزان الفيوم:

وكان أمنمحت الثالث، أعظم ملوك هذه الأسرة اهتمامًا بالري، فابتكر لري الوجه البحري، طريقة عملية ناجحة، ذلك أن فيضان النيل، كان يغمر إقليم الفيوم سنويًا، لانخفاضه عن سطح النيل، فيتحول الى بحيرة عظيمة، كانت تعرف "بحيرة موريس"، وكانت المياه تصل إلى هذا الإقليم من فجوة في الهضبة الغربية جهة الفيوم.

وقد حاول المصريون في عصر ما قبل التاريخ، وفي عهد الأسر المختلفة، أن يمنعوا طغيان المياه على أراضي الفيوم، كي يستغلوها في الزراعة، فأقاموا لهذا الغرض سدًا عند اللاهون، في الفجوة التي تصل وادي النيل بمنخفض الفيوم. ولما تولى الملك أمنمحت الثالث، من هذا السد حتى صار طوله ٢٧ ميلًا، وبذلك أمكنه أن يجعل من تلك البحيرة خزانًا عظيمًا، تخزن فيه المياه، لاستعمالها في ري أراضي الوجه البحري وقت التحاريق، وبهذه الطريقة انحسرت مياه النيل عن حوالي سبعة وعشرين ألفًا من الأفدنة، أصبحت صالحة للزراعة، وكانت كلها ملكًا للملك. ويعتبر هذا المشروع، من أعظم الأعمال الهندسية في العالم القديم.



مقياس سمنة:

كان الموظفون في عهد أمنمحت الثالث، يسجلون ارتفاع الماء وانخفاضه، في نهر النيل، على صخور قلعة "سمنة"، عند الشلال الثاني، فنشأ بذلك ما يعرف بمقياس النيل. وهو كبير الفائدة.. إذ تستطيع به الحكومة، مراقبة النهر، ومعرفة مدى فيضانه، ويساعدها هذا في تقدير ما تنتجه الأرض من محصول، وما ينبغي أن يفرض عليها من ضرائب، ولا تزال البيانات التي سجلتها المصريون في ذلك العصر، باقية إلى اليوم. ومقارنتها بما تسجله مقايس النيل في عصرنا الحالي، يتضح أن فيضان النيل وقتئذ كان أعلى بوجه عام، مما هو عليه الآن.

اللابيرنته:

بني أمنمحت الثالث قصرًا ضخمًا عند "هوارة"، على مقربة من السد الذي أقامه بلغ طوله حوالي ألف قدم، وعرضه ثمانمائة، اتخذه مقرًا للحكومة، وكان

يشتمل على حجرات، تبلغ في عددها عدد أقسام مصر الإدارية، ومنه كانت تدار البلاد عامة. والظاهر أن كثرة غرفه، وتعدد طرقاته، أكسبته فيما بعد، اسم "لابيرنته Labyrinth"، تشبيهًا بقصر لابيرنته الكريتي، المذكور في الروايات الخرافية، لتشعب طرقه وحجراته.

وقد ذكر أحد المؤرخين القدماء، الذين زاروا هذا القصر العجيب، أن سقف كل حجرة من حجراته، كان من حجر واحد، وكذلك أرضها، ولم يستعمل في بنائه خشب أو ما شاكله من مواد العمارة.

خاتمته:

ظل أمنمحت الثالث، يحكم البلاد زهاء خمسين عامًا، نعمت فيها البلاد من جنوبها إلى شمالها، باليسر والرخاء، ولما مات سنة ١٨٠١ ق.م، دفن في هرمه بجهة دهشور.

نهاية الأسرة الثانية عشرة:

كان موت أمنمحت الثالث، نذيرًا بسقوط أسرته، إذ خلفه ابنه الذي حكم البلاد تسع سنوات، تجلى فيها ضعفه، ولما مات خلفته أخته[٣]، فحكمت أربع سنوات، جاهدت خلالها لإبقاء العرش في أسرتها، ولكن موتها، ختم عهد الأسرة الثانية عشرة، التي حكمت مصر نحو ٢١٣ سنة.

سقوط الدولة الوسطى: عادت مصر بعد الأسرة الثانية عشرة، إلى حالتها بعد الأسرة السادسة، لأن ما ساد البلاد من الاضطراب والفوضى في كلتا الحالتين، يرجع إلى ظروف وعوامل متشابهة، ذلك لأن ازدياد نفوذ الأمراء، وعظم شوكتهم، نتيجة لازمة لضعف الملكية.

---

(٣) سبك نفرو رع

انتقل الحكم من الأسرة الثانية عشرة إلى الثالثة عشرة دون نزاع، ولكن لم يكد يجلس أول ملوكها على العرش خمس سنوات، حتى خلع منه.

وتبع ذلك عصر فتن وشقاق وحروب داخلية، بين أمراء الأقاليم، ابتغاء الوصول إلى العرش، حتى حكم منهم ستون ملكًا زهاء قرن وربع قرن، وكانت مدة حكمهم تتراوح بين سنة وثلاث سنوات، وبلغت أحيانًا يومين أو ثلاثة أيام. وأدى تنازعهم على الملك إلى اضطراب الحكومة، واختلال الأمن، وساءت الحالة الاقتصادية، لإهمال الري وسوء توزيعه، وكثرة الضرائب التي فرضها الملوك والحكام على الشعب، لإنفاقها في حروبهم الداخلية.

ولما كانت البلاد على هذه الحال، من الشقاق والتفكك والضعف، كان من السهل أن تقع غنيمة في أيدي الفاتحين من الأجانب، ففي أواخر الأسرة الثالثة عشرة، حوالي سنة ١٦٥٧ ق.م، أغار على مصر قوم أسيويون، وهم الذين يعرفون "بالهكسوس".

حضارة مصر في عهد الدولة الوسطى

ازدهرت الحضارة في مصر في ذلك العصر، وبخاصة في عهد الأسرة الثانية عشرة، ومن أهم مظاهرها:

الدين: انتشرت عبادة إله الشمس ورع منذ الأسرة الخامسة، وغلبت ما عداها من العبادات، وفي عصر الدولة الوسطى، بلغت عبادة ذلك الإله ذروتها، ولم يستطع كهنة الآلهة الأخرى مقاومتها، أو الوقوف في وجهها.

ولما رأوا ما كان عليه كهنة "درع" من نفوذ وثروة، مما كان يغدق عليهم من عطايا وهبات، مالت نفوسهم إلى مقاسمتهم بعض حظهم وثرائهم، فأعلنوا أن معبوداتهم، إن هي إلا صور منوعة للإله رع. وأخذوا يضيفون اسم هذا المعبود إلى

أسماء آلهتهم، ومن ذلك آمون، إله مدينة طيبة، التي نشأت بها الأسرة الحادية عشرة، فصار اسمه "آمون رع".



آمون رع

وفي عصر الدولة الوسطى، كثر استعمال الأحجبة والتعاويذ، والصلوات والدعوات، اتقاء الشرور والأخطار التي كان القوم يعتقدون أن الميت سيواجهها في الحياة الأخرى.

الحساب بعد الموت:

أمن المصريون من قديم، بأن الإنسان سيحيا حياة ثانية بعد موته، ويدل على ذلك ما شهدناه من قبورهم، وما كانوا يضعون فيها من شراب وطعام، وما كانوا يصورون عليها من أعمال الميت، وأدواته في دنياه. وفي عصر الدولة الوسطى تطورت أفكارهم، وارتقت مداركهم، وجعلوا لحساب الميت بعد البعث نصيبًا كبيرًا من معتقداتهم الدينية، فيجزى المحسن بإحسانه، ويعاقب المسيء بذنبه، فاعتقدوا أن الميت، يقدم الى محكمة "أوزيريس"، ليحاسب على عمله، ويلقى جزاءه. وهذه المحكمة مكونة من اثنين وأربعين قاضيًا، يجلسون أمام أوزيريس، ويمثل كل منهم قسمًا من أقسام مصر.



يوم الحساب عند قدماء المصر بين: الإله أوزيريس جالس على عرشه يزن أعمال الميت، وتجده واقفًا بين تمثالين للعدالة في جانب الصورة الأيمن

ويقـف في الميـت علـى باب صـالة الحـق، فيترافـع عـن نفهمـه، منكـرًا ارتكـاب الآثام، متـبرئًا مـن المحرمـات: مـن السـرقة والقتـل، والسـلب والكـذب وشـهادة الـزور، والـرياء، والتجسـس، وامتهـان كرامـة المعبـودات والأمـوات وقـار ذلك من الآثام المستهجنة.

ثم يوضع قلب الميت في الميزان، تقابله ريشة العدلي، للتأكد من صدق دفاعه، فإذا اتضح حسن عمله، وطهارة قلبه، نطق أوزيريس بالحكم لصالحه، وفتحت له أبواب الجنة، أما إذا تبين أنه كان من المذنبين الظالمين، حكم أوزيريس عليه بقطع رأسه، وتمزيق جسده، وإلقائه في الجحيم.

الفنون

العـمـارة:

لم تعد المباني الملكية، من مقابر وأهرام ومعابد، موضع عناية الملوك واهتمامهم، كما كان الحال في الدولة القديمة، ولم تعن الحكومة بإنفاق الأموال عليها. ويرجع ذلك إلى أن ملوك هذا العصر، فضلوا عليها المشروعات النافعة، التي تعود على الشعب بالخير والرفاهية. وليس أدل على ذلك، من أن ملوك الأسرة الحادية عشرة بنوا أهرامهم باللبن، ولما تولى الحكم أمنمحت الأول، مؤسس الأسرة الثانية عشرة، شيد هرمه جهة اللشت باللبن كذلك، وكساه من الخارج لحجر الجيري، وحذا حذوه سائر ملوك الأسرة. وترى أهرامهم منتشرة على حافة صحراء ليبيا، من مدخل الفيوم حتى دهشور، جنوبي منف. ثم إن تعدد السطو على الأهرام وسرقة ما بها، من العوامل التي جعلت الملوك يستعيضون عن بناء الأهرام، بقبور منحوتة في الصخور الجبلية. وبهذه الطريقة انتهى تاريخ بناء الأهرام، التي هي أضخم الآثار المصرية.

النحت:

تأخر فن النحت عما كان عليه في عهد الدولة القديمة، من حيث كثرة التماثيل وارتقائها، ومطابقتها للطبيعة، ومع ذلك فقد امتاز النحت في هذا العصر بإطالة ساق التمثال، وترقيق الفخذين والعنق، بل الجسم كله. كما أن التماثيل الحالية، ظهر فيها لأول مرة وضع اليدين مفتوحتين على خذي التمثال. وتماثيل سنو ميرت الأول من أجمل تماثيل هذه الدولة، وهي منحوتة من الحجر الجيري، وتمثل الملك جالسًا على الصورة المتقدمة، وقد عثر عليها في معبده الواقع شرق هرمه باللشت، كما تعتبر تماثيل أمنمحت الثالث، من أهم التماثيل التي تنتمي إلى هذا العهد.

النقش والتصوير:

ويتجلى إتقان فن التصوير في قبور الأمراء بني حسن (مركز أبي قرقاص بمديرية المنيا)، وهي منحوتة في سفح الجبل، وتزدان جدرانها بالصور والرسوم، التي تمثل الحياة الدنيوية في أطوارها المختلفة، وعلى كل منها اسم الأمير ورتبه وألقابه، وصور لتسجيل حوادث إدارتهم لإقطاعاتهم.

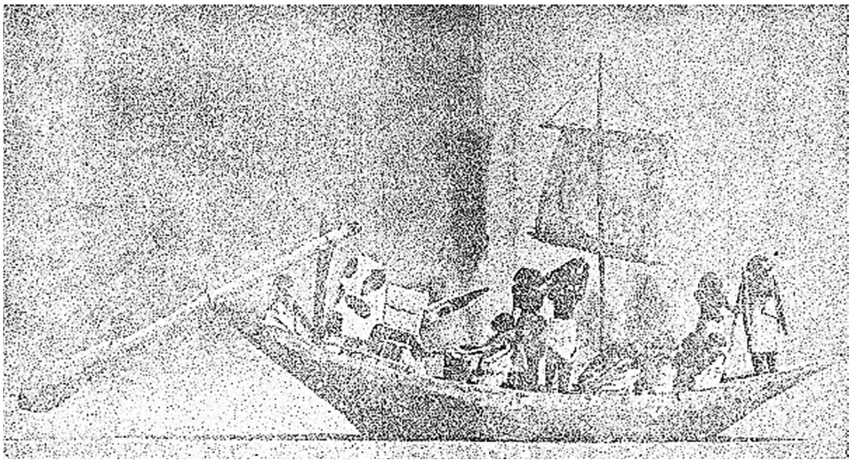


نموذج من الخشب لحود من المشاة المسلحين

صناعة الحلي:

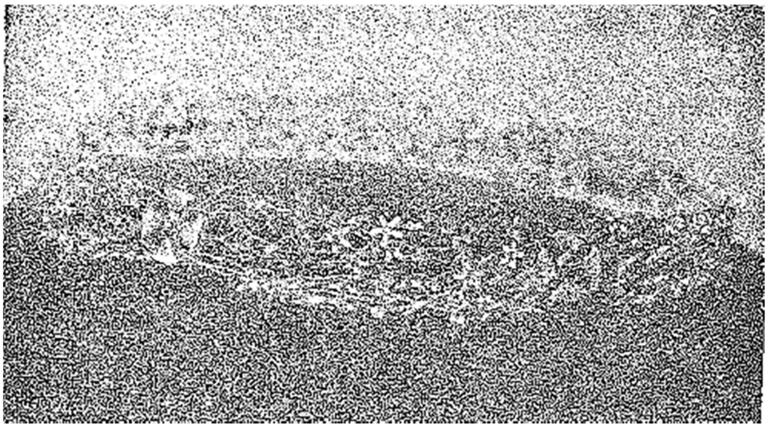
صاغ فنانو الدولة الوسطى أجمل أنواع الحلى، كالنياشين (الحليات الصدرية) والتيجان من الذهب والأحجار الكريمة، كالياقوت والفيروز، مستمدين موضوعاتها وزخارفها من عالم الحيوان والطير والنبات.

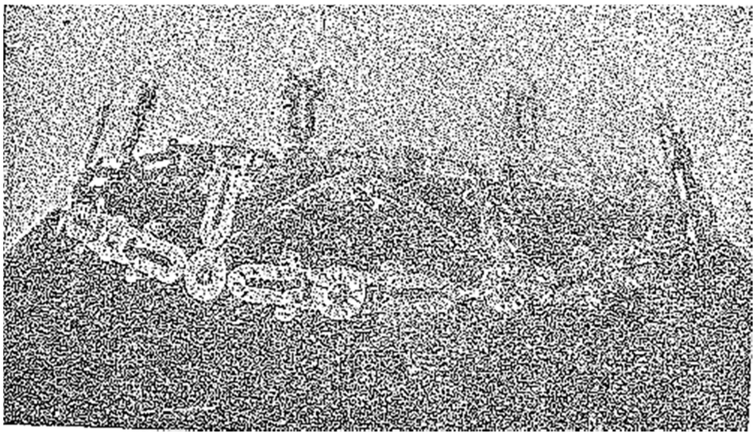
ومن أجمل حلى هذه الدولة، وأتقنها صنعًا، صدرية الملك سنوسيرت الثاني وتتألف من لوح من الذهب، مطعم بالأحجار الكريمة، بينها فواصل ذهبية، تكسر من حاسة بريقها. وكذلك صدرية الملك سنوسرت الثالث، وهي عبارة



نموذج من الخشب السفينة من بني حسن

عن لوح من الذهب، في أعلاه نسر ضخم، أسفله تمثالان لأبي الهول، يضمان بين أرجلهما أربعة من الأسرى.

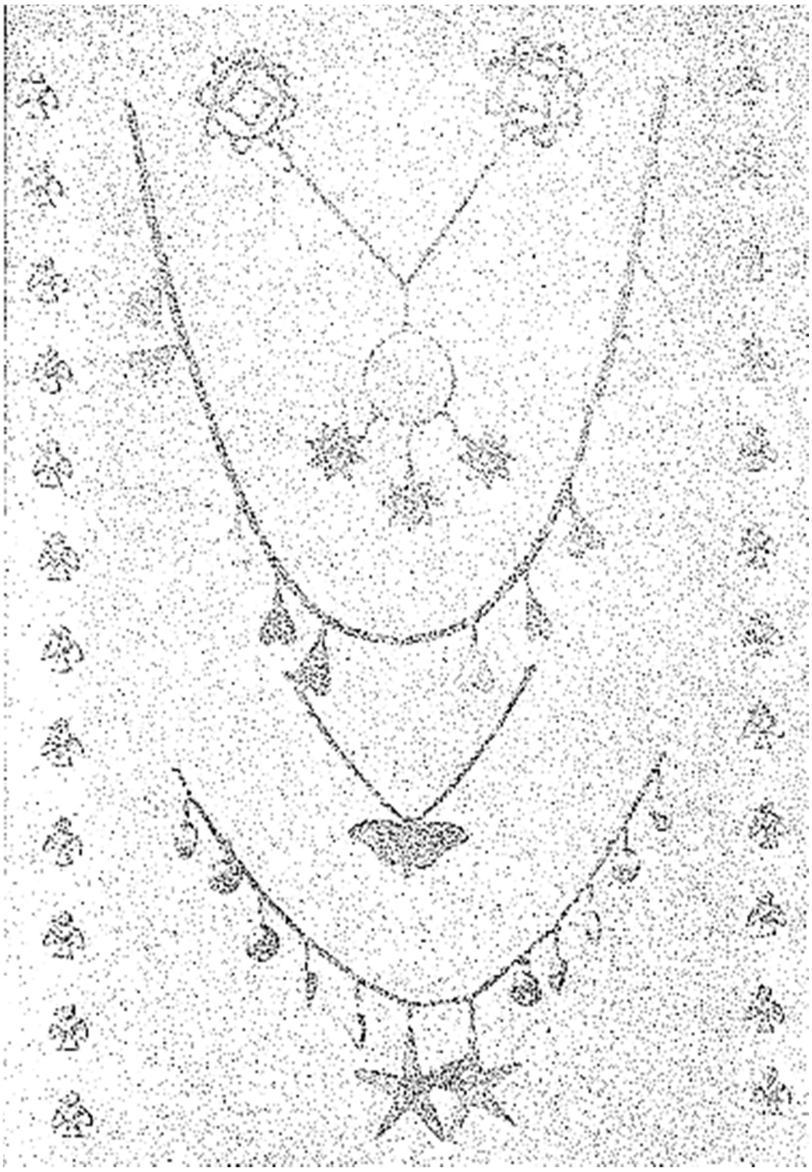




إكليلان لأميرتين من الأسرة الثانية عشرة

ويعتبر التاج الزهري لإحدى أميرات الأسرة الثانية عشرة، من أروع وأجمل تيجان العالم، وخطوطه الموجة، تنسجم مع الشعر، وتبدو الأزهار كأنما هي منثورة لتمنحه جمال الطبيعة.

ولقد بلغت صناعة الحلى من الذهب المرصع بالجواهر، في الدولة الوسطى، وبخاصة في الأسرة الثانية عشرة، مبلغًا من الإتقان، وحسن الذوق والإبداع، ينافس أخر ما تجود به فريحة الصائغ في عصرنا الحديث.



بعض أنواع الحلى من دهشور

كثر اشتغال المصريين في ذلك العصر بالأدب، وبخاصة القصص، التي بلغ إعجاب الناس بها حدًا، جعلهم يضعونها إلى جوار الميت في قره، لتسليته وإبعاد الوحشة عنه. ومن روائع القصص في هذا العصر، قصة "سنوحي" وقصة "البحار الغريق"، وتنسب كل منهما إلى الأسرة الثانية عشرة.

قصة سنوحي:

ومجملها أن أمنمحنت الأول، مؤسس الأسرة الثانية عشرة، توفي بينما كانت الحرب دائرة بين مصر والليبيين، وكان ابنه وولي عهده سنوسرت على رأس الجيش المحارب، وتحت إمرته قواد من بينهم أمير يدعى "سنوحي"، لم يكن معه على وفاق، فلما وفد رسول البلاط ينبئ سومرت بوفاة أبيه، وتوليته العرش بعده، سمح بذلك ، قرر سنوحي الفرار خوفًا على حياته من الملك الجديد، فعبر النيل، ومر بعين شمس، ثم سار في الصحراء شمالًا إلى سيناء. وعلى الرغم ما حل به من تعب وجرع وظمأ، تجلد وواصل السير حتى نزل على أحد البدو، وكان رئيسًا لإحدى القبائل، فأحسن لقاءه، وقدم له الماء واللبن، ولما استراح من التعب، عاد يواصل المسير عبر الصحراء، حتى وصل إلى بلاد الشام، وتنقل بين قبائلها، حتى استقر به المقام أخيرًا عند رئيس قبيلة من البدو. فحدثه سنوحي عن أمره، وأشاد بذكر ملك مصر، ومجد بطولته وسطوته، فأكرمه الرئيس ، وزوجه كبري بناته، وجعله رئيسًا لإحدى القبائل، ومنحه أرضًا تنتج عنبًا وتينًا، وزيتونًا وقمحًا وشعيرًا، وبها لبن وعسل، وقطيع كبير من الماشية.

ولما عظمت مكانة سنوحي في البادية، وارتفعت منزلته عند رئيس القبيلة، ثارت الغيرة والحسد في نفس أحد سكان البادية، وكان مهابًا قوي السطوة عظيم البطش، فاعتزم قتل سنوحي، ليحل محله ويستولي على أراضيه وأملاكه، فنازله سنوحي في جمع من البدو، وتجلت براعته في الحرب، حتى أرداه قتيلًا بسهم صوبه

إلى نحره، فهتف الناس بحياة الأمير المصري، الذي أراحهم من شر ذلك الطاغية.

ولما طالت الغربة بسنوحي، وسارعت إليه الشيخوخة، خشي أن يدركه الموت، وهو بعيد عن مصر، فحن إليها وبعث برسول أمين، يحمل رسالة إلى الملك سنوسرت الأول، يظهر فيها خضوعه وولاءه، ويصور حاله من الضعف والشيخوخة، ويلتمس منه المغفرة والسماح له بالعودة إلى الوطن.

وعاد الرسول إلى سنوحي، يحمل أمر الملك بالعفو عنه، والسماح بعودته، فوزع ثروته هناك بين أبنائه، وعين أكبرهم رئيسًا مكانه، ثم أسرع الخطا إلى أرض الوطن، ودخل القصر الملكي، وهو ذاهل من فرحته، فقابله الملك والملكة والنبلاء، بحفاوة والكرام بالغين.

وكانت الغربة قد غيرت كثيراً من شكله ومظهره، حتى إن الملك قال مداعبًا من حوله: "انظروا!

هذا سنوحي، غادرنا مصريًا، وعاد إلينا أسيويًا، وفارقنا متمدنًا، وارتد إلينا بدويًا".

إغارة الهكسوس على مصر

أصل الهكسوس:

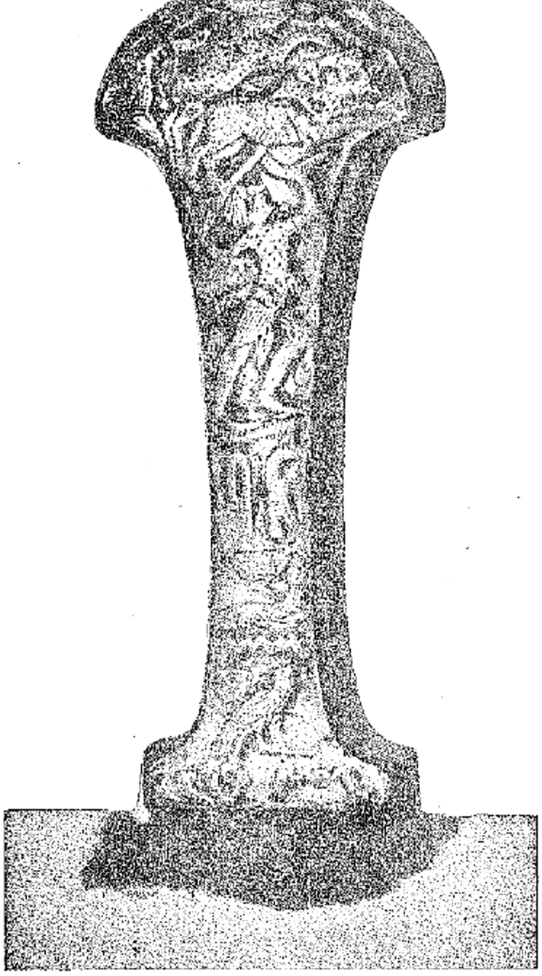
لما ضعف ملوك الأسرة الثالثة عشرة، وتفككت البلاد، بما نشب بين أمراء الأقاليم، من نزاع وحروب مستمرة، أغار على معمر قوم أسيويون، اختلفت آراء المؤرخين في تحديد أصلهم، وتباينت آراؤهم في سبب إطلاق اسم "الهكسوس" عليهم.

فمن المؤرخين من يقول، إن كلمة هكسوس، معناها "حكام الرعاة" إذ تتكون من شقين: Hyk، ومعناها في لغة المصرين القديمة: "ملك" وSos أي

"راعي"، ويقولون إن المصريين هم الذين أطلقوا هذا الاسم على الغزاة الأسيويين، وزادوا على ذلك، بأن وصفوهم بأنهم برابرة وكفار، لأنهم لما غزوا مصر، خربوا المعابد وتتلوا النساء والأطفال، وعاملوا الناس بقسوة ووحشية.

والأرجح أن الهكسوس، قوم ساميتون من العرب أو الفينيقيين، كانوا يحكمون سوريا وفلسطين، ثم غزوا مصر وحكموها، وقد أشار إلى ذلك أحد ملوكهم، إذ دون اسمه على الآثار، ونقش إلى جواره كلمة **Hyk** "الحاكم"، وكلمة أخرى قريبة الشبه في نطقها بكلية "**Sos**"، ومعناها "الأقطار". وبهذا يمكن القول إن كلمة "هكسوس" معناها حاكم الأقطار.

وكان الهكسوس يفوقون المصريين في فنون الحرب، بمعرفتهم العجلات الحربية، التي كانت تجرها الخيول، التي لم تكن معروفة في مصر وقتئذ، فتخترق صفوف المشاة، وتوقع فيهم الخلل والاضطراب، وقد كان لهذا التفوق اثر كبير في هزيمة المصريين.



قبضة خنجر لأحد ملوك الهكسوس

دخولهم مصر:

استولى الهكسوس على مصر بسهولة، وقد ساعدهم على ذلك، ما كانت عليه من ضعف وانحلال، بسبب الفتن والحروب الداخلية، التي استعرت نارها بين الامراء.

وقد اتخذ الهكسوس "أفاريس(*)" أو "هوارة" عاصمة لهم، لتكون وسطاً بين مصر، وأملاكهم في فلسطين وسوريا. وقد أستبقي الهكسوس الملوك المصريين على عروشهم، في خلال الأسرتين الثالثة عشرة والرابعة عشرة، واكتفوا بأن جعلوهم خاضعين لهم.

الأسرتان الخامسة عشرة والسادسة عشرة

ولما انقضت الأسرة الرابعة عشرة، قبض الهكسوس على زمام الأمر، وأصبح الملوك منهم، وأسسوا الأسرتين الخامسة عشرة والسادسة عشرة، والغالب أن حكمهم لم تزد مدته على مائة سنة. وكانوا أول أمرهم ظالمين، فجعلوا يحرقون المدن، ويحطمون المعابد، ويعتدون على الأهلين، ويستعبدون النساء والأطفال، غير أنه غلب عليهم التمدين المصري بعد ذلك، وحاولوا التمصر، وأحسنوا معاملة المصريين، وعبدوا معبوداتهم، وقلد ملوكهم الفراعنة، وبنوا المعابد على الطراز المصري. ومع ذلك فقد ظل المصريون ينظرون إليهم نظرة المهانة والاحتقار، ولم يقبلوا منهم أي نوع من التقرب، معتقدين أنهم وصموا بوقوعهم تحت حكم الهكسوس، وبخاصة كلما ذكروا ما لاقوه على أيديهم من عذاب وبلاء، في بداية أمرهم بمصر.

وقد قضى ملوك الهكسوس ردحاً من الزمن، كانوا فيه أقوياء، ثم أخذ نفودهم يضعف، وفقدوا ما كان لهم من هيبة في نفوس أمراء الأقاليم.

وحوالي سنة ١٦٠٠ ق.م، ظهر بمدينة طيبة أمراء مصريون عظام، يعدهم المؤرخون ملوك الأسرة السابعة عشرة، وقد عملوا على تخليص البلاد من

(*) مكانها غير معلوم بالضبط، ومن المرجح أن يكون في شرق الدلتا، قرب بحيرة المنزلة. ولم يبق من آثارها شيء، حتى ليتعذر تحديد موقعها، لأن المصريين دمروها بعد أن طردوا الهكسوس من بلادهم، وكذلك فعلوا بكل ما خلفوه من آثار، انتقاماً منهم، وكراهية لهم.

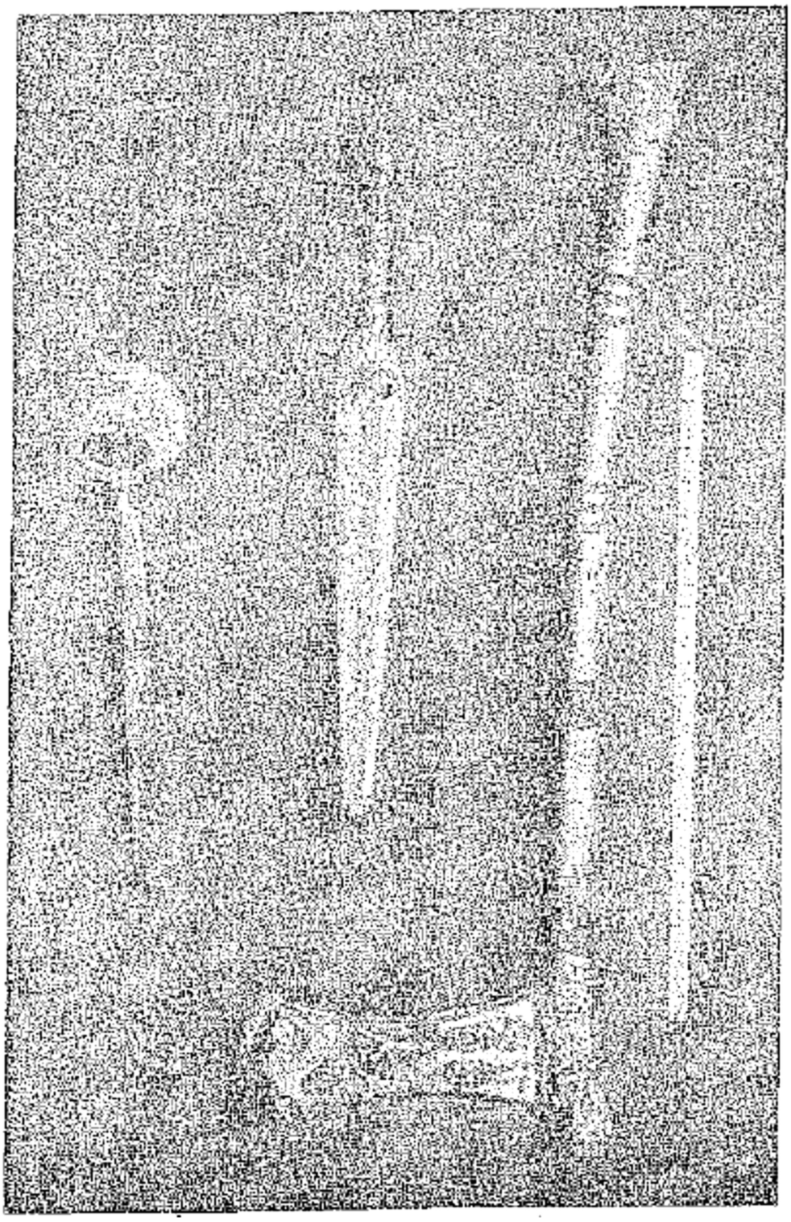
الهكسوس، فاستمالوا إليهم بقية أمراء الجنوب، وبخاصة أمراء الكتاب (نخب)، الذين كانوا على جانب كبير من القوة، لأن بعد بلادهم عن الشمال، جعلهم في مأمن من شر الهكسوس.

طرد الهكسوس من مصر:

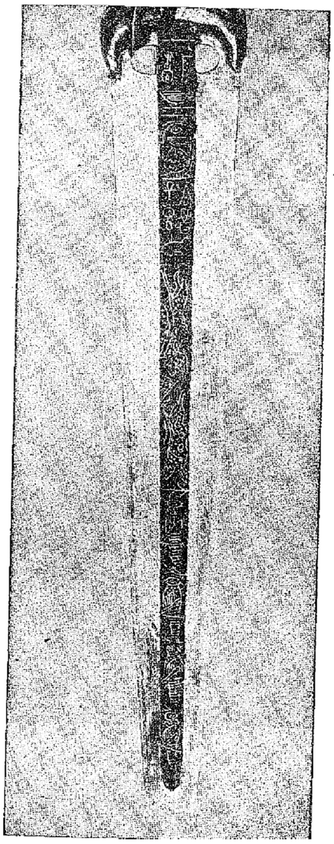
ولما سمع الهكسوس بنهوض طيبة، والتفاف أمراء الجنوب حولها، حاولوا القضاء عليها قبل أن يستفحل أمرها، فأخذ منك الهكسوس يتحكك في أمير طيبة ويختلق الأسباب لمحاربته. ومن ذلك أنه أرسل إليه رسولاً، ينبئه أن صوت عجل البحر، الذي يعيش في نهر النيل قرب طيبة يزعجه، ويقض مضجعه، وهو على مئات الاميال منه، في حاضرته أفاريس، في شرق الدلتا.

ولما كان عجل البحر هذا، حيواناً يقدسه المصريون، فقد عدوا التعريض به إهانة لهم، وهبوا يحاربون المكسوس، وظلت الحرب مستعرة سنين طويلة، حتى تولي الملك "أحمس الأول"، وهو في رأي المؤرخين أول ملوك الأسرة الثامنة عشرة. فعبأ أسطولاً نهرياً، بمساعدة أمراء الكاب، وأتجه به شمالاً ليحاصر أفاريس، عاصمة الهكسوس، واستولى عليها، وطرد الهكسوس من مصر، ثم أخذ يتعقبهم في فلسطين، وحاصر مدينة "شاروهين" في جنوبها الغربي، واستولى عليها بعد حصار ثلاث سنوات، وقام كذلك بحروب في الشام.

ثم وجه "أحمس" بعد ذلك همه إلى بلاد النوبة، بقصد استرجاع ما فقدته مصر منها، إذ كان من أثر الاضطراب، الذي حدث بالبلاد، بعد سقوط الدولة الوسطى، أن شقت النوبة عصا الطاعة على مصر، وامتنعت عن دفع الجزية، فغزا أحمس هذه البلاد وأخضعها.



أسلحة أحمس الأول مصنوعة من البرونز



القضاء على أمراء الإقطاع:

وبينما كان "أحمس" مشغولاً بحربه مع النوبيين، قام بعض الأمراء، الواقعة بلادهم جنوبي الكاب، بثورات، يبغون بها استعادة نفوذهم القديم، فحاور بهم أحمس مرات عدة، تلقى فيها عوناً كبيراً من أمير الكاب، واستطاع في النهاية أن يقضي على أولئك الأمراء. وبذلك، اختفت نهائياً آثار العهد الإقطاعي، وعادت إلى الملك سلطته الفعلية، على جميع البلاد.

الباب الرابع

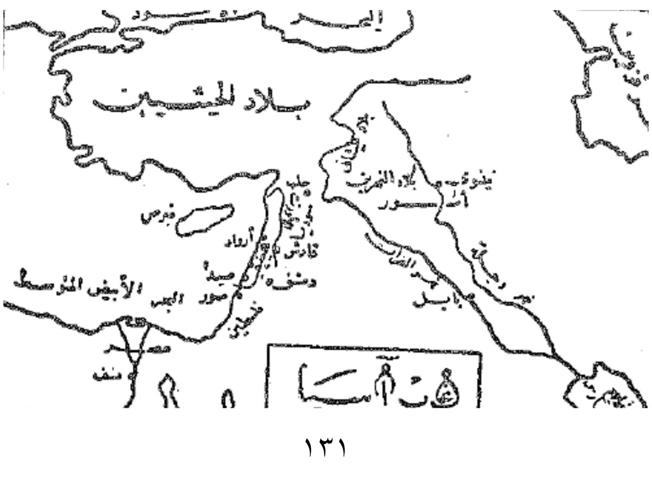
الدولة الحديثة

(١٥٨٠- ١١٥٠ ق.م)

الإمبراطورية المصرية القديمة

لما طرد "أحمس" الهكسوس من مصر، وتعقبهم في فلسطين وسوريا، وفتح الكثير من المدن، أخذت مصر تصطبغ بصبغة عسكرية، واتجه ملوكها منذ ذلك الحين، إلى العناية بالجيش، وأقبل المصريون. وبخاصة أهل الطبقة الوسطى، على الانخراط فيه، ويفاخر بعضهم بعضاً بأعمالهم الحربية، ويدونونها على قبورهم، تمجيداً لاسمهم، وتخليدا لذكراهم.

وبدأ الملوك يمدون أبصارهم إلى خارج حدود مصر، ففتحوا ممالك كثيرة، وغزواً أراضي واسعة، تكونت منها امبراطورية عظيمة، استمرت نامية. مزدهرة نحو خمسمائة سنة.



الإمبراطورية في دورها الأول

الأسرة الثامنة عشرة

أسس هذه الأسرة "أحمس الأول"، فحرر مصر من الهكسوس، وأخضع بلاد النوبة، وخلفه بعد وفاته "أمنحتب الأول". ولم يكد يتولى العرش حتى ثار النوبيون، محاولين الاستقلال عن مصر، فسار إليهم بنفسه وأخضعهم، وثبت سيادة مصر على بلاد النوبة حتى الشلال الثاني، وبذلك عادت حدود مصر، إلى الحد الذي بلغته في الأسرة الثانية عشرة.

وما كاد يفرغ من النوبيين، حتى دهم البلاد خطر خارجي جديد، إذ غار الليبيون على غرب الدلتا، واستولوا على بعض جهاتها، فأسرع لملاقاتهم وردهم عنها.

وبعد ذلك وجه جيوشه إلى آسيا، ووصل في فتوحة إلى شمالى الشام ونهر الفرات.

ولم يطل حكم هذا الملك بعد ذلك، إذ أدركه الموت في السنة العاشرة من حكه.

تحتمس الأول

سار هذ الملك سيرة سلفية في الفتح والغزو، فغزا بلاد النوبة، ووصل في فتحه إلى الشلال الرابع، وعين على تلك البلاد واليا يحكمها نيابة عنه.

ثم جهز جيشاً آخر سار به إلى سوريا، وتقدم دون أن يلقى مقاومة تذكر، حتى وصل إلى نهر الفرات، حيث نصب أثراً حجرياً، سجل عليه حدود مصر في تلك الجهات.

ولما شهد ملوك سوريا قوة ملك مصر، وقدرته على اكتساحهم، دفعوا له الجزية صاغرين.

تنازله عن العرش:

لم يكن تحتمس الأول من أصل ملكي، وإنما كان يحكم البلاد نيابة عن زوجة الملكة، وهي من سلالة ملوك طيبة، الذين طردوا الهكسوس من مصر، وقد أنجب منها أميرة، هي "حتشبسوت" أو "حاتاسو"، وكان في الوقت نفسية، قد تزوج من سيدتين أخريين، إحداهما أميرة، ولدت له "تحتمس الثاني" وأنجبت الأخرى ابنه "تحتمس الثالث".

ولما ماتت الملكة الشرعية، التي كان يحكم البلاد باسمها، أجبر على التخلى عن العرش، لتتولاه حتشبسوت ابنة الملكة المتوفاة، لأحقيتها بالملك، منه ومن أخويها، وقد تبع ذلك نزاع طويل بين الأخوة الثلاثة، انتهى بتولية تحتمس الثاني، الذي حكم البلاد مدة يسيرة، لا تزيد على ثلاث سنوات، أخمد فيها ثورة في النوبة وأخرى في فلسطين.

حتشبسوت:

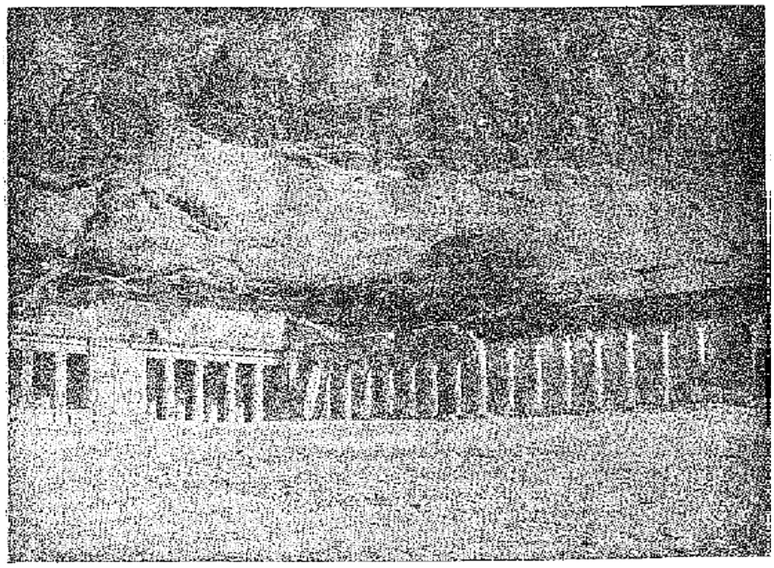
وبعد موته أراد أخوه تحتمس الثالث أن يستأثر بالعرش وحده، ولكن أعوان حتشبسوت أجبروه على أن يشركها معه في الحكم، فلما فعل ذلك، أخذت تستأثر بالسلطان دونه، فانزوى، وظل خاملاً طول حياتها، وتولي أعوانها جميع المناصب الرئيسية في الحكومة.

وحتشبسوت هذه ثالث امرأة عظيمة في التاريخ القديم، جلست على عرش مصر، حكمت البلاد اثنين وعشرين عاماً.

أعمالها السلمية

الدير البحري:

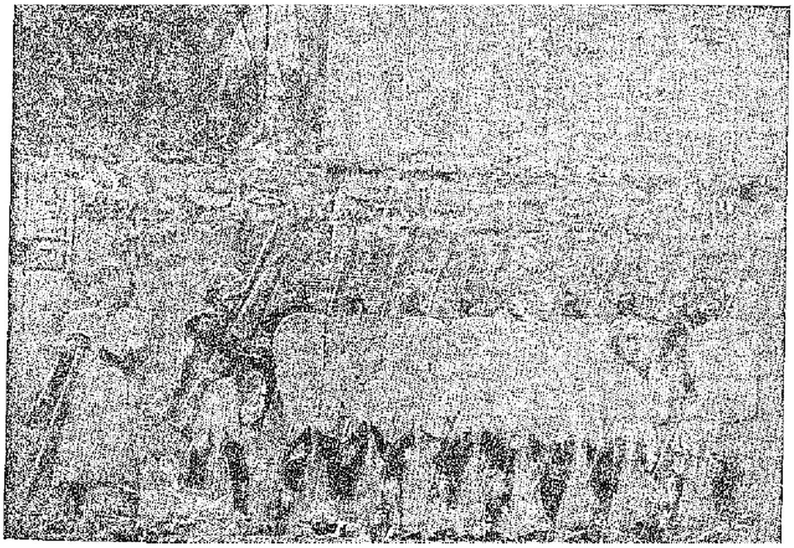
كان جل هم هذه الملكة، موجها إلى المشروعات السلمية، فشيدت معبدها البديع "الدير البحري"، في سفح جبال طيبة الغربية، وبه ثلاث شرفات مدرجة، ينتهي أعلاها بساحة عظيمة مرتفعة، وأمام هذه الشرفات، أقامت سلسلة من العمد الجميلة، وغرست فيه ما جلبته من بلاد بنت من الأشجار الثمينة.



سلسلة العمد الشمالية بالدير البحري

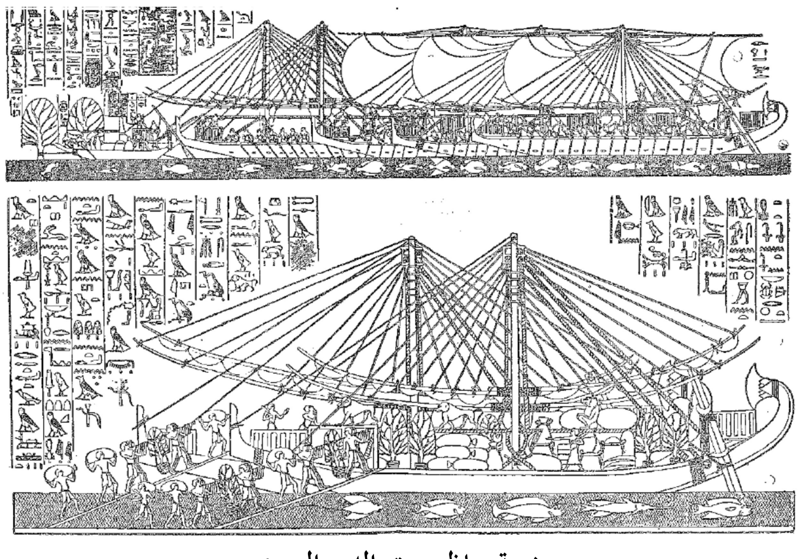
عمارتها البحرية إلى بلاد بنت:

وفي السنة التاسعة من حكمها، أرسلت عمارة بحرية مؤلفة من خمسين سفينة، سارت في نهر النيل أولاً، ثم اخترقت قناة في شرق الدلتا، حتى وصلت إلى البحر الأحمر، واتجهت إلى بلاد بنت، حاملة البضائع المصرية، وتمثالاً للملكة نصب في تلك البلاد، ثم عادت السفن تحمل خبرات تلك الجهات،



إحدى وحدات الجيش المصري في عهد حتشبسوت

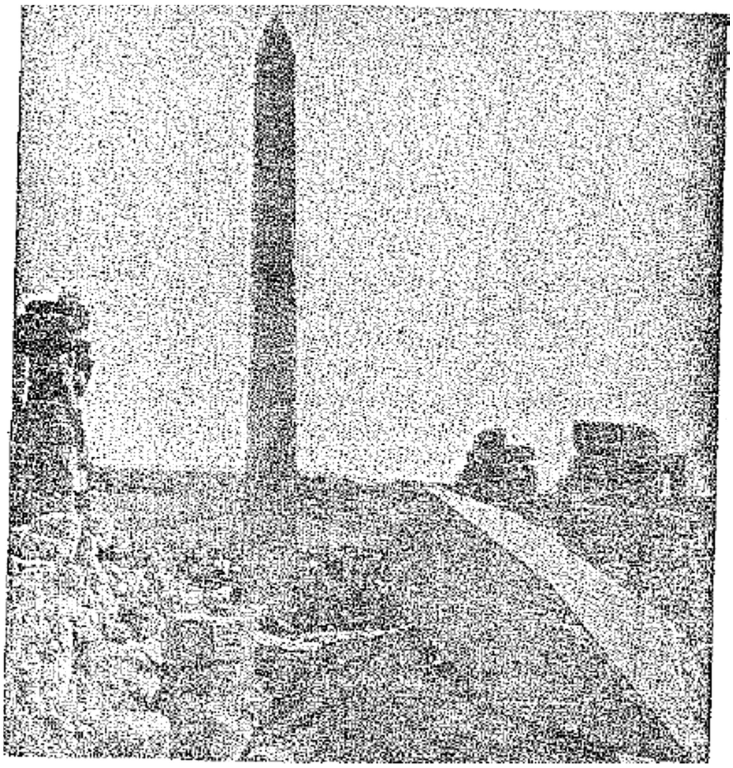
من أخشاب عطرية، وأشجار ثمينة، وأبنوس، وعاج، وذهب، إلى غير ذلك. وأمرت بنقش أخبار هذه الرحلة بارزة، على جدران معبد الدير البحري، ولا تزال هذه النقوش، من أبدع مخلفات هذا المعبد العظيم.



ضربة مناظر بيت الدير البحري

مسلتا الملكة حتشبسوت:

ومن أهم آثار تلك الملكة، مسلتان عظيمتان، أقامتهما في معبد الكرنك، الذي بدأ تحتمس الأول في بنائه، وطول الواحدة منهما سبعة وتسعون قدماً ونصف. وما تزال إحدى الملتين قائمة إلى اليوم، تثير إعجاب الناظرين،. بعظم طولها وروعة منظرها.



مسلة حتشبسوت بالكرنك

نهاية حكمها:

وفي أواخر عهد حتشبسوت، ضعف، نفوذ مصر في آسيا، وأخذ أمراء "الشام يثورون، راغبين في الإفلات من قبضة مصر.

ولما ماتت تلك الملكة العظيمة، آلت السلطة كالها إلى تحتمس الثالث، الذي ظل مغموراً مجهولاً طول مدة حكمها. فعمل على الانتقام منها ميتة، وتعقب أتباعها تقتيلا وتنكيلا، ومع ذلك كله، لم يستطع أن يحجب عن أعين المعالم عظمة حتشبسوت، ولا أن يزعزع مكانتها في تاريخ مصر القديم.

تحتمس الثالث

شخصيته:

لا انفرد "تحتمس الثالث" بالحكمة، تجلت شخصيته حتى أصبحت من أبرز الشخصيات في التاريخ المصري القديم، فهو بلا مراء، أول قائد عظيم في العالم، أقام أقدم امبراطورية في التاريخ، كانت تمتد من أعالي الفرأت إلى الشلال الرابع، وكان لأسطوله لسيادة على شرق البحر الأبيض المتوسط، إلى ما وراء بحر الأرخبيل

فتوحه:

فترت همة المصريين، بعد عصر تحتمس الأول، الزاخر بالحروب والفتوح، ومضت مدة طويلة لم تر البلاد الأسيوية حلالها جيشاً فتمرد، أمراؤها، وشقوا عصا الطاعة على مصر، بزعامة أمير "قادش" ، وأعلنوا انفصالهم عن الامبراطورية المصرية.

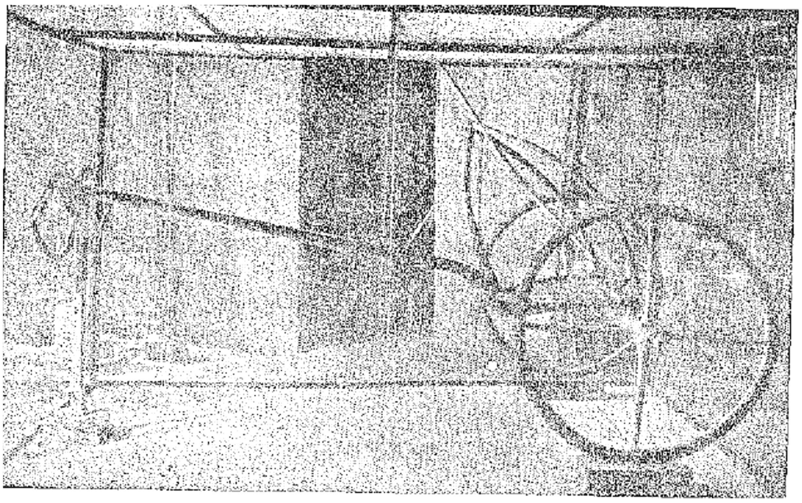
قلما تولى تحتمس الثالث، عزم دلى فتح تلك البلاد من جديد، حتى يتوطه النفوذ المصري فيها، فخرج لمحاربة أولئك الثائرين، في الثانية والعشرين من حكمه (باعتبار مدة اشتراكه مع "حتشبسوت)، على رأس جيشه إلى البلاد الأسيوية، التي تجمع أهلها لقتاله بزعامة "أمير قادش"، فهزمهم عند "مجدو" على السفح الشمالي لجبال "الكرمل"، وناد بنفائس فاخرة.

وقد تلا ذلك غزوات عدة، بعضها لإخضاع الثوار، والبعض الآمر الغزو والفتح، واستعان في بعضها بأسطول بحرى عظيم، فاستولى على كثير من المدن الهامة، مثل " أرواد في فينيقيا و"قارش" على نهر الأورنت.

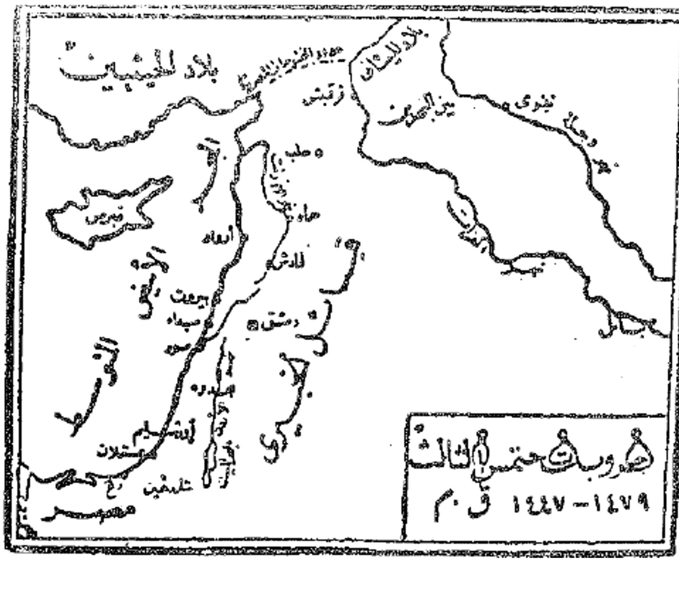


تمثال تحتمس الثالث

وقد بلغ من اتساع فتوحاته، أن وصل إلى " قرميش " على الضفة الغربية نهر الفرات، حيث انتصر على جيوش دولة "ميتاني"، التي تقع في أعالى ذلك النهر، ودخل بلادها ونصب فيها أثراً حجرياً، بجوار أثر تحتمس الأول



عربة من عهد الإمبراطورية مصنوعة من الخشب والبرونز والجلد



وقد بلغت غزوات تحتمس الثالث سبع عشرة غزوة، تمكن في خلالها من توسيع أملاك مصر توسيعاً يفوق كل ما سبقه، ومن تعزيز سلطانها في تلك الجهات، حتى لم يجرؤ حاكم أسيوي بعد الغزوة الأخيرة، أن يشق عصا الطاعة على هذا الملك المصري العظيم.

وبعد أن فرغ من حروبه الأسيوية، وجه همته إلى بلاد النوبة فثبت فيها حكم مصر حتى الشلال الرابع.

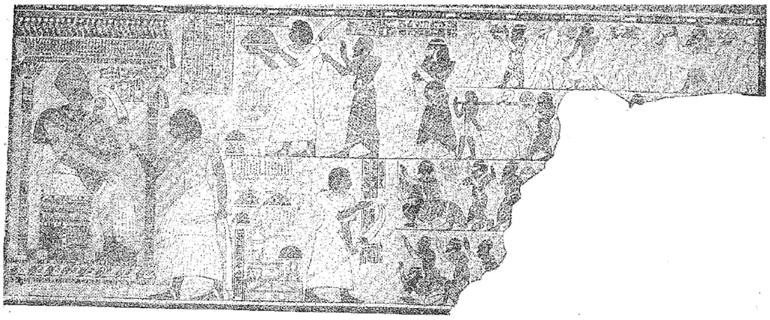


أسرى الزنوج

سياسته:

وكانت سياسة تحتمس الثالث، في حكم هذه الامبراطورية الواسعة، ترمي إلى توطيد الحكم المصري، فاستبدل بالأمراء غيره، ممن كانوا أكثر ولاء اور إخلاصاً، وأقام إلى جانبهم موظفين مصريين، يراقبونهم، وخوفاً من أن يهمل شأنهم، عزيز تحتمس جانبهم، بحاميات عسكرية مصرية.

ولم يفت تحتمس الثالث أن يعد العدة للمستقبل، ويصبغ البلاد الواقعة تحت سلطانه بصيغة مصرية، تساعد على ارتباط هذه البلاد بمصر، بروابط قوية، تجرى على أخذ أبناء أمرائها، ليربيهم في البلاط الفرعوني، على التقاليد المصرية،



فرعون يقابل الأسيويين

ويغذيهم بالحضارة المصرية وثقافتها، فإذا ما مات أحد أولئك الأمراء، حل محله ابنه، ممن أثرت فيهم العادات والتقاليد الفرعونية، ونشئوا نشأة مصرية صحيحة. وهكذا استطاع تحتمس الثالث، أن يضمن لمصر ولاء تلك الجهات.

والواقع أن تحتمس الثالث، كان أبرز شخصية في تاريخ مصر القديم، فقد فاق نشاطه كل نشاط، وكان حاد الذاكرة، لا يعرف الكل، مجيداً لقيادة الجيوش والسياسة، "وكان يعلم كل شيء، ولم يترك صغيرة ولا كبيرة، إلا أحاط بها، وما تناول أمراً، إلا أنهاه بنفسه".

وفاته:

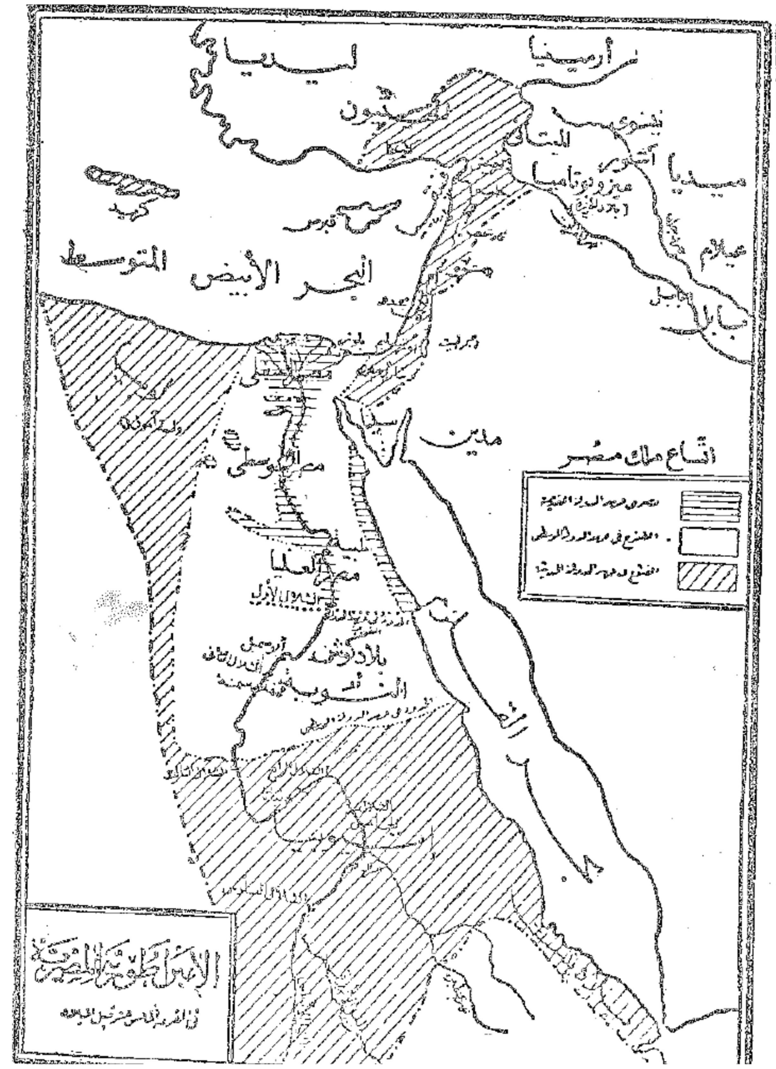
ولقد أسلم هذا الملك العظيم روحه، بعد أن مكث على عرش مصر **٥٤** عاماً ، إلا قليلاً.

الإمبراطورية من بعده:

فرح سكان بلاد النهرين والميتاني وشمال فينيقيا بموت تحتمس الثالث، وظنوا أن الفرصة قد منحت للثورة على مصر، واسترداد استقلالهم، ولكن خلفاء هذا الملك العظيم، ساروا سيرته في الحزم ومضاء العزيمة، فقضوا على الثورات، وأعادوا الأمن والهدوء إلى الامبراطورية الأسيوية. وكذلك أخمدت الجيوش المصرية

القلاقل، التي كانت تحدث من وقت لآخر في بلاد النوبة، نتوطد نفوذ مصر في تلك الجهات.

ولما فرغ الملوك من إخماد الفتن، التفتوا إلى الإصلاح والتنظيم الداخلى، نعم البلاد الرخاء. ومن أعظم أولئك الملوك حفيده أمنحتب الثالث.



أمنحتب الثالث

بلغت مصر في عهد هذا الملك درجة بعيدة في الحضارة والتقدم، وذاع صيتها فيها يجاورها من الأقطار، ونزل فرعون مصر في قلوب جيرانه الأسيويين أحسن منزلة.



رأس تمثال أمنحتب الثالث

سياسته الخارجية:

في السنة الرابعة من حكمه، شن الغارة على بلاد النوبة، لتأديب القبائل الدائرة، فهزم العصاة، وبلغ في ذلك إلى ما وراء الشلال الرابع، ثم عمل على تمصير تلك الأقطار، فنشر الثقافة والفنون المصرية، وعبد الأهالي آلهة المصريين، وصاروا يساهمون بنصيب في أعمال الحكومة.

أما في آسيا فقد بقيت لمصر مكانتها السامية، وخطب ودها الكثير من الملوك، وصار قصر فرعون لأول مرة في التاريخ، مركز الاتصال بين ملوك ذلك العصر.

رسائل تل العمارنة:

وقد عثر الباحثون في سنة ١٨٨٨ م على ثلثمائة رسالة، في جهة تل العمارنة قرب مدينة ملوي بمديرية أسيوط، وهي عبارة عن قوالب من الطين، منقوش عليها بالخط المسماري(٤) صورة الرسائل المتبادلة بين أمنحتب الثالث والرابع، وهؤلاء الملوك الأسيويين.

تقدم التجارة:

اتسع نطاق التجارة في عهد هذا الملك، حتى بلغت درجة لم تبلغها من قبل، فصارت القوافل البرية، وأساطيل البحرين الأبيض والأحمر، تجلب إلى مصر، الأخشاب النفيسة والعطرية والتوابل وغير ذلك، من الشام وبلاد الشرق، والآلات الحربية والأواني المزخرفة من فينيقيا. وكانت السفن الفينيقية في البحر الأبيض، واسطة في نقل البضائع، بين مصر وقبرص وجزر بحر إيجة، وبذلك أصبحت الدلتا سوقاً كبيرة لتجارة العالم، ومركزاً عظيماً لتبادل الثقافات المصرية والأجنبية.

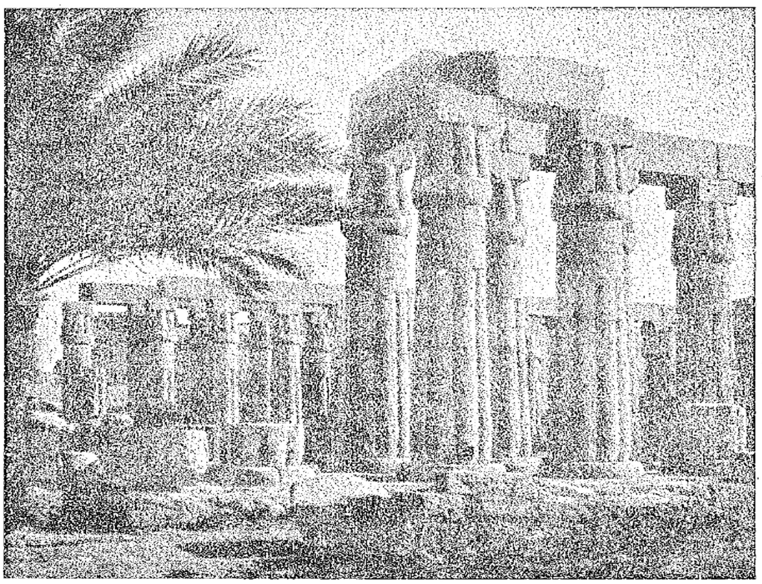
---

(٤)اسم الخط الذي كانت تستعمله هذه البلاد الأسيوية؛ وكان القلم أشبه بوتد، ويكتب به على ألواح من الطين، كانت تجفف بعد ذلك، في أفران خاصة.

فخامة طيبة:

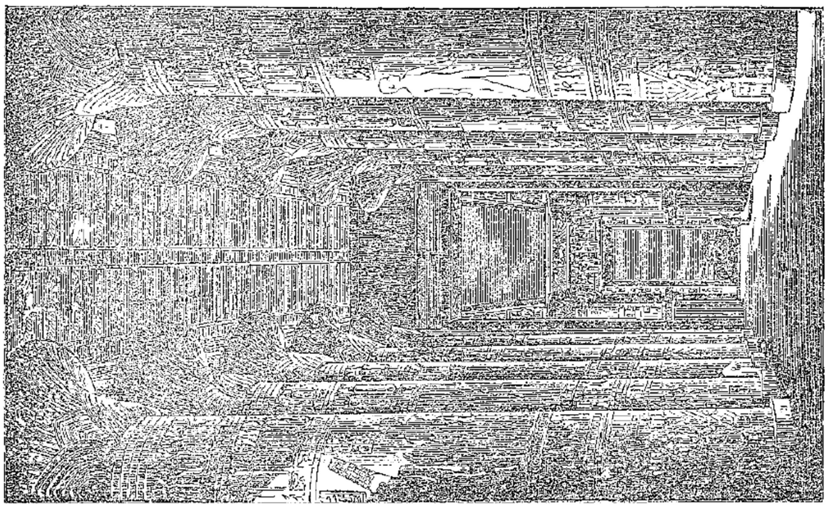
رأي أمنحتب أن طيبة أصبحت لا تليق بأبهة الملك في عصره، فبدأ له أن يخلقها خلقاً آخر، وكان لديه نوابغ المهندسين، وكل ما يحتاج إليه من مواد البناء والمال والرجال، فشقت الشوارع المستقيمة، وأقيمت القصور الفخمة، تحيط بكل منها حديقة بيعة، تجلب لها الأشجار من السودان، ومن بلاد بنت، كما شيدت بها المعابد الجميلة.

وقد كان أمنحتب الثالث، شغوفاً بالبناء والنقش والتصوير، فزاد في "معبد الكرنك"، وهو بناء هائل أسس بمدينة طيبة، للمعبود آمون، وشيدت أجزاؤه على عدة دفعات، وزاد فيه كل من حتشبسوت وتحتمس الثالث وأمنحتب الثالث، وغيرهم. ويعد المعبد في عصرنا الحاضر وثيقة تاريخية، إذ نستقي منه أخبار الحروب وأحوال البلاد، في عهد تحتمس الثالث وغيره من الملوك، الذين جاءوا بعده.



مساحة أمنحتب الثالث ذات العمد

وفي مدينة الأقصر، التي كانت وقتئذ ضاحية من ضواحي طيبة، أنشأ أمنحتب الثالث معبداً عظيماً، افتن المهندسون في بنائه وتنسيقه، ومن أجمل ما فيه، الدهليز ذو الأربعة عشر عموداً.



بهو الأعمدة

ثم وصل هذا الملك معبد الكرنك والأقصر، بحديقة طولها حوالي ميل ونصف، أنشأ بها طريقاً، وعلى كل من جانبيه، صف من تماثيل أبي الهول، جسم كل منها شبيه بجسم الأسد، ورأسه أشبه برأس الكمبش، ولهذا أطلق عليه "طريق الكباش".

وشيد معبداً آخر في الجهة الغربية من طيبة، كان آية في الفن وروعة البناء، ولكنه إندثر كله، ولا نرى اليوم سوى تمثالين للكلك، يعرفان "بتمثالي ممنون(٥)".

(٥)لازال أحد التمثالين باقياً إلى أليوم حافظاً لرنقه. ويقول المؤرخون إنه كانت تنبعث منه عقب شروق الشمس كل صباح، أصوات عذبة حزينة، وصل خبرها إلى الإغريق في بلاده، فاعتقدوا إنها

وإلى جانب هذا المعبد، أقام أمنحتب قصراً فخماً، بلغ في تصميمه وتأثيثه وتزيين جدرانه، درجة من الفن وجمال الذوق، لم تبلغها الفنون في أي عصر آخر من عصور مصر القديمة. وقد أصبح هذا القصر مقراً للملك.

نهاية حكمه:

وفي أواخر أيام هذا الملك العظيم، تعكر صفو السلام والطمأنينة، التي انتشرت في طول البلاد وعرضها، زمناً طويلاً، وذلك أن قوما يعرفون بالحيثيين، كانوا يحكمون بعض أجزاء آسيا الصغري، المجاورة لأملاك مصر في سوريا، أخذوا مهتدون بلاد "الميتاني"، ورسخت قدمهم في شمالها، وتطلعوا للاستيلاء على شمال سوريا. وكذلك تعرضت فلسطين لإغارات البدو من جهة الجنوب. وأدرك الموت أمنحتب قبل أن يرد الغزاة عن إمبراطوريته.

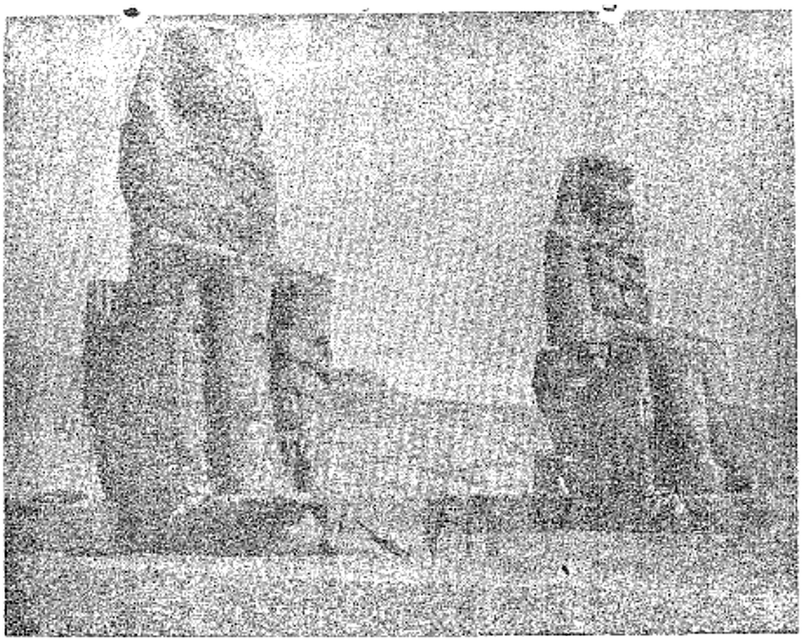


فاريق الكباش

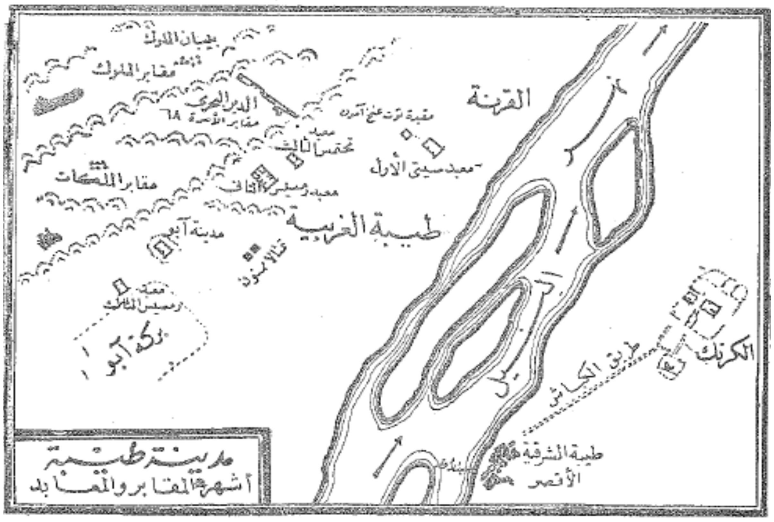
صوت "ممنون"، أحد أبطالهم الذين صرعهم الموت أمام تروادة، وإنه إذ يغني، إنما يدعو أمة ويناجيها.

وفي سنة ٢٧ ق. م، حدث زلزال بمصر، فنحطم الجزء العلوي من التمثال، ثم أصلح في عهد الرومان، ومنذ ذلك الحين، لم يعد ينبعث منه صوت.

ويعلل علماء العصر الحاضر انبعاث ذلك الصوت، من تجمع الندى في شقوق التمثال أثناء الليل، وبعد بزوغ الشمس، يتبخر الدي، فيحدث ذات الصوت.



منالا ممنون


مدينة طيبة
أشهر المقابر والمعابد
مقابر الملوك
الدير البحري
مقابر الأسرة ١٨
مقبرة توت عنخ آمون
القرنة
معبد تحتمس الثالث
معبد سيتي الأول
معبد رمسيس الثاني
مقابر الملكات
طيبة الغربية
مدينة آبو
الكرنك
طريق الكباش
طيبة الشرقية
الأقصر

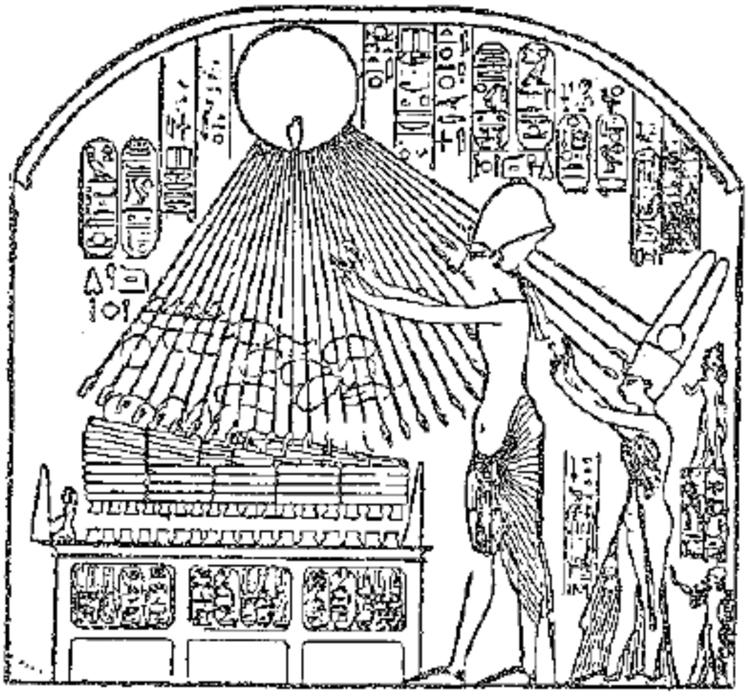
أمنحتب الرابع: إخناتون

بعد موت أمنحتب الثالث، كانت مصر في أشد الحاجة إلى قائد باسل، وسياسي بعيد النظر، مثل تحتمس الثالث، يصد عن امبراطوريتها أولئك الذين أخذوا يهاجمون أطرافها، ولكنها رزقت بملك فيلسوف، أهل مكافحة الخطر الذي كان يتهددها في آسيا، وفضل عليها البحث في النظريات الدينية، التي كانت وراتجة في ذلك الزمان، وهذا الملك هو "منحتب الرابع" (إخناتون). والمرجح أن "تي" أم الملك، وزوجته ''نفرتيتي"، كن لهما نفوذ وتأثير عظيمان على اخناتون، فأطلقت يدهما في سياسة الدولة، بما لم يسبق له مثيل، حتى في عهد أبيه أمنحتب الثالث، الذي أولى زوجته "تي" من السلطة، ما جعل لها قيمة سياسية كبيرة في عهده. ومن الأمور التي تلفت النظر، أن إخناتون لم يكن يظهر لرعيته، إلا مع أمه وزوجته.

ثورة إخناتون الدينية:

ولما تولى الملك أمنحتب الرابع، وكان شديد الولع بأمور الدين، رأى أن الشمس، يجب ألا تعبد لذاتها، وإنما تعبد الحرارة الكامنة فيها، إذ هي القوة التي تبعث الحياة والدفء، في كل ما على وجه الأرض من كائنات، ويتجلى نشاطها فيها ترسله من أشعة.

وأطلق على الإله المدد اسم "آتون"، وصار يرمز له بقرص في السماء، تنبعث منه أشعة، متجهة نحو الأرض، تنتهي بأيد قابضة على زمام الحياة



اخناتون يعبد الشمس

كهنة آمون والدين الجديد:

عز على كهنة الإله آمون، أن يروا الدين الجديد ينشأ ويزدهر، وخشوا أن يفقدوا ما وصلوا إليه من عز وسلطان، فقد كان كبيرهم، يتولى إلى جانب مركزه الديني، منصباً سياسياً هاماً، هو منصب الوزارة.

لذلك نهضوا يعارضون الدين الجدد، بكل ما أوتوا من قوة، ولكنهم لم يفلحوا، إذ ناصر الملك بقية الكهنة في عين شمس ومنف، لأنهم كانوا يحسدون كهنة آمون، وينقمون على ما وصلوا إليه من سلطان.

وكان العراك بين الملك وبينهم رهيبا، إذ جردهم من ممتلكاتهم، ومحا اسم آمون وصورته، من جمع معابد طيبة وتماثيلها وآثارها.

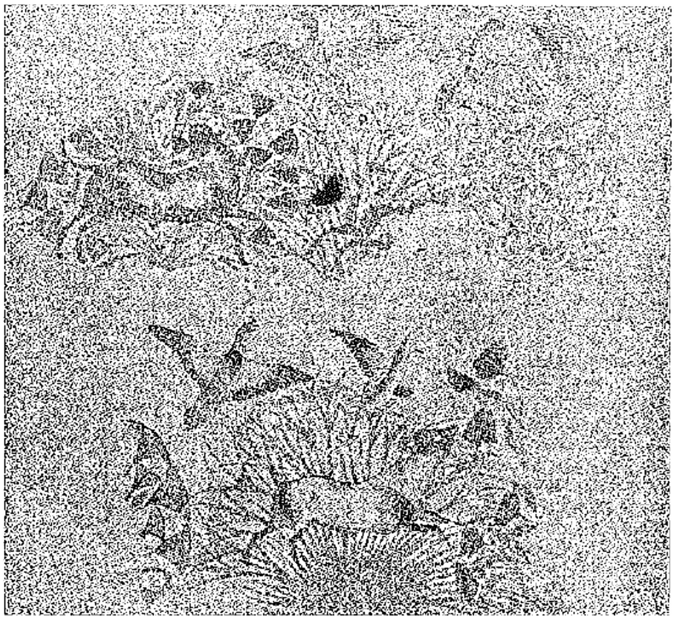
ولما رأي أن اسمه "أمنحتب"، وهي كلمة معناها "آمون يستريح"؛ كره أن يطلق عليه هذا الاسم، فنبذه وسمي نفسه "إخاتون" "روح آتون".

بناء أخنتاتون:

ولما فرغ إخناتون من نشر مذهبه الجدد، رأي أن طبية مزدحمة بالمعابد التي بنيت لعبادة "مون"، فعزم على إنشاء مدينة جديدة، يعبد فيها الإله "آتون" وينقل إليها مقر ملكه.

وقد وقع اختياره على مكان يعرف الآن بتل العمارنة، وأنشأ فيه مدينة سماها "أخيتاتون" (أفق آتون)، وبني بتلك المدينة ثلاثة معابد فخمة، قامت من حولها قصور جميلة، للملك والأمراء.

ولما فرغ إخناتون من تأسيس عاصمته الجديدة، انتقل اليها في موكب فخم فصحبه كريماته الأربع وكبار رجال دولته، وأحتفل بالمعبود "آتون" احتفالاً عظيماً.



جزء من رسوم بأرض قصر إخناتون

دور من الفضائل البارزة، التي كان إخناتون يتحلى بها، الصدق، والبساطة، وعدم الميل إلى التصنع أو المبالغة، فدعا رجالي الفن ألا يبالغوا في تصوير الأشياء ويلبسوها ثوباً غير حقيقي ولا طبيعي. وكان من أثر هذه الدعوة، أن خرجوا على التقاليد القديمة، ورسموا الأشياء على حقيقتها وفي مظهرها الطبيعي، مجردة من التكلف والمبالغة، التي اعتادها المصريون من قبل، ولذلك امتاز الفن في عصره بالبساطة والوضوح.

وتتجلى هذه البساطة، في القبور التي شيدها هذا الملك لنفسه، وللمخلصين من أتباعه، فقد نحتت في الصخور، وخلت من التعاويذ، التي اعتاد المصريون من قبل، أن يضعوها إلى جوار الميت، لحمايته ودفع الشر عنه.

والمقابر التي خلفها أمراء ذلك العهد، ذات فائدة تاريخية كبيرة، لأن جدرانها محلاة بصور تمثل حياة الناس في أخيتاتون، وتصور ما كان الميت، يقوم به من الأعمال الرسمية، وهو حي. وكذلك كانوا يصورون الملك والملكة، واقفين تحت قرص آتون تحف بهما أشعته.

ولقد عثر الباحثون في تلك المقابر، على أنشودتين، نظمهما الملك دعاء لآتون، واعترافاً بفضله[٦].

أثر الثورة في الإمبراطورية

وقف إخناتون جهوده كها ، على نشر الدين الجديد، والتبشير له بين الناس فلم يتسع وقته للنظر في شئون الإمبراطورية العظيمة، التي بذل أجداده مجهودات عظيمة في إنشائها وتنظيمها.

ولما سمع الحيثيون بالثورة الدينية، التي انصرفت إليها جهود إخناتون، أخذوا يغيرون على أملاك مصر في سوريا، وتعاونوا مع بعض أمرائها، الخانقين على مصر، فخضعت لهم فينيقيا، ومعظم شمال سوريا. وكذلك أغار البدو على

---

(٦) واليك بعض ما جاء فيهما:

خلق الإنسان: "أنت خالق الجنين في أمه. أنت خالق نطفة الإنسان. أنت واهب الحياة للجنين في رحم أمه، وملطفه حتى لا يتكدر فيبكي، كيف لا وأنت المربي في الرحم. أنت معطى نقس الحياة كل مخلوقاتك ... ... أنت فاتح فم الجنين بالكلام، ومعطيه حاجاته يوم تلده أمه".

الخلق عموماً: "ما اكثر مخلوقاتك التي نجهلها. أنت الإله الأحد، لا شريك لك في الملك. خلقت الأرض بإرادتك. ولما كنت وحيداً في هذا الكون، خلقت الإنسان والحيوان الكبير والصغير والمخلوقات التي تدب على الأرض أو تطير بأجنحتها. أنت الذي أحللت كل إنسان في سوريا والنوبة ومصر في موضعه، وأنعمت عليه بحاجاته، فصار كل منهم يأخذ نصيبه ويعيش أيامه المعدودة.

لقد اختلفت ألسنتهم وأجسامهم وجلودهم، فسبحانك من مميز لخلقك".

تضرعات الملك: "أنت في قلبي، لا يعرفك سوي ابنك إخناتون، الذي جعلته عاقلا بآرائك ورقوتك. العالم كله في قبضتك كما خلقته.

إذا ما أشرقت (عليه) حي، وإذا أفلت مات.

انت الوجود ومسبب الحياة للإنسان.

أعين الخلق تبصر محاسنك كل يوم حتى تغرب.

والشغل كله يبطل إذا ما أفلت في الغرب. فإذا ما أشرقت جعلت كل ذلك ينمو... ... لك".

فلسطين من الجنوب، واستولوا على أكثر جهاتها.

ولقد حرك اعتداء الحيثيين والبدو، الأمراء الذين ثبتوا على الولاء لمصر ومليكها، فكتبوا إلى اخناتون يستنجدونه ليساعدهم في رد المغيرين، ولم يكن نصيب رسائلهم سوى الإعمال.

وهكذا، بينما كانت أرجاء معبد "تون" في أخيتاتون، تردد صدي الأناشيد، التي يراها إخناتون ورجاله، تمجيداً للإله الجديد وتسبيحاً بحمده، كانت الإمبراطورية المصرية في الطريق إلى الزوال والفناء.

نهاية إخناتون وفشل الثورة الدينية:

لم يكن ضعف نفوذ مصر في أملاكها بآسيا، الخطر الوحيد، الذي هدد إخناتون، فلقد صادفته في مصر ذاتها صعوبات جمة، وهو يحاول فرض عقيدته والتبشير بدينه الجديد.

فالشعب المصرى، لم يرض أن يتخلى عن عقائده الموروثة، ولم يثنه عنها ؟؟؟ الملك لا قوته.

والكهنة، وبخاصة كهنة "آمون"، لم ينسوا قط ما حل بهم على يد إخناتون، فتربصوا له، منتظرين أول فرصة تمنح، ليقضوا على دينه الجديد.

والجيش، بجنده وقادته ، عز عليهم أن يروا الإمبراطورية، التي بذل آباؤهم وأجدادهم الدماء في تكوينها، تنكمش وتنهار.

هذه القوى كلها، اجتمعت واتحدت لإسقاط إخناتون، ولكنه لم تهن. عزيمته، فاستمر يناضلها ويناهضها، حتى خارت قواه وأدركه الموت، في العام السابع عشر من حكمه.

ولقد أطلق عليه المصريون بعد موته اسم "مجرم أخيتاتون"، كراهة له ونقمة

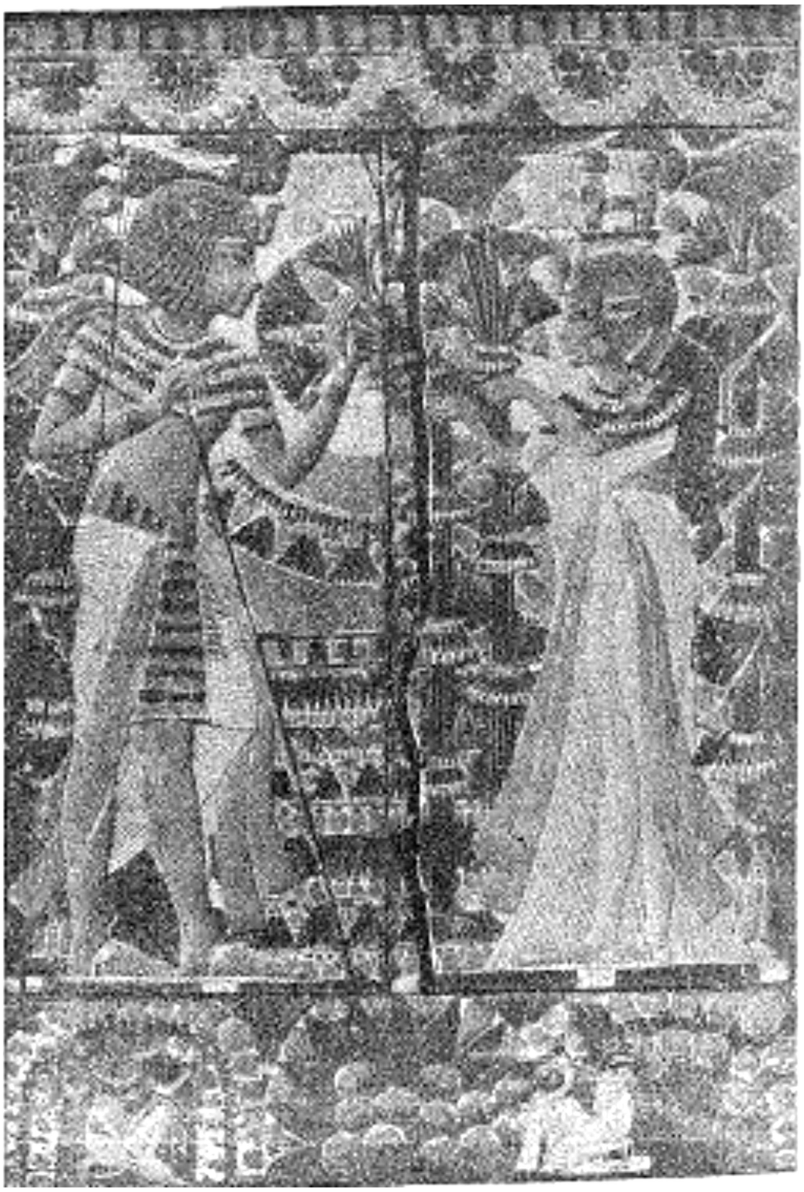
عليه، ومع ذلك فاسمه يحتل الآن مكاناً بارزاً بين عظماء التاريخ، فلسفته وسعة تفكيره.

توت عنخ آمون

لم يرزق إخناتون ولداً يعقبه في الملك، فلما مات اعتلى العرش صهره "توت عنخ آتون" (الصورة الحية لآتون). وبتوليته، لاحت الفرصة التي كان كهنة آمون يترقبونها، فاجبروه على ترك "أخيتاتون" والعودة إلى طيبة، وكذلك اكرهوه على تغيير اسمه، فصار "توت عنخ آمون". وهكذا استرد آمون نفوذه الضائع، وعاد إلى كهنته مجدهم القديم، فأطلقوا أيديهم في أخيتاتون ومعابد آتون، فخربوها، وأعادورا نقش اسم آمون على المعابد والآثار، في جميع الجهات.

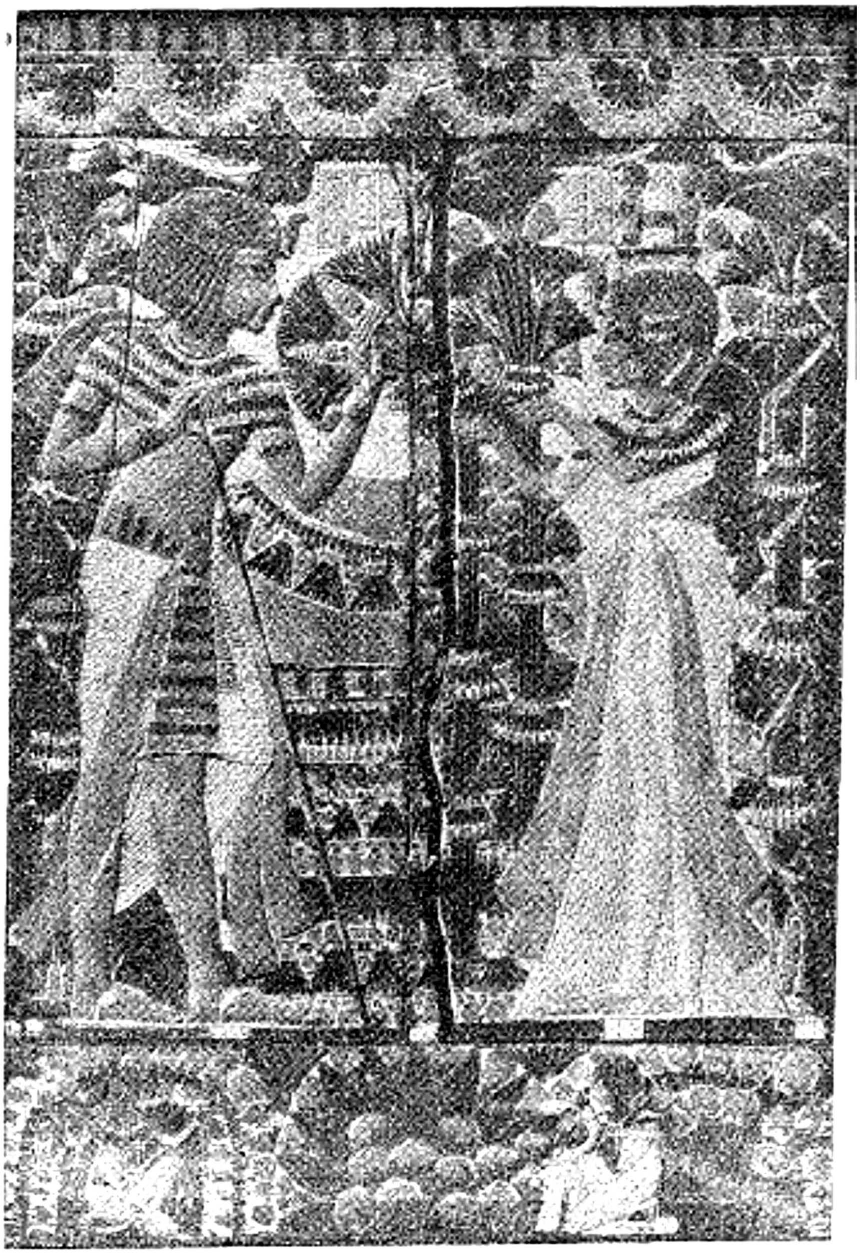


العطاء الخارجي لتابوت جثة توت عنخ أمون

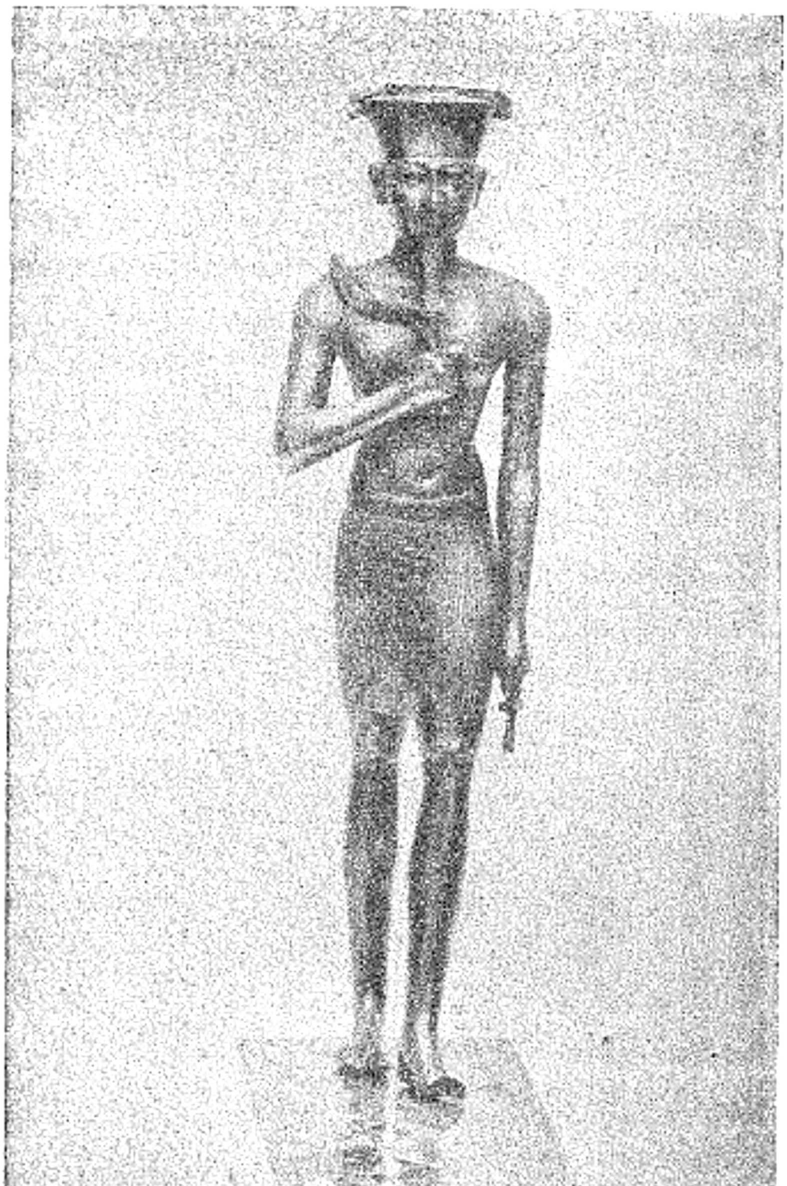




العطاء الخارجي لتابوت جثة توت عنخ أمون



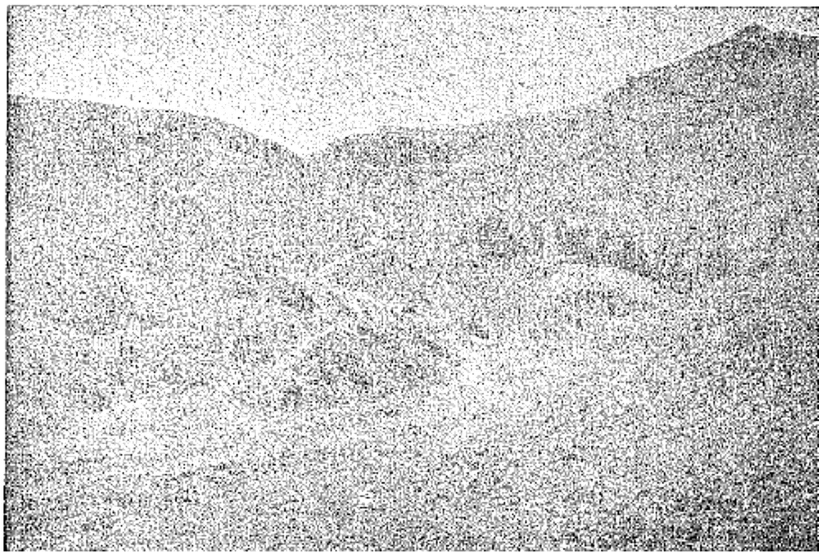
توت عنخ أمون وزوجته بين الزهور



تمثال من الذهب للإله آمون

مقبرة توت عنخ آمون:

تولى توت عنخ آمون الملك صغيراً، ولم يعمر فيه طويلاً، فلم يقم بأعمال جليلة تميزه على غيره من الملوك. ومع ذلك فقد ذاع صيته، وطارت شهرته في الآفاق، منذ أن كشفت مقبرته، في وادي الملوك[٧].



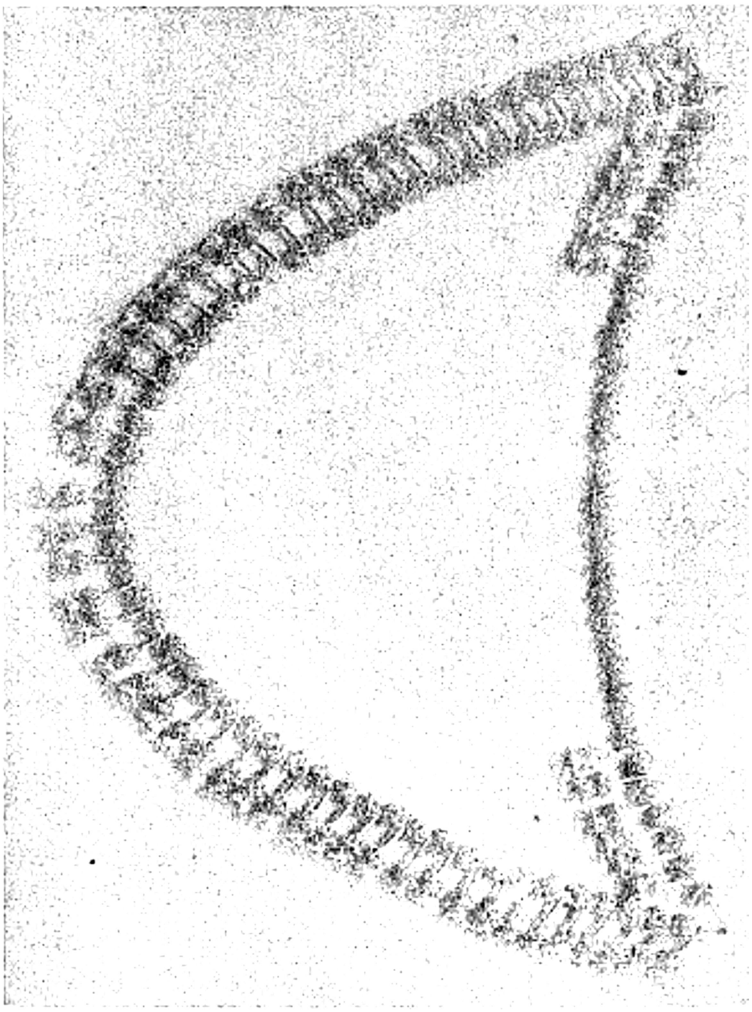
منظر لجهة من وادي مقابر الملوك بطيبة

ففيما بين عامي ١٩٢٢ و١٩٢٣، قام عالم أثري إنجليزي، يدعى مستر "كارتر Carter"، يبحث وينقب في ذلك الوادي. وبعد جهود متصلة، وفق إلى كشف هذه المقبرة، بما فيها من عظيم النفائس، وبديع الأثاث، وفاخر الأمتعة، من متكآت بديعة، إلى سرر أنيقة، وكراسي جميلة، مختلفة الأشكال والألوان،

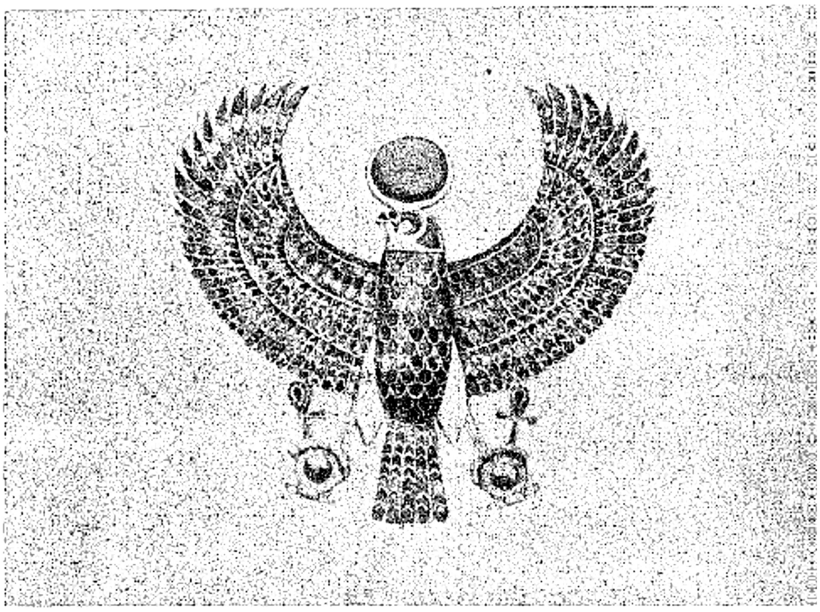
---

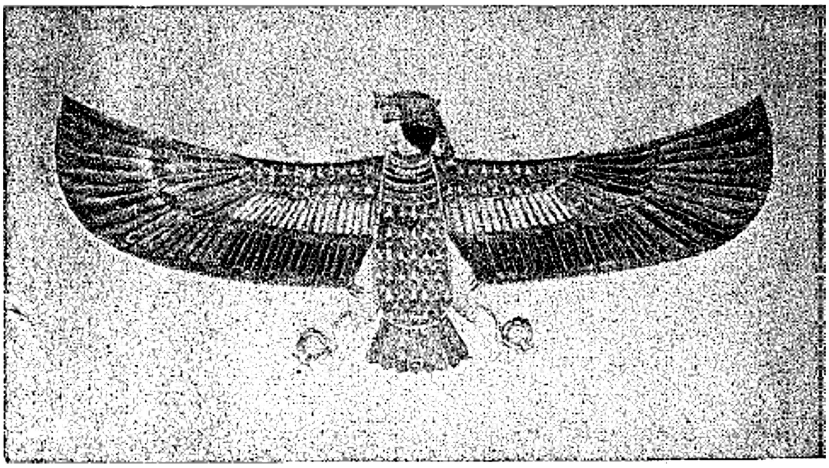
(٧) وهذا الوادي يقع غربي طيبة، وقد اختاره ملوك الأسرة الثامنة عشرة، ليرقدوا في رقادهم الأخير، فنحتوا في صخوره أبها فسيحة، تنتهي بحجرات متسعة، تضك جثث الملوك، وإلى الشرق من تلك المقابر، أقام الملوك معابدهم، كما كان بناة الأهرام من قبل يعملون.

ومطعمة بالعاج، ومصفحة بالذهب، إلى عجلات ملكية عجيبة، وصناديق تحوي التحف والجواهر وأدوات الزينة، إلى تماثيل بديعة، وغير ذلك مما هو منقطع النظير، في تاريخ الكشوف الأثرية، من حيث النفاسة، والتنوع والجمال، ومظاهر الثروة والغنى.

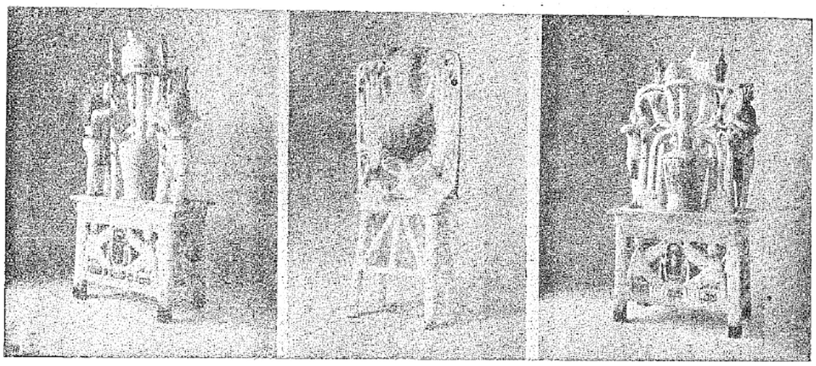


عقد من الذهب لإحدى الملكات

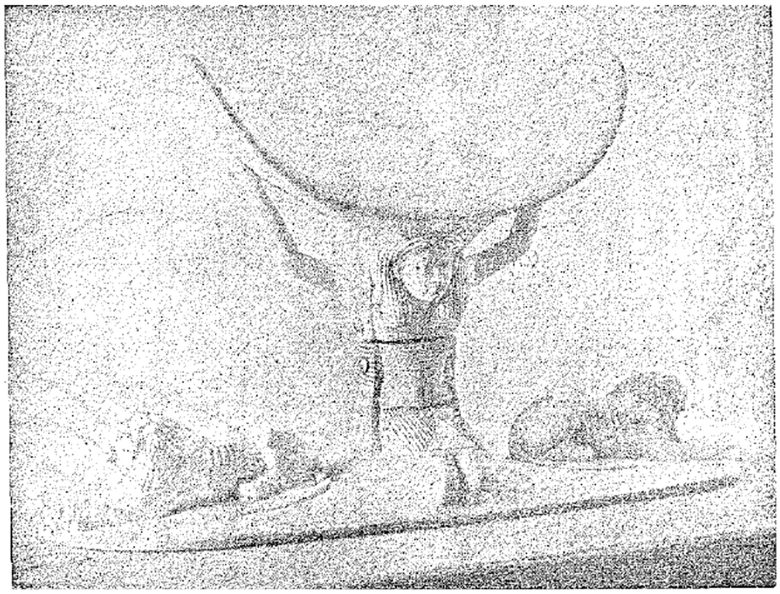




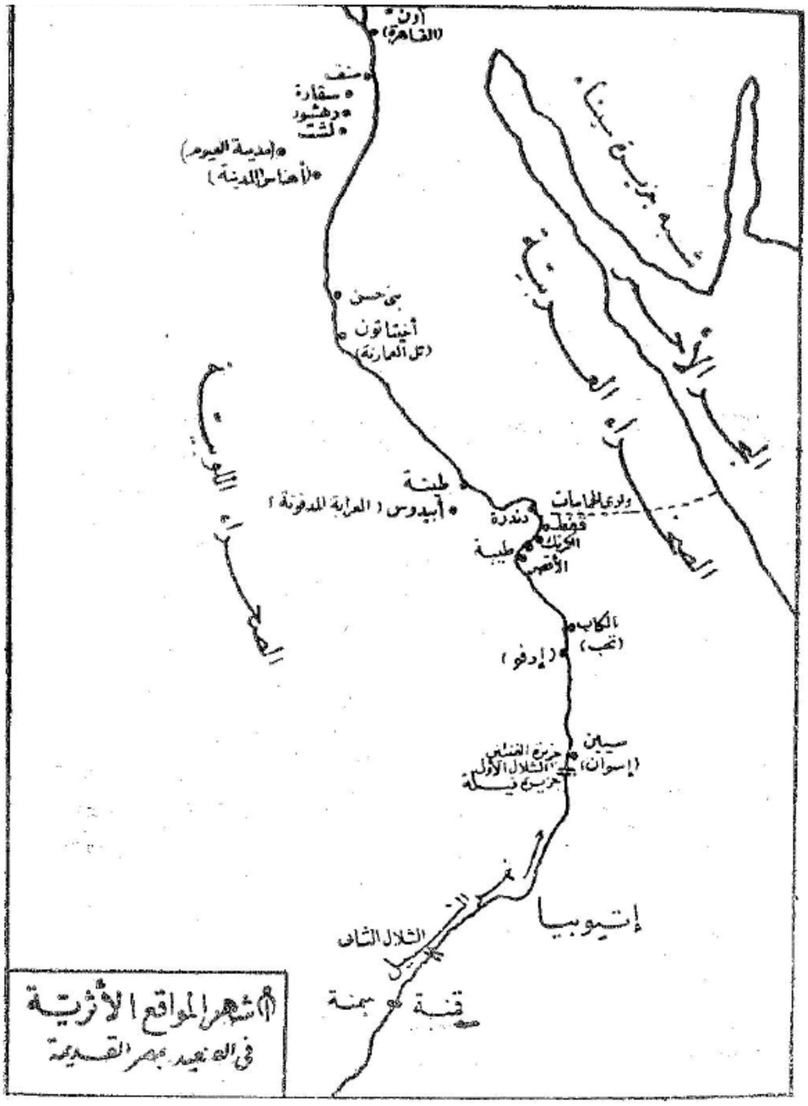
بعض أنواع الحلي



بعض الأواني



وسادة من الماج اموت عنخ أمون


أشهر المواقع الأثرية
في الصعيد بمصر القديمة
أون
(القاهرة)
منف
سقارة
دهشور
لشت
(مدينة الفيوم)
(أهناس المدينة)
بني حسن
أخيتاتون
(تل العمارنة)
طينة
أبيدوس (العرابة المدفونة)
وادي الحمامات
دندرة
قفط
الكرنك
طيبة
الأقصر
الكاب
(نخب)
(إدفو)
سيان
(إسوان)
جزيرة الفنتين
الشلال الأول
جزيرة فيلة
إثيوبيا
الشلال الثاني
قنة
سمنة

الإمبراطورية التاسعة عشرة (١٣٥٠ – ١٢٠٥ ق. م)

سقوط الأسرة الثامنة عشرة:

قضى توت عنخ آمون نحبه، بعد سنوات قليلة من حكمه، فكان موته نذيراً بسقوط أسرة قوية، حكمت مائتين وخمسين سنة، شهدت مصر خلالها، عهداً زاخراً بالفتح، عامراً بالإصلاح. ولقد اغتصب الملك من بعده أناس من دم غير ملكي، وساد الاستبداد في البلاد، وشملتها الفوضى والارتباك، ونهض اللصوص، يسطون على مقابر الملوك، يسلبون ما بها من كنوز.

حرمحب

وظلت الحال كذلك فترة من الزمان، آل الملك بعدها إلى قائد قادر، ومحارب مجرب، يدعى "حرمحب"؛ خدم بلاده في آسيا، وكان من أتباع إخناتون المقربين.

ولكن ساء هذا القائد ما حل بالإمبراطورية المصرية، في عهد سيده، وتزعم الساخطين من رجال الجيش والكهنة. وفي عام **١٣٥٠** ق. م توج ملكاً على مصر، وتزوج إحدى أميرات البيت الملكي، كي يكتسب صبغة شرعية.

وكان أول ما عنى به نشر عبادة آمون، وإصلاح معابده، التي امتدت إليها يد التخريب في عهد إخناتون، واستعاد كهنة آمون مكانتهم، وأوقافهم، فحل بهم خير كثير.

ثم صرف جهوده إلى إعادة تنظيم البلاد، وتهدئة الأحوال فيها، وإصلاح الأداة الحكومية، فشرع بنفسه القوانين العادلة لحكم رعيته، وفرض العقاب الصارم على المفسدين: فجاء بي الضرائب مثلاً، الذي يبتر مال الفقير بغير حق، كان جزاؤه قطع أنفه، ونفيه إلى الصحراء الشرقية.

أما القضاة، فقد أجرى عليهم الرواتب الضخمة، من ذهب وفضة، حتى لا يحيدوا عن الحق، ولا تمتد أيديهم إلى رشوة تفسد ضمائرهم.

ولقد بقى "حرمحب" على عرش مصر، خمسة وثلاثين عاماً تقريباً، صرفها كلها في العمل لخير مصر وتنظيمها، وإصلاح الخلل الذي سرى فيها، وبذلك لم يتسع وقته، للعمل على استعادة ما ضاع من أملاك مصر في عهد اخناتون. ومع هذا، فمن المرجح أنه عقد صلحاً مع الحيثيين، واحتفظ بولاء بلاد النوبة، وأرسل بعثة إلى بلاد بنت.

ولما مات دفن بمقبرة أقامها لنفسه بمدينة منف. ويعده المؤرخون من أعظم رجال الإصلاح الاجتماعي في التاريخ القديم.

رمسيس الأول

تولى الملك بعد حرمحب "رمسيس الأول" وكان طاعناً في السن، ولم تعرف علاقته به بعد؟ ويعده المؤرخون مؤسس الأسرة التاسعة عشرة، وقد حكم فترة قصيرة، لم يقم خلالها بعمل يذكر، ثم مات تاركاً العرش لابنه سيتي الأول.

سيتي الأول

ساد البلاد الهدوء والاستقرار، بعد الإصلاح الذي قام به حرمحب، فلما تولى "سيتي الأول"، ولم يجد في داخل مصر ما يقلق باله، وجه عنايته إلى استعادة أملاك مصر الضائعة، في فلسطين وسوريا.



رأس مومياء سيتي الأول

فأخذ يعد العدة، وجهز جيشاً كبيراً، في العام الأول من حكمه، اخترق به للصحراء، ونفذ إلى فلسطين، واستولى عليها. وعاد بعد ذلك إلى طيبة فائقاً منصوراً، فأعاد إلى الأذهان ذكرى فتوح أجداده.

ولم تمض فترة على قدومه إلى مصر، حتى أغار الليبيون على الدلتا، فتقدم إليهم وطردهم.

وفي السنة الرابعة من حكمه، عاد إلى آسيا وانتصر على الحيثيين، وعقد معهم معاهدة، سلموا بها فلسطين لمصر نهائياً.

أعماله الداخلية:

ولما فرغ سيتي من فتوحه في فلسطين، أخذ يتفرغ للإصلاح الداخلي، فتابع إصلاح معابد آمون، وزا في بهو الأعمدة في معبد الكرنك، ودون عليه أخبار حروبه، وأنشأ لنفسه مقرة عظيمة، في وادي الملوك، هي أعظم مقابر طيبة، نحتها في صخور ذلك الوادي، وتمتد امتداداً كبيراً تحت الأرض، وبعد وفاته ارتقى العرش ابنه رمسيس الثاني.

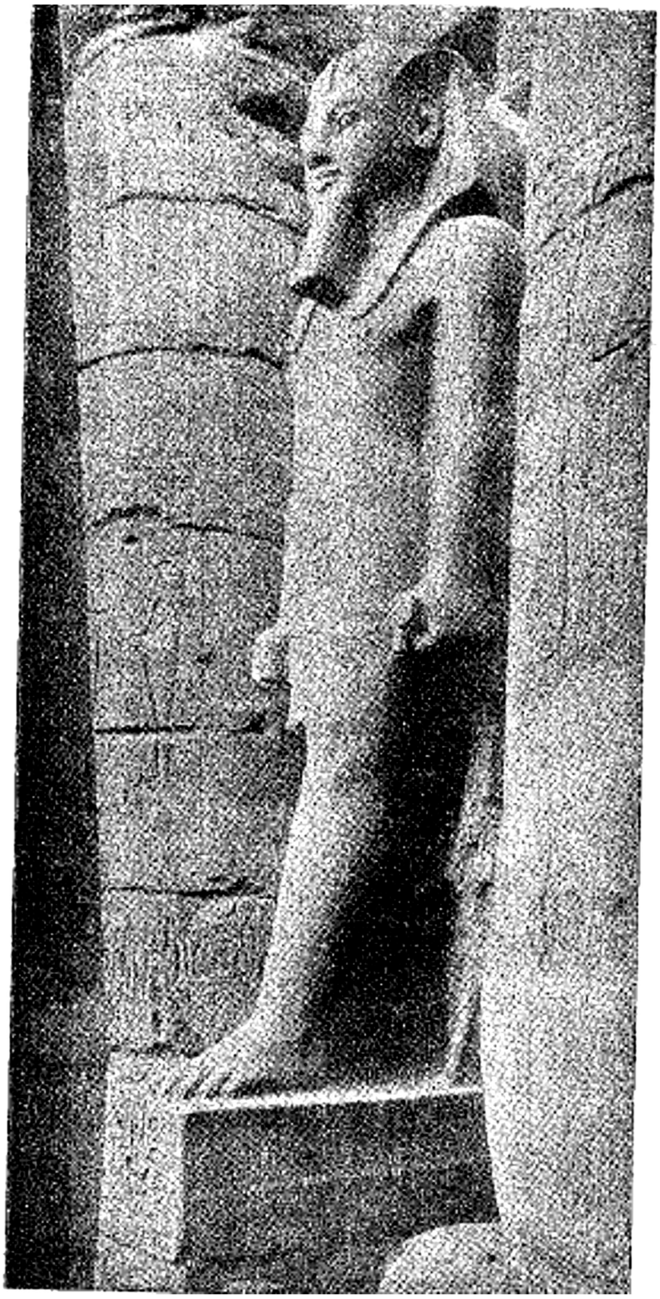
رمسيس الثاني

لما تربع "رمسيس الثاني" على عرش مصر، عمل على تثبيت مركزه، وتدعيم سلطانه، فأرضى كهنة آمون، ليضمن ولاءهم ولكي يزيد موارده، عمل على استخراج الذهب من النوبة، فحفر الآبار في الأجزاء النائية منها، لتمد رجاله بالماء.

ولم تكن أعماله هذه سوى مقدمة لعمل آخر، أجل شأناً، هو استعادة الإمبراطورية الأسيوية، وإرجاع مكانة مصر، إلى ما كانت عليه في عهد أجداده ، ملوك الأسرة الثامنة عشرة.

حروبه:—

رأى رمسيس الثاني أن الحيثيين قد ملكوا معظم الشام، واستولى ملكهم على "قادش"، مركز النفوذ المصري في سوريا، أيام تحتمس الثالث، فعزم على استعادة أملاك مصر الأسيوية، ومن ثم نقض المعاهدة، التي عقدها والده سيتي الأول، ودخل في حروب مع الحيثيين، دامت خمسة عشر عاماً.



تمثال رمسيس الثاني

استعداد الفريقين:-

جمع ملك الحيثيين جيشاً جراراً، وانضم إليه ملوك بلاد النهرين، وأرواد وقادش، واستخدم الجنود المرتزقة، من جزر البحر الأبيض المتوسط وشواطئه.

أما رمسيس، فجيش جيشاً، انضم إليه بعض الجنود المرتزقة من بلاد النوبة وبعض جزر البحر المتوسط كذلك، وجعله أربع كتائب، كل واحدة منها باسم معبود من معبودات المصريين العظيمة: "آمون" و"رع" و"بتاح" و"سوتخ" وكان هو قائد الكتيبة آمون.

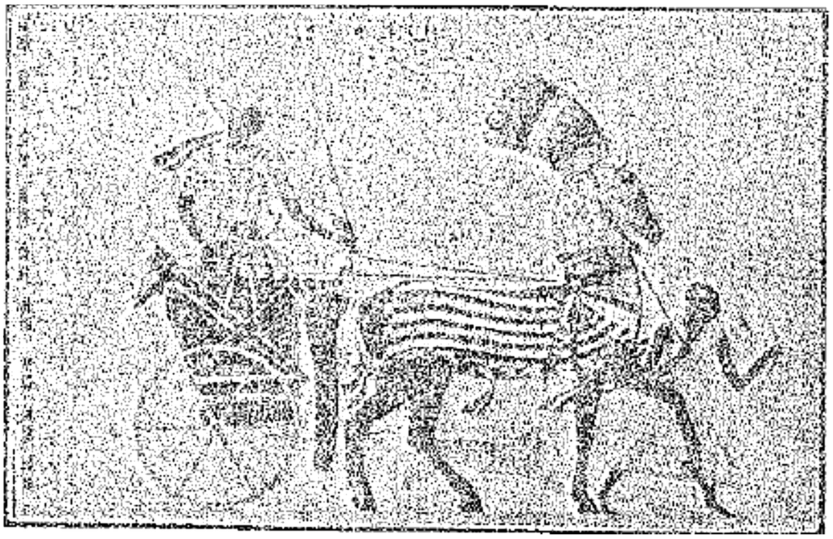
الاستيلاء على ساحل سوريا:

اتبع رمسيس طريقة تحتمس الثالث، فبدأ أولاً بإخضاع مدن الشاطئ، ليتخذها قاعدة لحركاته الحربية، لأن المواصلات البحرية، كانت أسهل وأسرع من المواصلات البرية.

معركة قادش:

وبعد قليل سار على رأس كتيبة آمون، ونصب معسكره قرب "قادش"، فأرسل ملكها اثنين من البدو، أو هما رمسيس أن الحيثيين تقهقروا شمالاً إلى حلب، فانخدع رمسيس، لعدم عثور طلائعه على أثر للعدو، وتقدم بلا حيطة نحو قادش، فخرج ملك الحيثيين من مكمنه، وأخذ كتيبة رع على غرة، وأباد جزءاً كبيراً منها، وفر من نجا إلى خيام رمسيس، في ذعر شديد.

وفي تلك الساعة الرهيبة، ركب رمسيس عجلته الحربية، وحاول أن يخترق صفوف الأعداء، بعد ما فصلوا بينه وبين معسكره، واندفع بكل ما يملك من إقدام وبسالة، وظل يقاوم حوالي ثلاث ساعات، حتى تلاحقت به بقية جيوشه، فنجا من الخطر المحدق، وانسحب الحيثيون إلى قادش، بعد أن تكبد الفريقان خسائر فادحة.



رمسيس الثاني في عجلته الحربية

وتعد هذه المعركة نصراً لرمسيس الثاني، فإنه على الرغم مما أحاط به من أخطار شديدة، وما نزل بجيشه من خسارة جسيمة، استطاع بشجاعته الفذة، أن يمنع الهزيمة، ويجبر الأعداء على الانسحاب.

أثر المعركة في الفن والأدب:

وكان للبسالة التي أبداها "رمسيس الثاني" في موقعة القادش، أثر كبير في تنشيط خيال الفنانين، فصوروا الواقعة على جدران المعابد، ونظم الشعراء القصائد الرائعة، واصفين وقائع الحرب، بصورة جذابة، فشبهوا جنود الأعداء بالصراصير، ورموا قائد الحيثيين بالجبن والنذالة. وخلعوا على رمسيس ثوباً من الروعة والجلال.

خروج أملاك مصر عليها:

ولما رجع رمسيس إلى مصر، دون أن يحاصر قادش، أخذ الحيثيون يبثون

الفتن، ويثيرون القلاقل، بين الأسيويين، على الحكم المصري، فخرجوا على فرعون، وامتد خطرهم جنوباً، حتى حدود مصر.

لذلك بدأ رمسيس، يسترجع دولته الأسيوية من جديد، فتم له إخضاع فلسطين، ثم هزم الحيثيين، ودانت له بلاد النهرين، وشمال سوريا وأرواد.

معاهدته مع الحيثيين:

وتجددت الحرب بين رمسيس والحيثيين، إلى أن سئمت الأمتان القتال، وكان ملك الحيثيين قد مات، وخلفه أخوه، فعقد مع رمسيس معاهدة، نقشت على لوح من الفضة، تشمل ثماني عشرة مادة، تنص على إبطال الحروب بينهما، وإرجاع العلاقات الودية إلى أصلها، ومساعدة كل فريق للآخر، في حالة هجوم دولة أخرى عليه. وتعتبر هذه أقدم معاهدة دولية، معروفة في التاريخ.

وتزوج رمسيس من ابنة ملك الحيثيين، وأحضرها أبوها إلى مصر، مما وثق أواصر الصداقة بين الأمين.

إمبراطورية رمسيس الثاني:

وكانت المعاهدة التي عقدت بين رمسيس والحيثيين، خاتمة نشاطه الحربي، فيما عدا معارك بسيطة على حدود مصر الجنوبية والغربية، انتهت بالقضاء على ثورة في بلاد النوبة، وطرد الليبيين من الدلتا.

وكان رمسيس جندياً شجاعاً، عبقرياً، ولكنه لم يستطع أن يصل بالإمبراطورية إلى الحد الذي بلغته أيام تحتمس الثالث.

عاصمة الإمبراطورية:

رأى رمسيس الثاني أنه لا يستطيع إدارة الإمبراطورية، وتنظيمها، وهو في طيبة، لوقوعها في أقصى الجنوب، فأنشأ مدينة جديدة هي "بر رمسيس" (Per

(Ramsis، أي "بيت رمسيس". ولا يعرف موقعها على التحديد، وإن كان يرجح أنها كانت في أقصى شرق الدلتا، على الحدود بين مصر وفلسطين، وبقيت طيبة العاصمة الدينية للبلاد، يقصد إليها فرعون في الأعياد الدينية.

وكانت إقامة رمسيس في الدلتا، سبباً في زيادة العناية بمدنها، وبلوغها درجة من التقدم والازدهار، لم تبلغها قط من قبل؛ فمدينة "تانيس" اتسعت، وأقيمت بها عدة مبان، من بينها معبد عظيم؛ وفي وادي طميلات، أنشئت مدينة جديدة، تزود المسافرين بما يحتاجون إليه.

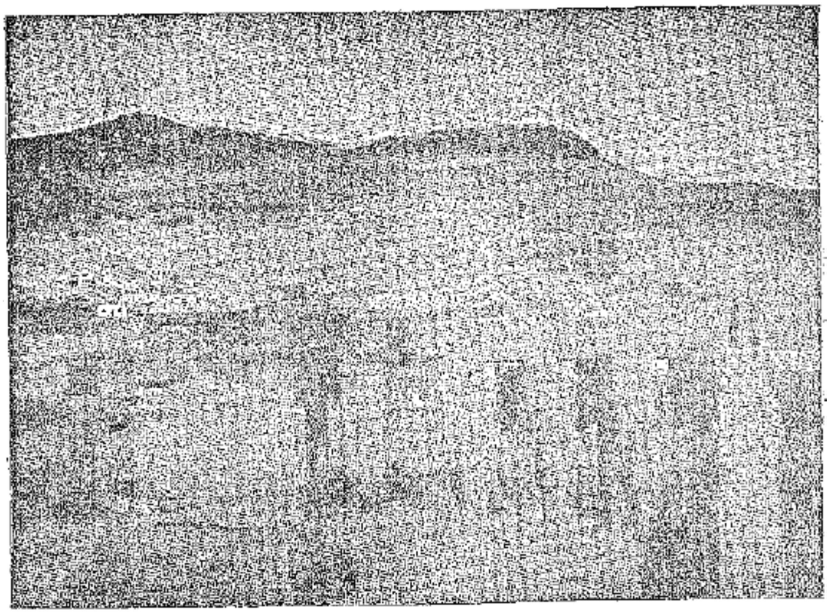
اختلاط المصريين بالأجانب:

لما اتسعت الإمبراطورية المصرية، أخذ عدد كبير من الأسيويين، يفدون إلى مصر، ويختلطون بالمصريين ويصاهرونهم، وكانوا في أول الأمر، يشتغلون بالتجارة، ثم صاروا يتقلدون مناصب حكومية سامية، حتى أن أحدهم أصبح رئيساً لبلاط الملك.

المباني:

شيد رمسيس عدداً عظيماً من المباني، في جميع أنحاء البلاد، أشهرها معبد "الرمسيوم" بطيبة، وهو أضخم المعابد المصرية جميعاً، وقد وصف حروبه ع الحيثيين على جدرانه، نظماً ونثراً. وأتم بهو الأعمدة الذي بدأه جده رمسيس الأول، بمعبد الكرنك، وأكثر من إقامة التماثيل الضخمة(٨) ، والمسلات المتعددة، أقامها في جهات متفرقة من مصر، وقد نقل بعضها إلى متاحف أوروبا.

(٨) من بينها تمثال في تانيس، ارتفاعه تسعون قدماً، ويزن تسعمائة طن، وتمثال آخر ما يزال.



معبد الرمسيوم وشو معبد قبر رمسيس الثاني

ولم يكتف رمسيس الثاني بنقش اسمه على المباني المتعددة التي شيدها، بل أخذ كذلك يمحو أسماء الملوك السابقين من مبانيهم، وينقش عليها اسمه، جرياً وراء الشهرة، وتخليداً لاسمه وذكراه. كما كان يكثر من تدوين أنباء الحروب، التي خاضها، والانتصارات التي أحرزها، بكثير من المغالاة، لأنه كان شديد الزهو، كثير الافتخار.

منفتاح:

لما توفي رمسيس الثاني، خلفه ابنه "منفتاح"، وكان طاعناً في السن، ومع ذلك قضى على عرش مصر عشر سنوات، استطاع خلالها، أن يحافظ على الإمبراطورية، ويرد عنها أعداءها.

ففي أوائل عهده، حاول أن يحتفظ بالعلاقات الطيبة، التي سادت بين أبيه

والحيثيين، وأرسل إليهم إمداداً من الغلال، تعينهم على المجاعة التي تفشت في بلادهم، ولكنهم مع ذلك لم يحفظوا الود له، فأخذوا يحرضون أمراء سوريا وفلسطين ومصر، فخرجوا جميعاً عليها.

وعندئذ خرج منفتاح في جيش، لتأديب الثائرين، وانتصر عليهم، وعاقبهم عقاباً شديداً.

ولم يكد يفرغ من أمرهم، حتى دهم الملك خطر آخر، من جهة الغرب، ذلك أن الليبيين اتحدوا مع سكان جزر البحر الأبيض المتوسط، وتقدموا لغزو مصر براً وبحراً، فجهز جيشاً كبيراً، لقى به أعداءه غربي الدلتا، واشتبك معهم في معركة فاصلة، دامت ست ساعات، هزم فيها الليبيون وحلفاؤهم هزيمة منكرة، وأسر وقتل منهم خلق كثير.

ثم تفرغ منفتاح بعد ذلك لإقامة المباني والمعابد، ولما كان يشعر بدنو أجله لكبر سنه، رأى أن يهدم معابد آبائه وأجداده، ليبني بحجارتها معابده، فلا يضيع الوقت في قطع الأحجار من المحاجر البعيدة. ثم مات سنة ١٢١٥ق.م، ودفن بوادي الملوك.

سقوط الأسرة التاسعة عشرة:

خلف منفتاح ملوك ضعاف، كانت عهودهم ملأى بالمؤامرات والتطاحن بين أمراء الأقاليم، الذين أخذت قوتهم تظهر من جديد. وظلت الحال كذلك حتى عام ١٢٠٠ق.م، إذا استطاع رجل من نسل رمسيس الثاني، أن يقضي على الفوضى، ويعيد النظام إلى نصابه، ذلك هو "رمسيس الثالث"، مؤسس الأسرة العشرين.

الأسرة العشرون

رمسيس الثالث

كان أول ما عنى به هذا الملك، إعادة تنظيم الجيش، معتمداً اعتماداً كبيراً على الجنود المرتزقة.

حروبه:

استأنف سكان جزر البحر الأبيض المتوسط، إغارتهم على الدلتا، واتحدوا مع الليبيين على غزوها ونهبها، فتقدموا بأسطول وجيش، كما فعلوا من قبل، أيام منفتاح، ولكن رمسيس الثالث وقف لهم بالمرصاد، وهزم جموعهم وحطم سفنهم، وردهم عن البلاد.

وكان سكان تلك الجزر، قد نزلوا من قبل في آسيا الصغرى، ومعهم نساؤهم وأطفالهم، ومتاعهم وعجلاتهم، وساروا نحو الجنوب، فساقوا الحيثيين أمامهم، وقضوا على دولتهم، ثم تقدموا إلى سوريا، واستولوا على كثير من مدنها، كما فتحوا بسفنهم ساحل فينيقيا، وأصبحوا يهددون مصر وإمبراطوريتها.

فأعد رمسيس العدة، وجمع أسطولاً ضخماً، وزعه على الموانئ الشمالية، وقاد جيشه بنفسه، وألتحم بالأعداء على نهر الأورنت، فهزمهم هزيمة منكرة، وتمكن الأسطول المصري، من كسر قواتهم البحرية، على الشواطئ الفينيقية. وبهذا استطاع رمسيس الثالث أن يحافظ على الإمبراطورية المصرية.

ولما فرغ رمسيس الثالث من القضاء على أعدائه، لم يعد يعكر صفو الإمبراطورية شيء، واستقبلت مصر عهداً مليئاً بالإصلاح والثروة، فانتعشت التجارة، بفضل ما بناه المصريون من السفن الكثيرة الكبيرة الحجم، التي كانت تمخر عباب البحرين الأبيض والأحمر.

ولما عظمت الثورة التي تدفقت من الفتح والتجارة، أخذ رمسيس الثالث يقيم المعابد، ومن أشهرها معبد غربي طيبة، في المكان الذي يعرف الآن بمدينة "هابو"، ونقش على جدرانه أخبار حروبه وانتصاراته، وصور سكان جزر البحر الأبيض المتوسط، الذين غزوا مصر من الشمال، بملابسهم وأسلحتهم وسفنهم الحربية.

وفي عاصمة ملكه، بنى معبداً فخماً لآمون تحيط به حديقة غناء، ولكن معابد رمسيس الثالث، رغم ضخامتها، لا تداني، في جمالها وفنها، المعابد القديمة، التي أقامها آباؤه وأجداده.

نهاية رمسيس الثالث:

استطاع رمسيس الثالث أن يحافظ على تراث أسلافه، فصان الإمبراطورية من الضياع، وحطم المحاولات، التي بذلها أعداء مصر، لغزوها وابتلاع أملاكها.

ولكن هذه الانتصارات اللامعة، لم تستطع أن تستر عوامل الضعف والانحلال، التي كانت كامنة في جسم مصر، منذ زمان طويل، فلما تقدم رمسيس الثالث في السن، وبدا عليه الضعف، أخذت تلك العوامل تظهر وتتجلى.

وكان الكهنة العامل الأول، فيما أصاب مصر من ضعف وانحلال، إذ كانوا على درجة كبيرة من الثراء، بفضل ما أغدقه عليهم الملوك المتعاقبون من الهبات والهدايا، وما وقفوه على المعابد من أراض زراعية واسعة، وكان لهم فوق ذلك سفن تجرب في البحار، تتجر لحسابهم، وكانوا يسخرون الفلاحين والعبيد في زراعة أراضيهم. وبينما كانت مصر كلها تئن، من كثرة ما أنفقه الملوك في حروبهم وحفلاتهم، وإقامة مبانيهم ومعابدهم، كان الكهنة وحدهم يتمتعون بالثروة والجاه، وأخذوا يتدخلون في الأمور السياسية، ويفرضون مشيئتهم على الملك والشعب.

والجيش، الذي كان فيما مضى عدة مصر، وأداتها في الفتح والغزو، أصبح الآن سبباً جديداً من أسباب فساد الحال في مصر وضعفها، إذ أصبح قوامه الجنود المرتزقة، من الليبيين والسوريين وغيرهم، وهؤلاء كانوا دائماً على استعداد أن يولوا ثقتهم كل من يجزل لهم العطاء، ويغمرهم بالمال. ومات رمسيس بعد أن حكم زهاء ٣١ عاماً.

سقوط الإمبراطورية

ضعف الملكية:

خلف رمسيس الثالث، ملوك تسعة، حكموا مدداً قصيرة، كان كل منهم يسمي نفسه رمسيس، تيمناً باسم رمسيس الأكبر، مجدد الإمبراطورية، ولكنهم كانوا ضعافاً، فلم يسيروا سيرته في الفتح والغزو.

وقد نشأ عن ضعف هؤلاء الملوك، وقلة هيبتهم، واعتمادهم الاعتماد كله على الكهنة، أن زادت قوة هؤلاء، ورجح نفوذهم، وصار كبير كهنة آمون، يجمع إلى جانب سلطته الدينية، نفوذاً سياسياً واسعاً، فأصبح قائد الجيش، وأمين الخزائن، واتخذ لنفسه لقب حاكم بلاد كوش.

الكهنة وأمراء تانيس

أمراء تانيس:

ولما تولى الملك رمسيس الثاني عشر، وكان ضعيفاً غاية الضعف، قام "سمندس" أمير "تانيس"، إحدى مدن الوجه البحري، وأعلن نفسه ملكاً مستقلاً على الدلتا كلها. ولم يستطع رمسيس إخضاعه، فبقي يحكم الوجه القبلي، من طيبة.

حريحور:

ولما مات رمسيس الثاني عشر، اعتلى العرش "حريحور"، كبير الكهنة، الذي كان صاحب النفوذ الفعلي، والسلطة الحقيقية، وكان جل همه، أن يصبغ البلاد والحكومة بصبغة دينية. ولكن عمره لم يطل، فمات وخلفه ابنه، الذي لم يستطع مناوأة أمير تانيس، فخضع له، واعترف له بالسيادة على الوجهين، وبذلك عاد لمصر اتحادها، وأخذ النظام يستقر فيها، بفضل أمراء تانيس. ويعدهم المؤرخون مؤسسي الأسرة الحادية والعشرين.

على أن كاهن طيبة الأكبر، لم يبع عرشه سدى، فإنه قد زوج ابنه من ابنة ملك تانيس، ولما مات هذا، ورث الملك عنه، زوج ابنته الكاهن. وبذلك تربع الكهنة على عرش مصر كلها، ودام حكمهم لها نحو ١٥٠ سنة.

وبينما كانت مصر كلها تئن، من كثرة ما أنفقه الملوك في حروبهم وحفلاتهم، وإقامة مبانيهم ومعابدهم، كان الكهنة وحدهم يتمتعون بالثروة والجاه، وأخذوا يتدخلون في الأمور السياسية، ويفرضون مشيئتهم على الملك والشعب.

والجيش، الذي كان فيما مضى عدة مصر، وأداتها في الفتح والغزو، أصبح الآن سبباً جديداً من أسباب فساد الحال في مصر وضعفها، إذ أصبح قوامه الجنود المرتزقة، من الليبيين والسوريين وغيرهم، وهؤلاء كانوا دائماً على استعداد أن يولوا ثقتهم كل من يجزل لهم العطاء، ويغمرهم بالمال. ومات رمسيس بعد أن حكم زهاء ٣١ عاماً.

سقوط الإمبراطورية

ضعف الملكية:

خلف رمسيس الثالث، ملوك تسعة، حكموا مدداً قصيرة، كان كل منهم

يسمي نفسه رمسيس، تيمناً باسم رمسيس الأكبر، مجدد الإمبراطورية، ولكنهم كانوا ضعافاً، فلم يسيروا سيرته في الفتح والغزو.

وقد نشأ عن ضعف هؤلاء الملوك، وقلة هيبتهم، واعتمادهم الاعتماد كله على الكهنة، أن زادت قوة هؤلاء، ورجح نفوذهم، وصار كبير كهنة آمون، يجمع إلى جانب سلطته الدينية، نفوذاً سياسياً واسعاً، فأصبح قائد الجيش، وأمين الخزائن، واتخذ لنفسه لقب حاكم بلاد كوش.

الكهنة وأمراء تانيس

أمراء تانيس:

ولما تولى الملك رمسيس الثاني عشر، وكان ضعيفاً غاية الضعف، قام "سمندس" أمير "تانيس"، إحدى مدن الوجه البحري، وأعلن نفسه ملكاً مستقلاً على الدلتا كلها. ولم يستطع رمسيس إخضاعه، فبقي يحكم الوجه القبلي، من طيبة.

حريحور:

ولما مات رمسيس الثاني عشر، اعتلى العرش "حريحور"، كبير الكهنة، الذي كان صاحب النفوذ الفعلي، والسلطة الحقيقية، وكان جل همه، أن يصبغ البلاد والحكومة بصبغة دينية. ولكن عمره لم يطل، فمات وخلفه ابنه، الذي لم يستطع مناوأة أمير تانيس، فخضع له، واعترف له بالسيادة على الوجهين، وبذلك عاد لمصر اتحادها، وأخذ النظام يستقر فيها، بفضل أمراء تانيس. ويعدهم المؤرخون مؤسسي الأسرة الحادية والعشرين.

على أن كاهن طيبة الأكبر، لم يبع عرشه سدى، فإنه قد زوج ابنه من ابنة ملك تانيس، ولما مات هذا، ورث الملك عنه، زوج ابنته الكاهن. وبذلك تربع

الكهنة على عرش مصر كلها، ودام حكمهم لها نحو ١٥٠ سنة.

ولم يكن ملوك تانيس في الجملة، ملوكاً أقوياء، وأهم ما يؤثر عنهم، محافظتهم على جثث من سلفهم من الملوك، وصيانتها من عبث اللصوص، فجمعوا الكثير منها في مقبرة واحدة، قرب معبد الدير البحري، وبقيت منذ ذلك الحين.

أما الإمبراطورية، فقد أخذت تنكمش وتتضاءل، وبخاصة في آسيا، إذ فقدت مصر سلطانها على أمراء سوريا وفلسطين، ولم يبق لها من أملاكها الواسعة سوى بلاد النوبة.

الليبيون (٩٤٥ – ٧٤٥ ق. م)

الأسرتان الثانية والعشرون والثالثة والعشرون

حاول الليبيون مرات، أن يدخلوا مصر من جهة الغرب فاتحين، ولكن في كل مرة كانت جيوش مصر تتصدى لهم، وتلحق بهم الهزيمة، فأخذوا بعد ذلك يفدون من بلادهم مهاجرين، ويقيمون في الوجه البحري. ولما كثر عددهم، وأصبحت غالبية الجيش منهم، استد اسعدهم، وعظم نفوذهم، واستطاع قائم منهم يدعى "شيشنق" في عام ٩٤٥ ق. م أن يقضي على الأسرة الحادية والعشرين، ويؤسس أسرة جديدة، هي الثانية والعشرون.

وكان مقر حكومته "بوبسطة"، في شرق الدلتا، والمعروف عنه، أنه كان حاكماً قوياً شجاعاً، نهضت مصر في أيامه قليلاً، وعاد إليها بعض ما كان لها من نفوذ، في فلسطين. غير أن نظراءه من القواد، ساءهم ما بلغه من مجد وسلطان، فشقوا عصا الطاعة عليه، وتقسمت مصر أقساماً يحارب بعضها بعضاً، فعمت الفوضى، حتى انتهت الأسرة الثالثة والعشرون.

حكم النوبيين (٧٢٢ – ٦٦١ ق. م)

الأسرتان الرابعة والعشرون والخامسة والعشرون

تم للمصريين في أيام الدولة الحديثة، غزو بلاد النوبة الشمالية، غزوا كاملاً، وصبغت تلك البلاد بالصبغة المصرية. وبمرور السنين، فظن "النوبيون" إلى أهمية بلادهم، وكثرة خيراتهم، فأخذوا يفكرون في الاستقلال عن مصر، وصاروا يتدرجون في مدارج التقدم والرقي، حتى إذا كان القرن الثامن قبل الميلاد، ظهرت في النوبة مملكة مستقلة، قائمة بذاتها، مقرها "نباتا" جنوبي الشلال الرابع.

ثم طمع النوبيون في فتح مصر، بعد ما شهدوا من ضعفها وانقسامها، فتقدموا إلى الصعيد بقيادة ملكهم "بعنخي" واستولوا عليه، وكانت منف المدينة الوحيدة التي صمدت لهم، فحاصروها مدة ثم فتحوها، وعندئذ تقدم أمراء الدلتا إلى ملك النوبيين، واعترفوا له بالسيادة، ودخلت مصر تحت حكم بلاد النوبة.

ولكن لم يكد "بعنخي" يعود إلى بلاده، حتى أصبحت البلاد المصرية مسرحاً للتنافس والنزاع، بين أمراء الأقاليم، واشتدت بينهم العداوة والبغضاء، وأهملت أعمال الإصلاح، فتأخرت الزراعة، واختل الأمن، وكسدت التجارة.

وفي خلال هذه الفوضى، الضاربة في جميع جهات مصر، استطاع أحد الأمراء، وهو حاكم "بوبسطة" بشمال الدلتا، أن يعيد إلى البلاد شيئاً من النظام، ويؤسس أسرة جديدة هي الأسرة الرابعة والعشرون.

غير أنه لم يكد يستقر على العرش، حتى عاد النوبيون إلى غزو مصر، وقسموه، وكونوا الأسرة الخامسة والعشرين.

إغارة الأشوريين على مصر (٦٧٠ – ٦٦٥ ق. م)

وبينما كانت مصر على هذه الحال من الضعف، كان نجم دولة "الأشوريين"،

التي نشأت فيما بين نهري دجلة والفرات، آخذاً في الصعود، فتقدمت نحو الغرب، واجتاحت جيوشها سوريا وفلسطين، وخضعت لها بابل[9] ، وأصبحت على أبواب مصر، تهددها بغزو أجنبي جديد.

ولما رأى النوبيون، حكام مصر وقتئذ، خطر الأشوريين على مصر، عمدوا إلى تحريض أمراء فلسطين وسوريا، على الثورة، ومدهم بالمساعدة ولكن الأشوريين قضوا على الفتنة، وخضع لهم أمراء تلك الأقاليم.

مضت فترة بعد ذلك، انتشر فيها السلام والهدوء، ثم اعتلى عرش "أشور"، ملك قوي، رأى أن يضع حداً لتدخل ملوك مصر في شئون سوريا وفلسطين، فجهز جيشاً عظيماً، تقدم به سنة ٦٧٠ ق. م وهزم النوبيين، وطردهم من مصر، وبذلك استولى على البلاد.

النهضة المصرية (٦٦٠ – ٥٢٥ ق. م)

بسماتيك:

لما فتح ملك الأشوريين مصر، رأى من حسن السياسة، أن يعين عليها أميراً من أهلها، كي يضمن ولاءه، ويستعين به على غيره من الأمراء، وكان الأمير الذي وقع عليه الاختيار، هو أمير "سايس" (صا الحجر)، فلما مات خلفه ابنه بسماتيك، وكان رجلاً قوي الشكيمة، واسع الحيلة، أعاد لمصر استقلالها، وأعز شأن بلاده، حتى عد عصره، بدء عهد جديد زاهر، هو عصر النهضة، وإحياء مجد مصر القديم.

طرد الأشوريين من مصر:

وأول ما عمله بسماتيك، أن التفت إلى الأمراء، وقضى على ما كانوا

---

(٩) كانت تقع حول الجزء الأدنى من نهري دجلة والفرات، وظهرت فيها حضارة عظيمة.

يتمتعون به من سلطان، فخضع الجميع له، وبذلك عادت إلى مصر وحدتها من جديد سنة ٦٥٤ ق. م.

لم يكد بسماتيك يحقق غرضه الأول، وهو توحيد البلاد، حتى شرع في تحقيق غرضه الأسمى، وهو تخليصها من نير الأجانب، فانتهز فرصة انشغال الأشوريين بالفتن في بلادهم، وطرد ما بقي من حامياتهم وموظفيهم في مصر، فاستردت مصر بذلك استقلالها.

وبهذين العملين الجليلين، استطاع بسماتيك، أن يحتل بين فراعنة مصر الأول، مكاناً سامياً، ويعده المؤرخون مؤسس الأسرة السادسة والعشرين.

مظاهر النهضة الأخيرة

الحكومة:

تبع القضاء على قوة الأمراء، قيام حكومة قوية، قبضت على زمام الأمور في جميع أنحاء البلاد، إذ تجمعت السلطة في يد الملك، وحرم على الأمراء، وكبار الموظفين، أن يورثوا أبناءهم مناصبهم، وأصبحت أرض مصر كلها ملكاً للملك، كما كان الحال أيام عظمة الفراعنة الأقدمين، فيما عدا جزءاً منحه الأمراء والكهنة والجنود. وكان يساعد الملك موظفون، يجبون الضرائب، ويقضون بين الناس بالعدل.

ويمتاز هذا العصر، بظهور نوع جديد من الكتابة، مشتق من الكتابة الهيروغليفية القديمة، يعرف بالهيراطيقية. وقد استخدمها الموظفون في دواوين الحكومة، والتجار وغيرهم في حياتهم اليومية، وذلك لسهولتها ويسر تناولها، فأصبحت كتابة شعبية، وهي التي أطلق عليها اليونانيون الكتابة الديموتيقية.

حاضرة البلاد:

واتخذ بسماتيك مدينة سايس (صا الحجر)، الواقعة في الدلتا على فرع رشيد، مقراً له، وحاضرة لملكه، لأنها المكان الذي نبتت فيه أسرته. وقد أنشئت فيها المعابد الفخمة، والقصور الجميلة. أما طيبة، العاصمة القديمة، التي ظلت مئات من السنين، المركز الديني والسياسي لمصر وإمبراطوريتها، فقد أخذت منذ ذلك الحين، تفقد نفوذها، وتضعف أهميتها، مكتفية بما انطوت عليه من آثار جليلة.

الدين:

وفي هذا العصر نبذ المصريون في عبادة الآلهة القديمة، عدا الإله أوزيريس، الذي ظل مكانه مهيباً في النفوس. وعبدوا إلى جواره الحكماء الأقدمين، الذين خلدت حكمتهم، وتناقلت السنون سيرهم، أمثال إمحتب وزير زوسر، كما قدسوا بعض الحيوان وعبدوه.

وكان أكثر الحيوان مقاماً في النفوس، عجل "أبيس"، الذي يمتاز بلونه الأسود الفاحم، يشوب جبهته بياض مثلث الشكل، وعلى جانبه الأيمن، بياض آخر على شكل هلال. ولما كان العثور على عجل، تتوفر فيه هذه العلامات المميزة، نادراً، فإن المصريين في ذلك الزمان، كانوا يعدون يوم العثور عليه، أسعد الأعياد، كما كان يوم وفاته، بدء حداد وحزن، يمتد حتى يهتدوا إلى عدل آخر، تتوافر فيه تلك العلامات.

ولقد عثر الباحثون على مقبرة جهة سقارة، تعرف "بمقبرة العجول"، كانت عجول أبيس تدفن فيها، في توابيت ضخمة من حجر الجرانيت.

الفنون:

وعاد المصريون في أيام الأسرة السادسة والعشرين، يقلدون أجدادهم، الذين

عاشوا في عصر الدولة القديمة، فأعادوا نقش متون الأهرام على قبورهم، وصوروا على جدران المعابد الملحقة بالمقابر، المناظر التي كان الميت يألفها في حياته اليومية، موظفاً كان، أو فلاحاً، أو صانعاً، أو تاجراً. ولكن تماثيل هذا العصر وصوره، تمتاز على مثيلاتها القديمة، بتجردها من المبالغة.

الجيش:

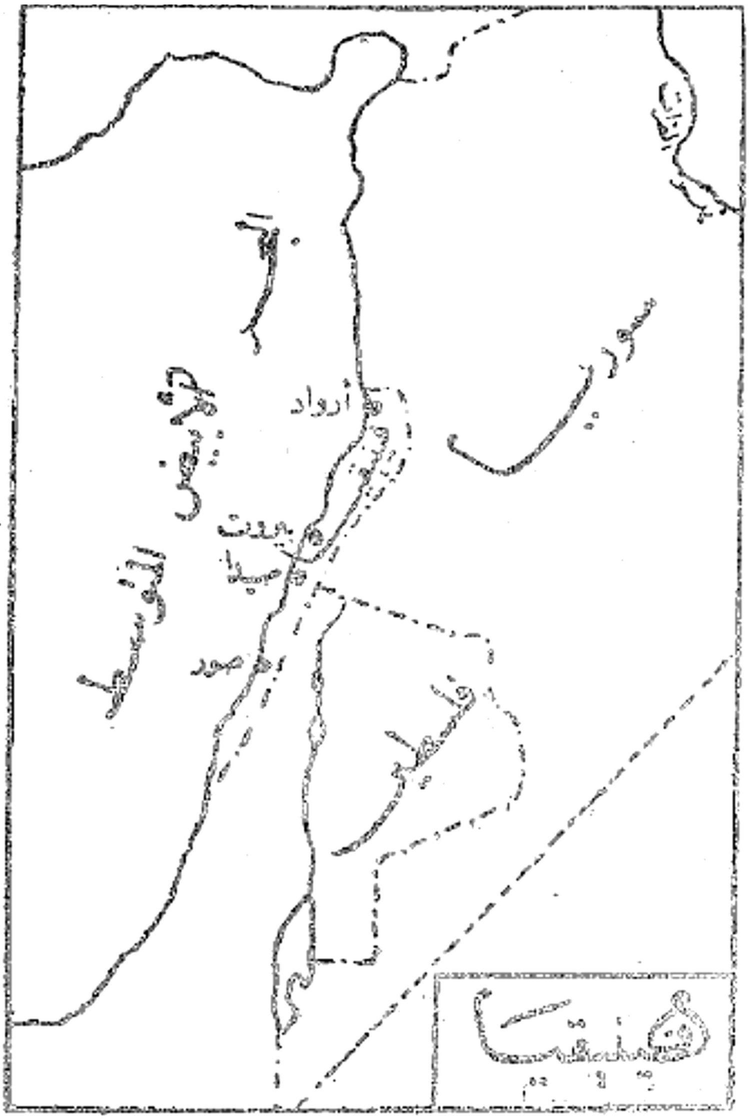
غير أن النهضة التي أقامها بسماتيك، كان يشوبها عيب واضح، هو أن الجيش أصبح يتكون من الإغريق، والسوريين والليبيين، لأن الروح الحربية القديمة كانت قد ماتت بين المصريين. ومع هذا فقد طمع بسماتيك في استرداد الإمبراطورية القديمة، ولكنه لم يفلح إلا في الاستيلاء على فلسطين.

علاقة مصر بالفينيقيين والإغريق

عمل بسماتيك على تشجيع التجارة الخارجية، فأعاد العلاقات التجارية القديمة بين مصر وسوريا، وشجع الفينيقيين والإغريق على الاستيطان بمصر، بما كان يمنحهم من تسهيلات ومزايا، وذلك كي تستفيد البلاد من نشاطهم وعظيم.

الفينيقيون:

هم قومساميون، نزلوا بساحل سوريا الضيق، المحصور بين البحر الأبيض وجبال لبنان، أفادهم حسن موقع بلادهم بين الشرق والغرب، ووفرة الخشب في جبال لبنان، وقربهم من ساحل البحر، وضيق بلادهم، وقلة موارد الرزق فيها. فبنوا السفن الكثيرة، وركبوا البحر، وهجر الكثير منهم بلادهم، إلى الجزر



المنثورة في البحر الأبيض المتوسط، مثل قبرص ورودس، ونزلوا في جهات من آسيا الصغرى وبلاد الإغريق، وإيطاليا وشمال إفريقية، يبادلون أهل تلك البلاد التجارة. ولما استقروا في تلك الجزر وغيرها، جعلوا منها أسواقاً لتجارتهم، ومحطات لتموين سفنهم.

وللفينيقيين فضل عظيم على أوروبا، فهم الذين نقلوا إليها حضارة الشرق، وعلومه وصناعاته، وبذروا البذرة الأولى، في قيام الحضارة الأوروبية. ومن أهم ما نقله الأوربيون عن الشرق، المقاييس والموازين، وبناء السفن، وعلم الفلك والكتابة.

وعلاقة الفينيقيين بمصر قديمة جداً، ترجع إلى الأسرة الثالثة، فكانوا ينقلون إلى مصر خشب الأرز من جبال لبنان، ويحملون إلى بلادهم حاصلات مصر وصناعاتها، مثل خيط الكتان والغلال والأصباغ والزجاج.

ثم خضعت بلادهم لمصر كما تقدم، في عهد الدولة الحديثة، علي يد فرعون مصر العظيم، تحتمس الثالث، وظلت تكون جزءاً من إمبراطورية مصر، حتى خرجت عليها مع سوريا وفلسطين، في عهد إخناتون، يوم كانت تشغله ثورته الدينية، عن أي شيء آخر في الإمبراطورية.

على أن علاقة الفينيقيين بمصر، ظلت وطيدة، فقد كثر نزوحهم إليها، واستقروا في كثير من نواحيها ومدنها، وبخاصة في مدينة منف، وكان وجودهم في مصر سبباً في رواج التجارة المصرية، وكثرة اتصال مصر بدول البحر الأبيض المتوسط.

الإغريق:

ظل الفينيقيون يحتفظون بنشاطهم التجاري قروناً طويلة، لا ينازعهم في البحر المتوسط منازع، ولا تجاريهم في المهارة البحرية أمة من أمم ذلك العهد. ثم ظهر بالطرف الجنوبي لشبه جزيرة البلقان، قوم يعرفون بالإغريق، دفعتهم كثرة الجبال في بلادهم، ووعورة مسالكها، وصعوبة المواصلات في داخلها، إلى بناء السفن والاشتغال بالملاحة، وبذلك أخذوا ينافسون الفينيقيين، فاستولوا على جزر بحر إيجه، وعلى الكثير من مراكزهم التجارية بالبحر الأبيض المتوسط.

ولما رأى بسماتيك الأول، ما يجري في عروقهم من نشاط وحياة، وما هم عليه من مهارة في الحرب والتجارة، دعاهم إلى الإقامة بمصر، فنزحوا إليها جماعات، واستقروا فيها، وكونوا لأنفسهم مراكز إقامة داخل مصر، وبخاصة غربي الدلتا، قرب صا الحجر، وفي منف، واهتموا بالصناعة والتجارة، واستخدم الكثير منهم في الجيش المصري.

ولقد نقل الإغريق عن المصريين الكثير من مظاهر حضارتهم، وبخاصة الصناعة والفنون المختلفة، وكذلك أعجبوا بالقصص المصرية، فاقتبسوا منها، وانطلقت ألسنة شعراء الإغريق، تصف عظمة الفراعنة، وما خلفوه للعالم من آثار.

نخاو الثاني

ومات بسماتيك بعد أن جلس على عرش مصر خمسين سنة، فخلفه ابنه "نخاو" عام ٦٠٩ق.م، فعزم على تحقيق آمال أبيه، في إحياء الإمبراطورية. ولتنفيذ هذا العزم، زاد في عدد الجيش، وبنى أسطولاً حربياً للبحر الأبيض المتوسط، وآخر للبحر الأحمر، وبعد ذلك فتح فلسطين وسوريا. ولكن إمبراطوريته لم تعمر طويلاً؛ ذلك أن ملك بابل، حارب المصريين وهزمهم عند "قرقميش"، في أعالي الفرات، عام ٦٠٥ق.م، وعاد نخاو مسرعاً إلى مصر، بعد أن ضاعت فتوحه. ومنذ ذلك الحين، حول جهوده إلى ترقية التجارة، وتوسيع نطاقها، فشرع في حفر القناة القديمة، التي كانت تصل فرع النيل الشرقي بالبحر الأحمر.

ويقول هيرودوت: إن مائة ألف عامل هلكوا في تنفيذ هذا المشروع، حتى اضطر نخاو أن يعدل عنه". ويقال كذلك إن سبب عدوله عنه، راجع إلى أنه أدرك أن القناة ستكون نكبة على مصر، أما خيرها ونفعها، فسيعود على

الأجانب، ولذلك أوقف تنفيذ المشروع.

ولقد بلغ به حبه في ترقية الملاحة، وتشجيعها، أنه بعث عدداً من الملاحين الفينيقيين للطواف حول إفريقية، فأتموا الرحلة في ثلاث سنوات.

أحمس الثاني

ولما تولى الملك أحمس الثاني، ظهرت كفايته ومواهبه، ومن مآثره أنه شيد بعض ملحقات جميلة، بمعابد صا الحجر ومنف، ونقح القوانين، وأنشأ أسطولاً قوياً، أخضع به جزيرة قبرص، وأرغمها على دفع الجزية لمصر.

سياسته مع الإغريق:

اعتلى أحمس عرش مصر، بعد كفاح انتصر فيه المصريون الوطنيون على الإغريق، الذين كانوا يسكنون مصر وقتئذ، ولكنه مع ذلك لم يحاول القضاء عليهم أو طردهم من البلاد، وإنما أصدر أمره إليهم، أن يتجمعوا كلهم في مدينة "نقراطيس" الواقعة غرب فرع رشيد، وحظر عليهم الإقامة في غيرها من المدن. ولكن تركز الإغريق في تلك المدينة، زاد من أهميتها، فمازالت تنمو وتزدهر، حتى صارت في مدى قصير، أهم مركز تجاري بمصر، وكانت إغريقية صرفة في تجارتها وصناعتها، وتنسيقها وحكومتها.

وفي أواخر أيام أحمس، تعرضت مصر لخطر عظيم، وذلك نهوض دولة الفرس، وامتلاكها غربي آسيا.

ظهور دولة الفرس

كان الفرس في أول أمرهم، يسكنون أرضاً، لا تزيد مساحتها على ٤٠٠ ميل مربع، تقع شمالي الخليج الفارسي، وكانوا يزرعون الأرض بأدوات غاية في البساطة، ولم يكن لهم في التاريخ شأن يذكر.

وقد ظهر من بينهم، سنة ٥٥٠ق.م، رجل عظيم، وقائد شجاع، يدعى "كورش" جمع أمراء الفرس حوله، وكون جيشاً باسلاً، حارب به جيرانه الميديين، وقضى على دولتهم، في مدة لا تتجاوز ثلاث سنوات.

ولقد بهر هذا العمل العظيم، أعين جميع الأمراء الأسيويين، ويأتوا في فزع منه. وأمام هذا الخطر الداهم، تحالف أحمس الثاني ملك مصر، مع أمراء آسيا الصغرى وبابل وغيرهم، وحتى الإغريق الذين كان البحر يفصل بين بلادهم وبين آسيا، اشتركوا في التحالف ضده، دفعاً لخطره.

ولكن كورش، كان أسرع منهم تدبيراً، فقد انقض على آسيا الصغرى، وبضربة خاطفة أخضعها لملكه، وبضربة أخرى سريعة، فتح سوريا وفلسطين، وهكذا فعل بابل.

ثم مات كورش، بعد أن أصبحت جيوشه على أبواب مصر، وخلفه على عرش فارس، ابنه "قمبيز".

فتح مصر (٥٢٥ق.م):

وبينما كان أحمس الثاني، يتأهب للدفاع عن بلاده، أدركه الموت، فخلفه ابنه بسماتيك الثالث، وفي عهده شرع الفرس في غزو مصر، فجاء ملكهم "قمبيز" بجيش جرار، سنة ٥٢٥ق.م، وهاجم مدينة "بلوز" (الفرما)



بحراً،، وزحفت جيوشه على مصر براً، وبعد مقاومة عنيفة[١٠] ، سقطت الدلتا في يد الفرس، ولجأ بسماتيك الثالث إلى منف. ولكن قمبيز حاصرها، وفتحها، وقبض على بسماتيك وقتله، فانتهت بذلك الأسرة السادسة والعشرون.

حملتا سيوة وبلاد النوبة:

ولما تم لقمبيز فتح مصر، واستقر له الأمر فيها، بعث بحملة لفتح واحة سيوة، المعروفة وقتئذ بواحة آمون، ولكن زوابع الصحراء الرملية، عصفت بالحملة، وقضت عليها.

ثم جهز قمبيز حملة ثانية، قادها بنفسه، لفتح بلاد النوبة، ولكنها لم تكن أسعد حظاً من سابقتها، وذلك أنه ما كان يتخطى الشلال الثالث، حتى نفذ

---

(١٠) ساعد الفرس، خيانة أحد الجنود الإغريق في الجيش المصري، ووضع بعض الحيوانات المقدسة عند المصريين، في مقدمة الجيش الفارسي.

طعام جنوده، ولما عضهم الجوع، أكلوا لحوم الدواب التي كانوا يركبونها، ولما نفدت هذه أيضاً، بدأوا يأكلون بعضهم بعضاً، وأمام هذه الكارثة التي نزلت بقمبيز وجيشه، عاد إلى مصر حزيناً مهموماً.

سياسة قمبيز في مصر:

عامل قمبيز المصريين، في أول الأمر، معاملة طيبة، فقد احترم معتقداتهم، وزار المعابد وأصلحها، وقدم القرابين والهدايا للآلهة. ولكن بعد أن حلت به وبجيشه الكوارث، في سيوة وبلاد النوبة، انقلب على المصريين، وأهان عاطفتهم الدينية، وقتل العجل أبيس في إحدى حفلاتهم، فسخط المصريون عليه وكرهوه كرهاً شديداً.

دار الأول:

تولى ملك فارس، بعد وفاة قمبيز، "دارا الأول"، فزار مصر، وأراد أن يمحو الأثر السيء، الذي تركه سلفه، فأحسن معاملة المصريين، واحترم معبوداتهم، واستكثر من الأعمال النافعة: كإعادة حفر الترعة، التي تصل النيل بالبحر الأحمر، وتشييد المدارس، وإصلاح طريق وادي الحمامات.

وتعد هذه الفترة، التي كانت مصر فيها، تحت حكم الفرس، عهد الأسرة السابعة والعشرين.

ثورة المصريين:

لم ينس المصريون ما حل بهم على يد الفرس، وملكهم قمبيز، فتطلعوا لطردهم من بلادهم، واستعادة استقلالهم الضائع، فثاروا غير مرة في وجه الفرس، حتى إذا كانت سنة ٤٠٥ق.م، استطاع أحد أمراء الدلتا، أن يستقل بها، ويكون الأسرة الثامنة والعشرين، التي تبعتها أسرتان أخريان مصريتان، هما التاسعة والعشرون والثلاثون.

ومن أهم ما وصل إلينا من أخبار ملوك تلك الأسر، بناء بعض المعابد، في طيبة ومنف، وبعض جهات الدلتا، وقطع الأحجار من المحاجر القديمة، في أسوان ووادي الحمامات.

عودة الفرس:

حاول الفرس مرات عدة، أن يعودوا لفتح مصر، ولكنهم كانوا في كل مرة يرتدون عنها خائبين، بفضل الجنود الإغريق، الذين كانت تتكون منهم غالبية الجيش وقتئذ.

غير أنه في سنة **٣٤٢**ق.م، استطاع الفرس دخول مصر ثانية فاتحين، وبقيت تحت حكمهم عشرة أعوام، لقيت فيها البلاد الكثير من أنواع الظلم والعذاب، إلى أن خلصها منهم، بطل الإغريق، الإسكندر الأكبر.

حضارة الدولة الحديثة (١٥٨٠-١١٥٠ق.م)

يعد عصر الإمبراطورية المصرية من سنة **١٥٨٠**ق.م إلى سنة **١١٥٠**ق.م، أعظم عصور مصر القديمة حضارة، فقد ساد البلاد في تلك الفترة، التي وصلت فيها الإمبراطورية إلى ذروتها، نهضة شاملة: في المباني والفنون، والتجارة والصناعة والتعليم، بل وفي الديانة. غير أنه لما دب الضعف السياسي في كيان الإمبراطورية، تأثرت الحضارة المصرية تبعاً لذلك. وسنتكلم هنا عما وصلت إليه الحضارة من تقدم، في العهد الزاهر من عهود الإمبراطورية.

نظام الحكم:

تجمعت السلطة كلها في يد الملك في ذلك العصر، كما كانت الحال في عصر الدولة القديمة، فكان الملك يصرف جميع المسائل الهامة في الدولة. ولم يكن يقنع بالبقاء في عاصمة ملكه، ويشرف منها على سير الأمور في دولته، بل كان

كثيراً ما يزور أقاصي البلاد، باحثاً، مفتشاً، مطلعاً على ما يجري فيها من أعمال وإصلاح، فأحس الموظفون في مختلف الجهات رقابته، وأقبلوا على عملهم في جد وأمانة.

ولما تعددت مهام الملك، وكثرت مشاغله، بعد الفتوح العظيمة، عين وزيرين لمعاونته، اختص أحدهما بإدارة الوجه القبلي، وتمتد منطقة نفوذه من طيبة إلى أسيوط، واختص الآخر بإدارة بقية المملكة، شمالي أسيوط، وكان مقره عين شمس.

ولم تعد الوظائف الرئيسية، ومناصب حكام الأقاليم، وقفاً على فئة معينة، من الأشراف وكبار الموظفين، يتوارثونها على الأيام، كما كان الحال من قبل، بل أصبحت تلك الوظائف الكبرى، مشاعاً بين الأفراد، يتقلدها منهم، من أوتي حظاً وافراً من العلم، ونصيباً كبيراً من المقدرة والكفاية.

القضاء:

وفي عهد هذه الدولة، دونت القوانين الجنائية والمدنية، وكان الناس جميعاً، بلا تمييز بين غني وفقير، يحاكمون على مقتضى العدل والإنصاف، مهما تكن التهمة التي يقدم المتهم من أجلها إلى المحاكمة. ومن النصائح التي نطق بها أحد الملوك ينصح وزيره، قوله: "إن أعظم ما يفخر به الحاكم، عدله ونزاهته... ابتعد ما استطعت عن الاختلاط بالناس، فإن بعدك عنهم، يزيدك مهابة، ويكسب أحكامك التي تصدرها، احترام الناس وإجلالهم".

الجيش:

لقى الجيش في عصر الإمبراطورية، بعد استخدام الخيول والعجلات الحربية، عناية الملوك، وعظيم اهتمامهم، فزادوا في عدده وعدته، وجعلوا من أبنائهم قواداً له، وقسموه فرقاً، يتكون منها قلب الجيش وجناحاه. وابتدعوا في حروبهم حركات الالتفاف حول العدو، وحصار القلاع والمدن الحصينة، فارتقى بذلك

الفن العسكري، وكان له أكبر الأثر، فيما أحرزه المصريون من انتصارات باهرة، في عصر هذه الدولة.

وتشجيعاً للجند على الانتظام في سلك الجندية، كان الملوك يمنحونهم عقب الغزوات، الأوسمة المنوعة، المصنوعة من الذهب والفضة، وأسلحة الشرف، كالسيوف، والأساور والعقود اليمنية، فكانت هذه كلها، مبعث زهوهم وفخرهم، وحافزة لهم على الاستبسال والاستشهاد في سبيل مصر.

أما القواد، فكانوا يمنحون هبات من الأراضي الزراعية، تقديراً لخدماتهم، واعترافاً بكفايتهم.

وكان الملوك، كلما حازوا نصراً في حروبهم، يعودون إلى بلادهم، ويدخلون طيبة، يحف بهم الجيش بموسيقاه وأعلامه، ويحيط بهم الأمراء والوزراء، ومن خلفهم الأسرى وغنائم الحرب. وتسير مواكب النصر هذه بين تهليل الشعب وحماسته، حتى تصل إلى معبد الإله آمون. وفي هذا المعبد تقام حفلات دينية بالغة، وتقدم القرابين والهدايا إلى الإله، شكراً واعترافاً بفضله.

الدين:

ساد الاعتقاد في مصر القديمة، أن الملوك إنما يحكمون مصر، باسم الآلهة، ونيابة عنهم، وقد بقى نفوذ تلك الآلهة محصوراً في مصر، وعبادتها مقصورة على المصريين، ولم تتعداهم إلى من حولهم من الشعوب، لأن الملوك لم يحاولوا فرض تلك العبادة على البلاد التي فتحوها. وظلت الحال كذلك، طوال عصر الدولة القديمة، وعهد الدولة الوسطى، ولما بدأت الدولة الحديثة، وفتح ملوكها بلاد النوبة، وفلسطين وسوريا، وجزءاً من بلاد النهرين، بدأ عصر جديد زاهر، هو عصر الإمبراطورية.

وقد كان لهذا التوسع الخارجي الكبير، أثر قوي في أفكار المصريين ومعتقداتهم، فقد أخذوا يعتقدون أن الآلهة المصرية، تذهب حيث يذهبون، وتحل في كل بلد يفتحون، بحيث تصبح آلهة لتلك الفتوح. وبذلك بدأ مقام الآلهة يعظم في أعين المصريين، وكذلك في أعين غيرهم من الشعوب.

ولم تقف آراء المصريين عند هذا الحد، بل إنهم سموا في تفكيرهم، إلى درجة الاعتقاد، بأنه ليس هناك إلا إله واحد فقط، هو إله الشمس.

وتلت ذلك ثورة إخناتون الدينية، التي سبق الكلام عليها، وما صحبها من عبادة وأفكار جديدة، ثم فشل هذه الثورة، والعودة إلى العبادة القديمة.

وفي هذا العصر، اتخذ الكهنة لأنفسهم زياً خاصاً، يميزهم عن غيرهم من سائر الطبقات، فكانوا يلبسون في رقابهم حلياً تزينها صور الحيوان، ويغطون أكتافهم بجلد الفهد، وتخلصوا من الشهر المستعار، الذي اعتادوا وضعه على رءوسهم في العصور السابقة.



جنازة مصرية قديمة في عهد الأسرة التاسعة عشرة

وفي هذا العصر، انتشر استخدام "كتب الموتى[١١] "، التي كانت توضع في المقابر، لتنير السبيل أمام الميت في ظلمات الحياة الثانية، وتلقنه ما يدافع به عن نفسه يوم الحساب، أمام محكمة أوزيريس.

(١١) انظر صفحة ١٩٧.

الفنون

العمارة:

تدفقت الثروة على مصر، في عصر الإمبراطورية، بفضل الغنائم الوفيرة، التي غنمها المصريون من فتوحهم، والضرائب التي كانوا يجبونها، وأخذوا ينفقون الأموال الطائلة في إقامة المباني الفخمة، فارتقى فن العمارة، وظهرت طائفة من المهندسين والفنانين، كان الملوك يشجعونهم ويجزلون لهم العطاء، ليدفعوهم إلى المثابرة والابتكار. والمعابد التي خلفها ملوك ذلك الزمان، خير شاهد على ما وصلت إليه العمارة من رقي وسمو.

وكان لكل معبد بوابة مرتفعة، ذات برجين، تؤدي إلى فناء غير مسقوف، يجتمع فيه العامة من أفراد الشعب، في الحفلات الدينية. ويؤدي هذا الفناء إلى بهو مسقوف، ذي أعمدة ضخمة، مخصص لأفراد الطبقة العليا؛ ويتبع هذا البهو، حجرة صغيرة من الجرانيت، تعرف بالناووس، يوضع فيها تمثال الإله، المصنوع غالباً من الذهب الخالص، أو الفضة ، أو البرونز المذهب.

وإلى جوار المعبد، كانت تبنى مساكن للكهنة، ومخازن للغلال، وحظائر للحيوان المقدس، وحدائق وبرك، فكان المعبد، وما يحيط به، أشبه بمدينة صغيرة.

النحت:

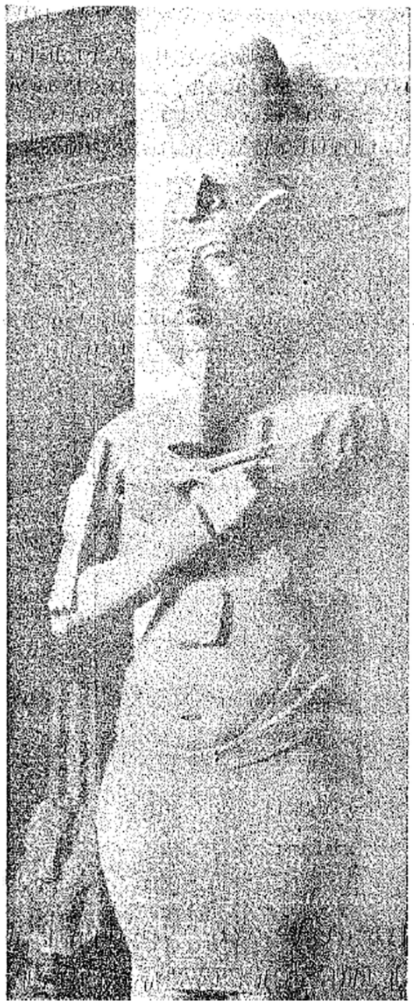
نظر المصريون إلى ملوكهم، منذ أن قامت الملكية في مصر، نظرة ملؤها الإكبار والإجلال، فقد كان الملوك في اعتقادهم، أبناء الآلهة، وخلفاءهم على عرش مصر، ثم زاد هذا الاحترام، في عصر الإمبراطورية، لما قام به بالفراعنة، من رائع الأعمال، وما تم على أيديهم من فتوح وانتصار.

ولما رغب المثالون في إقامة التماثيل، التي تخلد ذكرى أولئك الملوك، أبدعوا

في نحتها وتصويرها، حتى جاءت ناطقة بما كان الملوك عليه، من هيبة ووقار. ومن أشهر تلك التماثيل:

تمثال تحتمس الثالث:

وهو تمثال جميل، أبدع المثالون في صنع رأسه، واقنوا في إبراز ملامح وجهه، حتى لتكاد تنطق بما كان يملأ ذلك الرجل العظيم، من حيوية وإقدام وطموح.



تمثال إخناتون

تمثال إخناتون:

ويدل هذا التمثال على أن الفنان المصري، في ذلك العهد، حرر نفسه من القيود العنيفة، التي كان محتماً عليه ألا يحيد عنها من قبل، فخرج على القديم، كما خرج مليكه إخناتون على العقائد الدينية القديمة. لذلك جاء هذا التمثال صورة صادقة لإخناتون، في نحافة قامته، وغلظ شفتيه المتدليتين، وذقنه المدبب، وعينيه الغائرتين. وهذا يصور ما كان يعانيه هذا الملك الفيلسوف، من إجهاد وتعب وتعمق في التفكير.

تمثال نفرتيتي:

ومن أجمل تماثيل الدولة الحديثة، تمثال نصفي للملكة نفرتيتي، زوج إخناتون، يمتاز بدقة صنعه ورشاقة منظره، وجمال تقاطيع الوجه وانسجامها، وطول الرقبة. وقد عثرت عليه بعثة ألمانية في تل العمارنة، وحملته إلى ألمانيان حيث أودع متحف برلين.



رأس الملكة نفرتيتي زوجة إخناتون

النقش:

وكما امتازت الدولة الحديثة، بوفرة المعابد وضخامتها، وكثرة التماثيل وروعتها، شاع فيها كذلك نقش الجدران، وتحليتها بالرسوم والمناظر البارزة، التي تمثل المعارك الحربية، ومواكب النصر، والحفلات الدينية. كما زاد استخدام الألوان، في تجميل الصور والنقوش على جدران المعابد والمقابر، وعلى أخشاب الأثاث، ومن أمثلة تلك النقوش، ما نشاهده على جدران معبد الكرنك، موضحاً

معارك تحتمس الثالث، والأسرى، وأنواع الحيوان والنبات، التي جلبها من فتوحه في آسيا.

الأدب

الأدب القصصي:

ازدهر الأدب المصري في عصر الدولة الحديثة، وبخاصة في عهد الأسرة التاسعة عشرة، ولقد شغف أدباء هذا العصر، بكتابة القصص الغرامية والخيالية والشعر الوصفي.

كتاب الموتى:

ومن أشهر الآثار الأدبية، التي خلفها مصريو ذلك العصر، "كتاب الموتى"، الذي سبقت الإشارة إليه، وهو عبارة عن ملفات من ورقة البردي، منسوخة بالكتابة الهيروغليفية، تحوي في قسم منها صوراً بديعة، تمثل مناظر الحياة في العالم الثاني، على حسب ما كانوا يتصورونها. وبالكتاب كذلك وصف الشياطين والأفاعي والمخلوقات المرعبة، والوحوش المخيفة، التي اعتقدوا أنها ستلقي الميت وتعذبه. وفي جزء آخر منه، وصف لمحاكمة الميت أمام محكمة أوزيريس، ومناظر المحاكمة، والقضاة، والمحكمة.

وبالكتاب فوق هذا كله تعاويذ سحرية، اعتقد المصريون أنها تساعد الميت، وتحميه من أذى الأرواح الخبيثة وغيرها، ولذلك حرصوا على أن يضعوا نسخة منه، إلى جوار الميت في تابوته، ليكون له هادياً في الحياة الأخرى.

مظاهر الحياة الاجتماعية

الثروة الإمبراطورية:

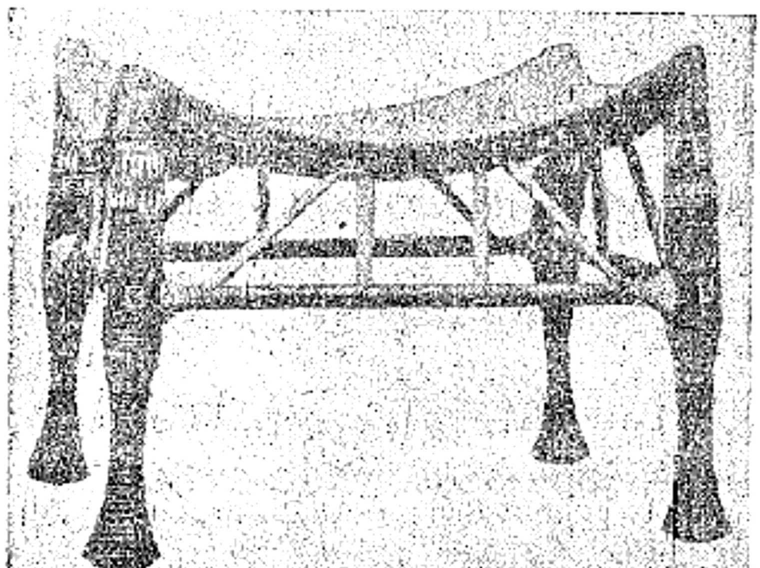
تدفقت الأموال والخيرات على مصر وعاصمتها طيبة، من إمبراطوريتها

الواسعة، الممتدة في إفريقية، إلى الشلال الرابع، وفي آسيا، إلى ما وراء نهر الفرات. وكذلك انهالت على مصر وفرعونها، الهدايا الثمينة من الملوك والأمراء، الذين كانت تتاخم بلادهم أملاك مصر.

ومن بين ما تدفق على مصر، الأثاث المحلى بالذهب، والأسلحة والعربات، والأخشاب الزكية الرائحة، والذهب والفضة، والأحجار الكريمة.

حياة الترف:

ولما أثرى كبار المصريين، وفاض الخير عليهم، عاشوا عيشة ترف ونعيم، فأقاموا الدور الفخمة، وأحاطوها بالحدائق الغناء، وجهزوها بالأثاث الفاخر، من سرر وأغطية، ووسائد محشوة بالريش، وأرائك مطعمة بالعاج. أما الحجرات، فكانوا يرصفون أرصها ببلاط ملون، تغطيه بسط فخمة، ويكسون الجدران المرمر الأبيض، وينقشون عليها مناظر طبيعية خلابة.



كرسي من عهد الإمبراطورية

الولائم والحفلات:

ويتجلى الترف والنعيم، في ذلك العصر، فيما كانوا يقيمون من ولائم وحفلات، إذ كانوا يستعملون أباريق وآنية من الذهب والفضة، وأكواباً من البلور، وصحافاً من الخزف والذهب. وفي خلال تناول الطعام، يستمتعون بمشاهدة الرقص، وألحان الغناء وسماع الموسيقى، من آلات كانت تتألف من القيثارة والناي والطبل.



شكل يمثل ملابس عهد الإمبراطورية

الحلي:

أما غرام المصريين بالحلي، فتدل عليه تلك المجموعة البدعية التي عثر عليها في مقبرة توت عنخ آمون، والتي تحلى الآن المتحف المصري، وهي تتكون من قلائد وعقود، وأساور وأقراط وغيرها. وكانت حلي الصدر، تصنع من الذهب، وتطعم بالزجاج والأحجار الكريمة، وتصاغ في أشكال جذابة.

أدوات الزينة:

وتنوعت أدوات الزينة وتعددت أشكالها، فقد استخدموا العطور والزيوت الثمينة، والمكاحل ذات المراود، ومرايا من المعادن، ودبابيس الشعر والأمشاط ومساحيق الزينة.

بعض طبقات المجتمع:

ولقد نتج عن اتساع أملاك مصر، وازدياد عدد الجيش، وتعدد المصالح الحكومية، للإشراف على الإدارة الداخلية، وعلى شؤون الإمبراطورية واتساع، نطاق التجارة، أن قوى شأن الطبقة الوسطى، التي كانت تتألف من موظفي الحكومة وضباط الجيش والتجار وغيرهم، وأصبحت طبقة اجتماعية ذات أثر.

كذلك أصبح لرجال الدين والكهنة من الثروة والنفوذ، ما جعل منهم طبقة ذات شأن، من الوجهتين الاجتماعية والسياسية.

وانتشرت القراءة والكتابة بين كثير من أفراد المصريين، نظراً لما كانت تقضي به ضرورات الحياة في ذلك العصر.

التجارة

بلغت التجارة الخارجية، في عصر الدولة الحديثة، درجة من الزواج والانتعاش لم تبلغها من قبل، فكان أسطول مصر في البحر الأحمر، يحمل إليها خيرات بلاد بنت وما وراءها، وكانت القوافل تروح وتندو بين مصر وبلاد آسيا الغربية ولم تكن تجارة مصر في البحر المتوسط، أقل في رواجها ونشاطها، من تجارتها مع البلاد الشرقية، إذ كانت السفن الفينيقية، تنقل البضائع بين مصر وقبرص وجزر بحر إيجة، وتأتي بالأواني المزخرفة والأدوات المصنوعة من البرونز، من بلاد الإغريق.

وعين أمنحتب الثالث خفراً حربياً، ليحمي سواحل الدلتا، ويمنع القرصان

من الدنو منها، ولمراقبة السفن التي تدخل مصبات النيل.

وكان رجال الشرطة يشرفون على تحصيل الضرائب، المفروضة على البضائع الواردة إلى مصر، بالبر أو بالبحر، فعظم بذلك دخل الحكومة من تلك الغرائب وأصبحت مورداً هاماً لخزانة الدولة.

الباب الخامس

مصر والإسكندر

الإغريق

أصل الإغريق:

الإغريق كالفرس، موطنهم الأصلى، المراعي القريبة من بحر قزوين، في آسيا، وهاجرت قبائل منهم، إلى شبه جزيرة البلقان في أوربا، حوالي عام ٢٠٠٠ ق. م، ثم تسربوا منها نحو الجنوب، واستقروا في البلاد، التي تعرف اليوم ببلاد اليونان، ثم أخذوا يستولون على الجزر المنثورة في بحري إيجه، ولم تأت سنة ١٠٠٠ ق.م، حتى كانوا قد استولوا عليها كلها.

حالتهم الأولى:

اعتمد الإغريق، بعد أن نزلوا في شبه الجزيرة على الرعي، ولم تكن لهم حكومة منظمة، تجمع شملهم، وتوحد كلمتهم. وظلت الحال كذلك زمناً طويلاً، أخذوا بعدها يزرعون الأرض، ويستقرون حولها، ويقيمون لأنفسهم مساكن ثابتة، فنشأت بذلك القرى، وخضعت كل قرية منها لرئيس، يعاونه جماعة من ذوي الرأي فيها. ثم ارتقت بعض القرى واتسعت، فصارت مدناً عامرة، لكل منها حكومة مستقلة، وجاش خاص، وآلهة مقدسة.

وكان للطبيعة أثرها، في انقسام بلاد الإغريق، أقساماً عدة، وعدم قيام حكومة متحدة فيها، كما كانت الحال في معمر، فأصبحت كل مدينة دولة قائمة

بذاتها، وذلك لأنها بلاد ضيقة، يفصل أجزاءها، بعضها عن بعض، جبال عالية، وخلجان كثيرة. ومن أشهر المدن الإغريقية، أثينا وإسبرطة.



إسبرطة: اتجهت عناية "إسبرطة" إلى الأمور المغربية، فكان أهم ما يشغل أهلها، التدرب على القتال، والتأهب للحرب، حتى صارت إسبرطة، أشبه بكنة عسكرية، وكانت الحكومة هي القائمة بأمر التربية الإسبرطية، لتخريج رجال أشداء، يدافعون عن الوطن.

أثينا:

أما أثينا، فأهتمت بتثقيف العقول، والتفتت إلى العناية بالعلوم والفنون والآداب، لذلك كان فضلها عظيماً على العلم والمدنية.

مميزات الحضارة الإغريقية

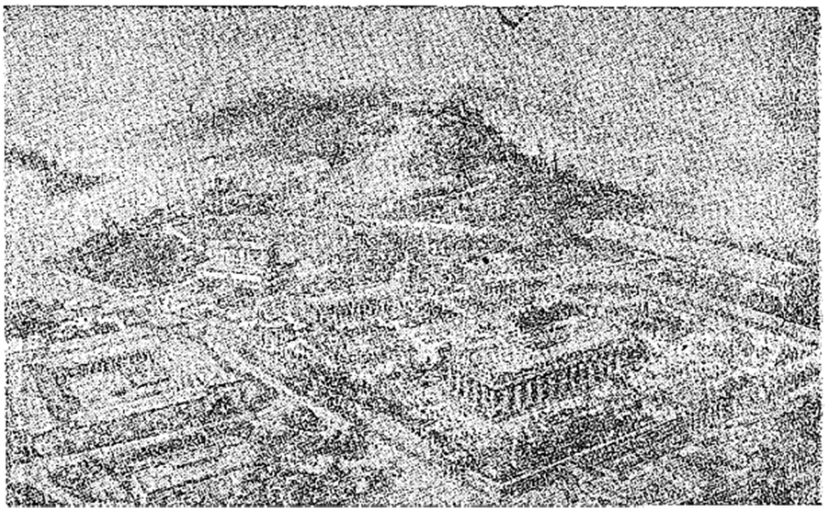
قامت ببلاد الإفريقي حضارة عظيمة، تعد منبع الحضارة الأوربية، وقد ازدهرت، نضارة الإغريق في القرن الخامس والرابع قبل الميلاد. ومن مظاهرها:

الـدين:

اعتقد الإغريق في أول أمرهم، كغيرهم من سكان العالم القديم، أن أرواحاً غريبة خبيثة، تحل فيما يحيط بهم من أشجار وينابيع وتلال وأحجار، وطيور ووحوش، وأن في باطن الأرض روحاً، هي التي تدفع الشجر والثمر فيحيا ويزدهر، وأن في المساء أرواحاً كذلك، تبعث المطر وتمنحه، وتكشف عن الشمس وتحجبها. وكان النسر في رأيهم روحاً من أرواح السماء.

وقد عمل الإغريق الأقدمون على إرضاء تلك الأرواح، بتقديم الطعام لها، وعبادتها في الخلاء. ولما أرتقى الإغريق، اعتقدوا أن هنالك آلهة، من ذكر وأنثى، تمثل مظاهر الطبيعة المختلفة، وتسكن في مقر خفي، في أعلى جبل "أوليمبوس"؛ من أشهرها زوس كبير الآلهة، وإله السماء، وبيده الرعد، "وأيولو" ابن زوس وإله الحرب وإله الشمس، الذي يبعث الحياة في الحيوان والنبات، بأشعته الذهبية. ومن آلهتهم المحبوبة "أثينا" التي كانت تسيطر في نظرهم على الجو، وتمنع العواصف، وتحمي بلادهم ومدنهم من الأعداء.

ولقد ظهر كهنة، ادعوا معرفة رغبات الآلهة، فأقبل عليهم الناس يستشيرونهم، ويتلقون النصح منهم، فيما يتقدمون به للآلهة من عبادة وقرابين.



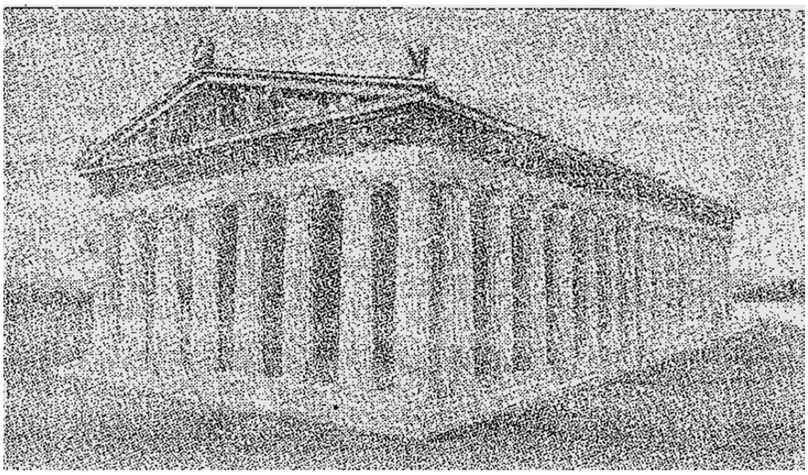
منظر عام لأولمبيا في بلاد الإغريق

الصناعة:

لم يكن الإغريق نصيب من مدنية أو حضارة، يوم نزلوا شبه الجزيرة، وكانت المباني التي خلفها السكان الأصليون، تثير في نفوسهم الدهشة، لأنهم لم يشاهدوا مثلها، ولم تكن لديهم فكرة عن بنائها. ولكنهم بعد مقامهم في بلادهم الجديدة، ألفوا رؤية سفن الفينيقيين، تلقي مراسيها على سواحلهم، حاملة صناعات مصر والشرق، من زجاج وفخار ومنسوجات ومعادن براقة، فبهرت هذه أبصارهم، وأقبلوا على شرائها، ودفعوا للحصول عليها أغلى الأثمان. ثم أخذوا يحاكونها، وبذلك بدأت الصناعة عندهم، ويرجع الفضل في ذلك إلى مصر.

الفنون:

ارتقت السيارة عند الإغريق شيئاً فشيئاً، فبعد أن كانوا يقيمون بيوتهم، ومعابدهم من اللبن، أخذوا يقيمونها من الأحجار الجيرية، ويحلونها بالرخام.



معبد البارثينون كما كان

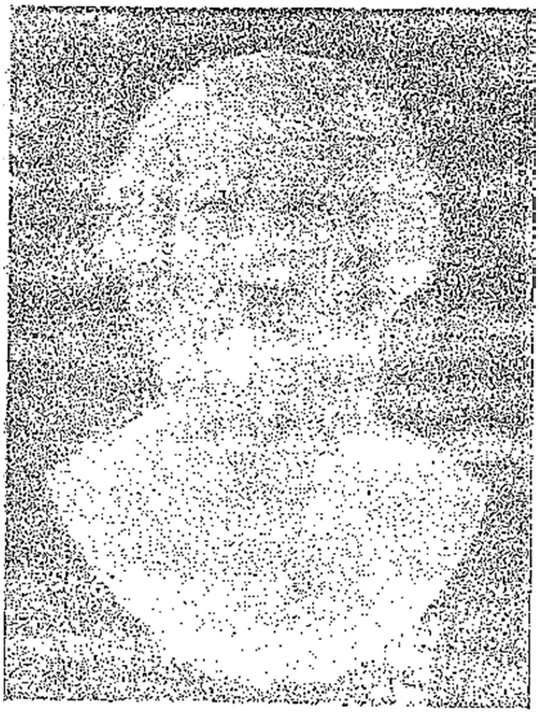
وبرعوا كذلك في إقامة التمثيل، وفي النقش، وكانوا يصورون حياتهم اليومية، وقصص الآلهة، على جدران معابدهم وأبنيتهم. ولايزال السائح في بلاد اليونان يرى من آثار المعابد والمسارح والتماثيل، ما يثير الإعجاب.

الكتابة والأدب:

لم ينقل الفينيقيون إلى الإغريق، بضائع الشرق وصناعاته فقط، بل نقلو إليهم كذلك شيئاً آخر، أهم وأعظم، ذلك هو الحروف الهجائية، التي اشتقها الفينيقيون من الكتابة المصرية، وجردوها من الصور، وجعلوها اثنين وعشرين حرفاً، كلها حروف ساكنة، ثم زاد الإغريق عليها الحروف المتحركة.

وشغف الإغريق بالحرب والمبارزة، وأغرموا بما كان يظهره الأبطال، من الشجاعة والاستبسال في القتال. وكانوا يحبون أن يقضوا أوقات فراغهم في سماع قصص حروبهم القديمة، وقد نشأ من بينهم شعراء، صاغوا قصه الإغريق وتاريخهم وحروبهم، في أشعار خالدة.

ومن أشهر هؤلاء الشعراء "هومر" الذي نظم قصدتين رائعتين، هما. "الإلياذة والأوديسية"، اللتان احتلتا من نفوس الإغريق مكاناً سامياً.



هومر

وأحب الإغريق التمثيل والموسيقى، فأقبلوا عليهما شغف، زائد، وكانوا يقدرون كل ما تجود به قريحة الشعراء، فيغنيه المغنون في الأعياد والحفلات الهامة.

العلوم:

أخد الإغريق عن أمم الشرق الكثير من العلوم، كالرياضيات والفلك، ولكنهم زادوا عليها، وتعمقوا في بحثها، حتى صاروا أساتذة العالم في الكثير منها.

ففي عالم الفلك، مهروا في مراقبة سير الشمس، وغيرها من الأجرام

السماوية واستطاع علماؤهم أن يتنبؤوا بكسوف الشمس وخسوف القمر، واختلاف: مواقعها بالنسبة للأرض. ولقد هدمت نظريتهم هذه الاعتقادات القديمة، التي

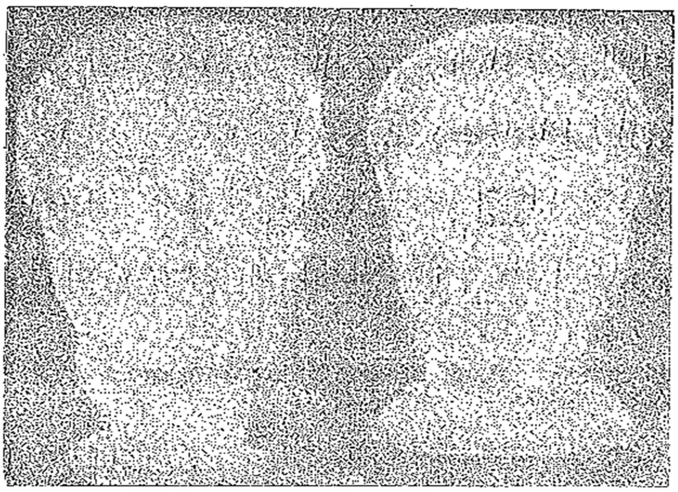
كانت تنسب ما يحدث من كسوف أو خسوف، لغضب الآلهة.

وفي علم الجغرافيا، رسموا أول خريطة العالم المعروف في ذلك الزمان، وكان البحر المتوسط، في رأيهم، يقع وسط الدنيا.

وفي علم الرياضيات، كشف العالم الإغريقي العظيم، "فيثاغورث"، حقائق علمية، هي أساس البحث الرياضي في العصر الحاضر.

وفي التشريع، ضربوا بسهم وافر، وأفادوا العالم بما وضعوه من قوانين وشرائع.

ومن فلاسفتهم، الذين خلد ذكرهم، وذاعت تعاليمهم ومبادئهم، "أفلاطون" و"أرسطو"، الذي يعده العلماء في عصرنا، المعلم الأول.



أفلاطون أرسطو

الكفاح بين الإغريق والفرس

لم يأت القرن الخامس قبل الميلاد، حتى كان صيت الإغريق ونفوذهم قد استقر، فيما يحيط ببلادهم من جزر، وملكوا جزيرة صقلية وجنوبي إيطاليا، فخشى الفرس، الذين كان ملكهم يمتد حتى مصر، منافسة تلك المدن الإغريقية الفتية، وأعد ملوكهم، الحملة بعد الحملة لغزو بلاد الإغريق، والقضاء على مدنهم. ولكن مدينة أثينا، تصدت لهم، وتمكنت بمساعدة "غيرها من المدن، من طرد الغزاة، فحفظت للإغريق كيانهم، وحريتهم واستقلالهم.

التنافس بين أثينا وإسبرطة:

ولما خرجت أثينا من حربها مع الفرس، فائزة مشعرة، تملك أهلها الزهو والفخار، وطمحوا إلى السيطرة على جميع المدن الإغريقية، ولكن أثينا اصطدمت في توسعها، بمدينة إسبرطة، التي كانت تسودها الروح الحربية فوقعت بين المدينتين حروب طويلة، أتت في النهاية إلى ضعفهما، وزوال سلطانهما.

مقدونيا:

وبينما الإغريق على هذه الحال، من التنافس والنزاع، ظهرت في شمال بلادهم دولة قوية، تعرف بمقدونيا، وهي بلاد تغطيها الجبال، ومعظم سكانها رعاة، أكسبتهم طبيعة بلادهم الجبلية، قوة وصلابة، ومع أنهم كانوا يتكلمون الإغريقية، إلا أن الإغريق كانوا يعدونهم غرباء عنهم .

فيليب المقدوني:

ظلت مقدونيا أمة متأخرة، لا يعرف العالم عنها شيئاً، حتى تربع على عرشها ملك قوي، يدعى "فيليب المقدوني"، تلقى علومه في صغره، في مدينة طيبة، إحدى المدن الإغريقية الزاهرة، فتعلم فنون الحرب، ونظام تعبئة الجيوش وعرف

الكثير من مظاهر حضارة الإغريق، وتعلم الحكم في بلادهم.

سياسته:

فلما تولى العرش، عنهم على تحقيق أغراض ثلاثة: نشر المدنية في بلاده وإخضاع الإغريق السلطانة، ثم غزو فارس والاستيلاء عليها.

ولإدراك هذه الغاية، كون جيشاً، أحسن تدريبه، وزوده بالرماح طويلة، وآلات الحصار. وبعد ذلك أخذ يستولي على المدن الإغريقية، شمالي بحر الأرخبيل، ثم اتحدت عليه "أثينا وطيبة"، ولكنه هزمهما سنة **٣٣٨** ق. م، فصارتا جزءاً من ملكه، واندمج تاريخ الإغريق، منذ ذلك الوقت، في تاريخ مقدونيا.

وأخذ فيليب يعد العدة، للإغارة على فارس، ولكنه قتل سنة **٣٣٦** ق.م، منها إنفاذ مشروعه، فتركه لابنه الإسكندر.

الإسكندر الأكبر

تولى الإسكندر عرش مقدونيا، وعمره عشرون سنة، وكان تلميذاً للعالم الإغريقي الشهير، أرسطو، منذ الثالثة عشرة من عمره، فثقفه، وعلمه كيف يسوس الأمم ويحكم الشعوب. وكذلك لقنه آداب الإغريق وأشعارهم، فشب الإسكندر متشبعاً بحضارة الإغريق، شديد التحمس لنشرها في العالم.



الإسكندر الأكبر

توطيد مركزه:

استخف الإغريق بالإسكندر لصغر سنه، واعتقدوا أن الفرصة قد سنحت، للتخلص من سيطرة مقدونيا عليهم، فشقوا عصا الطاعة عليه، وكانت طيبة زعيمة تلك الثورة، فقمع الإسكندر ثورة الإغريق بشدة وبأس، وانتقم من طيبة انتقاماً مريعاً.

ومنذ ذلك الوقت، خضعت له سائر المدن الإغريقية وتدافع الكثير من شبابها للانخراط في جيشه.

فتح آسيا الصغرى:

ولما فرغ الإسكندر من توحيد الإغريق، وجمع كلمتهم، رأى أن يوجههم نحو الفرس، ليقضي على إمبراطوريتهم، ويرث ملكهم. ولم ينتظر الإسكندر. طويلاً، ففي الثانية والعشرين من عمره، عبر البحر ونزل في آسيا الصغرى، قرب مدينة تروادة، ثم تقدم لملاقاة الفرس، واشتبك معهم في معركة عنيفة عند نهر "غرانيق"، سنة ٣٣٤ ق.م وأسفرت عن نصر مبين للإسكندر وجيشه، واستولى على المدن الساحلية في أسيا الصغرى.

ثم أخذ الإسكندر يتقدم نحو الشرق، بجسارة فائقة، حتى وصل إلى خليج "اسس"، في الطرف الشمالي الشرقي للبحر المتوسط، وهناك، كان في انتظاره جيش فارسي عظيم، يقوده ملك الفرس، دار الثالث، فوقعت بين الجيشين معركة عنيفة، هزم فيها الفرس، وفر دارا إلى نهر الفرات، ثم أرسل إلى الإسكندر يعرض عليه الصلح، على أن يتنازل له عن جميع البلاد الأسيوية، التي تقع غربي نهر الفرات. ولكن الإسكندر رفض ما عرضه ملك فارس، لأنه كان يحلم بإنشاء إمبراطورية عظيمة، على أنقاض دولة الفرس. فدخلت جيوشه بسوريا، وأخضع المدن الفينيقية، ولم يصادف مقاومة تذكر، إلا في مدينة "صور"، ولكنه فتحها بعد جهد، وهدمها وقتل الكثير من أهلها، وتم له في النهاية الاستيلاء على سوريا بأكملها.

فتح مصر (٣٣٢ ق.م):

سار الإسكندر بعد ذلك نحو مصر، وكان الفرس قد استدعوا حاميتهم منها، في حروبهم معه، فلما بلغ بلوز "الفرما"، رحب به المصريون، بسبب

استيائهم من الفرس، ففتحت له البلاد أبوابها. وأراد الإسكندر أن يستميل إليه المصريين، بإرضاء الكهنة، لما لهم من النفوذ في البلاد، فدخل "منف"، وقدم القرابين إلى المعبودين "أبيس" و"بتاح"، ثم اتجه إلى واحة سيوة، حيث زار معبد آمون، وأظهر الاحترام لذلك الإله، الذي كان يعبده المصريون، فأحبه الكهنة وسموه "ابن آمون".

تأسيس الإسكندرية:

وبينما كان الإسكندر في طريقه إلى سيوة، شهد أرضاً تقع بين البحر المتوسط وبحيرة مريوط، فأوحي إليه تفكيره السليم، أن ينشئ في ذلك المكان.



مدينة تحمل اسمه، وتكون ميناءً لمصر، فأسس مدينة الإسكندرية، أن وصل بين جزيرة صغيرة قريبة من الشاطئ، هي جزيرة "فاروس"، وقرية مصرية قديمة على الساحل، أسمها "راكودة "، وأمر بردم الماء بينهما، فتكون بذلك ميناءان جميلان،

هما الميناء الشرقي، والميناء الغربي.

ولقد أخذت الإسكندرية تنمو وتتسع، بمرور الزمن، حتى استحقت أن تسمى عروس البحر الأبيض المتوسط. وموقعها عظيم الأهمية، لأنها كانت على اتصال سهل بلاد الإغريق، بطريق البحر المتوسط، وبداخل البلاد المصرية، عن طريق بحيرة مريوط ونهر النيل.

طريقة حكم مصر:

وقبل أن نادر الإسكندر مصر، أخذ يفكر في خير طريقة لحكمها. وكانت عادته حتى ذلك الوقت، أن يعهد بحكم البلاد المفتوحة، إلى أتباعه المقدونيين ولكنه رأى أنه لا يستطيع أن يستغني عن كارفواده، الحاجة إليهم في فتوحه، كما رأى أن مصر يؤلمها أن يحكمها حاكم مقدوني، ولذلك ترك إدارة البلاد في يد المصريين أنفسهم، وقسم القطر ثلاثة أقسام: الوجه القبلي، والوجه البحري، والصحراء.

. وكل الدفاع عن البلاد إلى اثنين من قواده، وترك حامية في الفرما، وفي منف والإسكندرية، ثم أسند جباية الضرائب، إلى رجل إفريقي، من سكان نقراطيس

الزحف إلى فارس:

وبعد أن استتبه له الأمر في مصر، استأنف الإسكندر زحفه شرقاً، يبغي القضاء الأخير على دولة الفرس نفسها، بعد أن سلبها أملاكها بلداً بلداً.

فاخترق فلسطين وسوريا، وعبر نهر دجلة، قريباً من أطلال نينوى، ثم التحم مع جيش الفرس، يقوده دارا الثالث بنفسه، عند "أربلا" سنة **٣٣١** ق. م.

ورغم ضخامة الجيش الفارسي وكثرته، فقد ذابت صفوفه أمام فن الإسكندر

وعبقريته الحربية، وهزم الفرس هزيمة كبيرة، تمزقت بعدها دولتهم، وقتل ملكهم دارا.

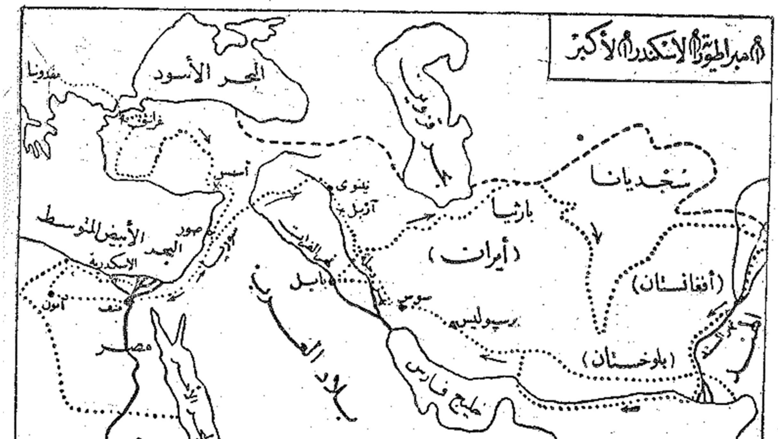
ثم توغل الإسكندر في بلاد "فارس" واستولى على عاصمتها "سوس" وغيرها من المدن، وأخذ ما بخزائنها من نفائس، وأشعل النار في أحد قصور ملوك فارس، انتقاماً لأثينا، يوم خربها الفرس، في هجومهم عليها.

السير إلى الهند.

ولم تقف مطامع الإسكندر عند فتح فارس، بل شرع أيضاً في الاستيلاء على الهند، فأخضع أفغانستان، وما جاورها، واجتاز جبال الهملايا، ونزل بجيوشه على نهر السند.

عودته إلى بابل:

وكان الإسكندر يود مواصلة السير في بلاد الهند، ولكن جنوده رفضو تحقيق رغبته، لشدة ما أصابهم من تعب، فاضطر أن يسير جنوباً متتبعاً نهر السند، حتى بلغ شاطئ المحيط الهندي، ومن هنالك بدأ يتجه غرباً، عائداً إلى بابل، وأتخذها عاصمة له، وشرع بنظم ملكه الواسع.



سياسة الإسكندر:

وكان الإسكندر يرمي في فتوحه، إلى توحيد الشرق والغرب، وجعلهما مملكة واحدة، مصطبغة بالصبغة الإغريقية، فملأ البلاد الشرقية التي فتحها بالتجار الإغريق، وحاول مزج العنصرين الإغريقي والفارسي، بطريق المصاهرة، فتزوج الكثير من قواده من بنات فارس، والتحق كثير من الفرس بجيشه، واقتبس الإسكندر الكثير من عادات الفرس وأنظمتهم الحكومية.

وكان مهتم بإصلاح الأمور التجارية والعلمية، فأرسل إلى معلمه " أرسطو" مجموعات نباتية وحيوانية وغيرها، من البلاد التي فتحها، للفحص عنها فحصا علمياً.

وكان من نتائج هذه السياسة، أن اصطبغ الشرق بالحضارة الإغريقية، وصار لها فيه مراكز عدة، أهمها: الإسكندرية، وجزيرة رودس، ومدن كثيرة، نشأت في سوريا، وآسيا الصغرى، وأراضي الفرات ودجلة، وفارس، حتى حدود الهند. وظلت الصبغة الإغريقية ظاهرة في تلك البلاد، حتى تغلب عليها الإسلام، فطبعها بطابعه.

وفاة الإسكندر:

لم يقنع الإسكندر بفتوحه الواسعة في آسيا، فأخذ يتطلع إلى البلاد الواقعة غربي البحر المتوسط، يبغي فتحها، وضمها لإمبراطوريته، ولكن أجله. لم يطل، فقد مات إثر حمى أصابته سنة **٣٢٣** ق. م، وعمره ثلاث وثلاثون.

الباب السادس

مصر في عهد البطالمة

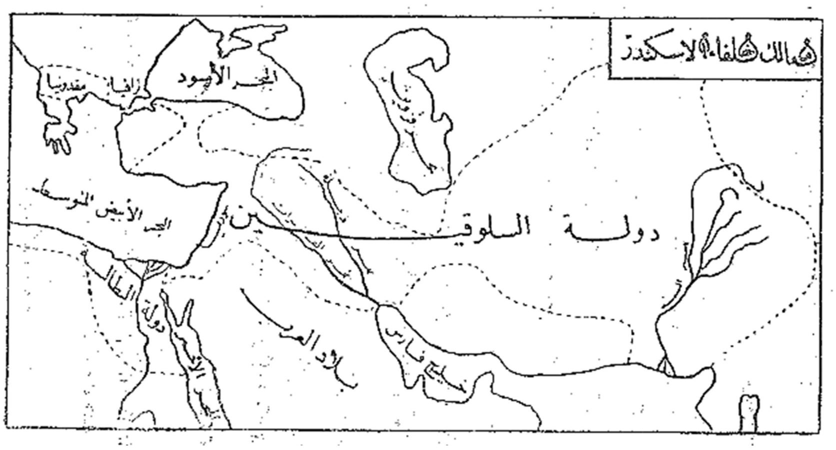
(٣٢٣ - ٣٠ ق. م)

الإمبراطورية بعد الإسكندر:

كان موت الإسكندر كارثة نزلت بإمبراطوريته الواسعة، لأنه كان عسيراً أن تظل متحدة متماسكة، بعد موته.

ولم يكن للإسكندر خلفاء أقوياء من بين أسرته، فطمع قواده في الإمبراطورية، وثارت بينهم الحروب الطاحنة، كل بغي أن ينفرد بالحكم فيها، وبسط سلطانه عليها. وانتهى الأمر، بتقسيم الإمبراطورية ثلاثة أقسام: قسم يشمل مقدونيا وبلاد الإغريق في أوربا، والجزء الغربي من آسيا الصغرى؛ وآخر يشمل الفتوح الأسيوية؛ والثالث ممتلكات الإسكندر في مصر وشمال إفريقية. وكان هذا القسم الأخير من نصيب "بطليموس"، أحد قواد الإسكندر، ومن أتباعه المقربين.

تولي بطليموس حكم مصر، فبدأ عهداً جديداً، نعمت فيه مصر بالخير في داخل أرضها، وعاد إليها الكثير من هيبتها الخارجية، التي كانت لها، يوم كان الفراعنة يتربعون على عرشها، فلقد كانت بطليموس وبعض خلفائه، رجال إصلاح وفتح، واستمرت أسرته تحكم مصر من سنة **٣٢٣** إلى سنة **٣٠** ق. م، ويعرف عهدها "بعصر البطالسة".



بطليموس الأول

نشأ بطليموس في قصر فيليب المقدوني، وتربي مع ولده العظيم، الإسكندر، وكان أحد القواد، الذين أخلصوا الود له، واشتركوا معه في فتوحه وغزواته.

حـروبـه:

حرص بطليموس على تكوين جيش قوي، يدفع به أذى منافسيه من القواد، الذين استقلوا بقية أجزاء إمبراطورية الإسكندر، فأستخدم عدداً كبيراً من الجنود المرتزقة في الجيش، وأجزل لهم العطاء، فأحبوه وأخلصوا في خدمته.

وبهذا الجيش استولى على قبرين (برقة) بشمال إفريقية، غربي مصر، ثم فلسطين وفينيقيا وبعض جهات سوريا، كما استولى على جزيرة قبرص في البحر الأبيض المتوسط.

ثم حدث نزاع بينه وبين أحد القواد، بسبب جثة الإسكندر، فقد أراد وبطليموس نقلها من بابل إلى مشعر، وأراد الآخر نقلها إلى مقدونيا، ولكن بطليموس فاز على خصمه، ونقل جثة الإسكندر، في موكب حافل، إلى مدينة منف، ثم نقلت ثانية في عهد خلفه، إلى الإسكندرية.

إصلاحاته:

وبعد أن فرغ بطليموس من حروبه، رغبة في التفرغ لإصلاح أحوال مصر الداخلية، فاهتم بالصناعة، وعمل على ترويج التجارة. ولما سمع اليهود بحزمه، وبما نشره في البلاد من أمن ونظام، نزحوا إليها جماعات من فلسطين، وأخذوا يستغلون أموالهم ومواهبهم في مصر. ولقد اجتمع في الإسكندرية وحدها نحو مائة ألف منهم.

ووجه بطليموس عنايته نحو الإسكندرية، فأنشأ بها دار الفنون، ومكتبة عظيمة، كانت بمثابة جامعة، يقصد إليها الطلاب لدراسة الطب والفلك والرياضة، وغير ذلك من العلوم. وكان بطليموس يجزل العطاء للعلماء وطلابهم، تشجيعاً لهم، واعترافاً بجهودهم.

وفاته:

حكم بطليموس الأولى مصر من سنة **٣٢٣** إلى سنة **٢٨٥** ق. م، ثم أشرك معه ابنه بطليموس الثاني في الحكم، لأن صحته كانت قد ساءت، لكبر سنه. ومات بعد ذلك بعامين، وعمره ٨٤ سنة.

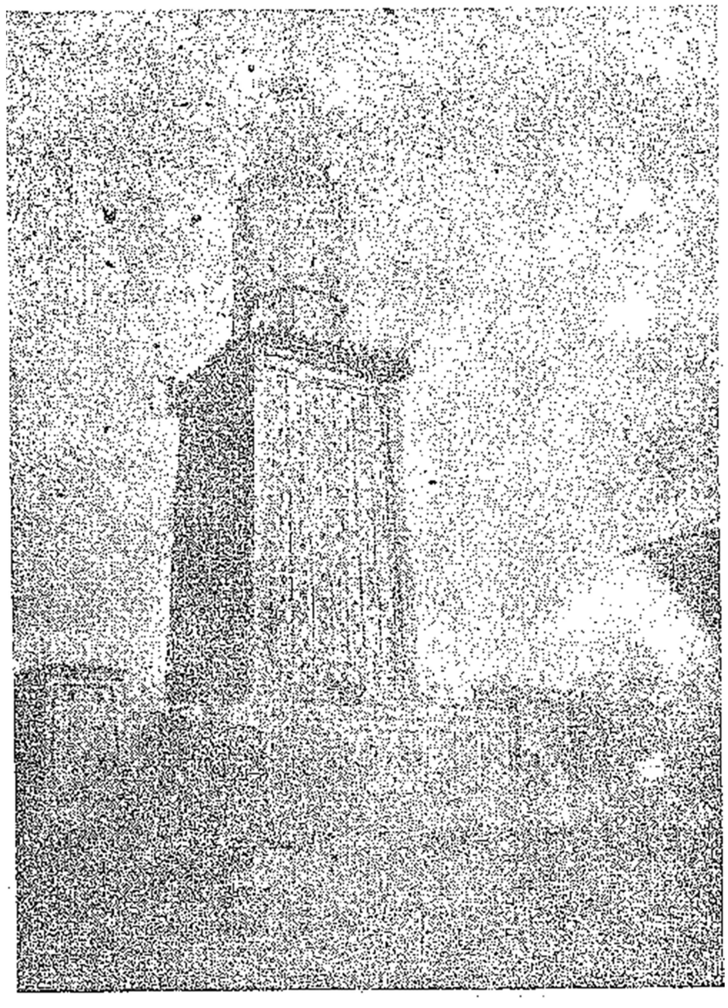
بطليموس الثاني

ورث هذا الملك عن أبيه ملكاً منظماً، وفير الخيرات، ولم يلجأ كأبيه إلى الحرب، ليوطد أملاكه، وإنما لجأ في ذلك إلى السياسة والمصاهرة.

أعماله وإصلاحاته:

عني بطليموس الثاني بترقية الزراعة، وتنشيط التجارة ونشر العلوم، ومن أهم ما يؤثر عنه أنه جدد حفر الخليج القديم، بين النيل والبحر الأحمر، وأصلح طريق القوافل، الذي يخترق وادي الحمامات، وأنشأ الحصون والمخافر، لتأمين المسافرين

في ذلك الطريق وفي عام ٢٧٩ ق. م، أقام بطليموس الثاني منارة الإسكندرية بالطرف الشرقي من جزيرة فاروس، وهي الأولى من نوعها. ويقال إنها شيدت بارتفاع مائة متر، وطبقاتها من متجر أبيض يشبه الرخام، وتوقد في أعلاها النيران، ويرى نورها ليلاً، على بعد ثلاثة وثلاثين ميلاً. ولم تبق منارة الإسكندرية هذه إلى يومنا، لأن زلزالاً حدث بمصر سنة ١٣٠٧ م فدمرها تدميراً.



منارة الإسكندرية

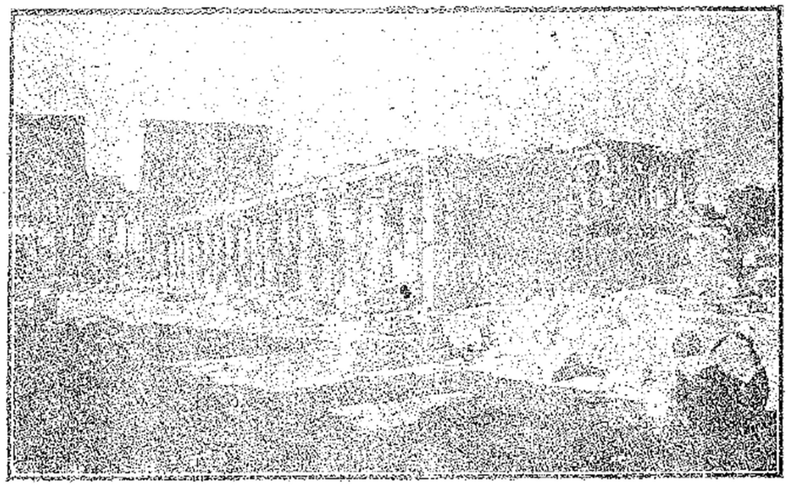
وكان من أثر إصلاحاته التجارية، أن نشطت تجارة مصر في البحر الأحمر والمحيط الهادي، وكذلك في البحر المتوسط، فقد تبادلت مصر التجارة مع بلاد الحبشة والهند والإغريق.

أما من حيث الزراعة، فقد أكثر من غرس أشجار الفاكهة والكروم، واهتم بالري والصرف، عنى بتربية الطيور والحيوان، وأنشأ لها حدائق خاصة.

وفي عهد هذا الملك، انتشرت العلوم والآداب، إذ عنى بتنظيم داري الفنون والكتب وتوسعهما. ومن أهم مآثره أنه أمر بترجمة التوراة من العبرية إلى الإغريقية، وحمل الكاهن المصري "ما نيتون" على تأليف كتابه الشهير، في تاريخ مصر القديم.

ولم يصرفه إنجاز هذه المشروعات التجارية والزراعية ، عن إقامة المباني وتشييد المعابد، فبني جزءاً كبيراً من معبد بجزيرة فيلة، بالقرب من خزان أسوان، وهو المعروف بقصر "أنس الوجود".

ويؤثر عنه ترحيبه بالإغريق كما فعل بسماتيك الأولى، وتشجيعهم على استيطان منبر، فمنهم أراضي كثيرة، ولا سيما في الفيوم.



معبد فيلة قبل الخزان

وفاته:

مات بطليموس الثاني سنة ٢٤٦ ق. م، بعد أن حكم مصر ثمانية وثلاثين عاماً، مليئة كلها بجلائل الأعمال.

بطليموس الثالث

اعتلى هذا الملك عرش مصر، بعد وفاة أبيه، بطليموس الثاني. وكانت فاتحة أعماله، حرباً شنها على سوريا، لأن أخته التي كانت متزوجة من ملك تلك البلاد، قتلت هي وابنها، بتدبير زوجة الملك الثانية.

فعزم بطليموس الثالث على الانتقام لمقتل أخته، وجهز لهذا الغرض جيشاً وأسطولاً، وتقدم بهما براً وبحراً، كما فعل تحتمس الثالث من قبل، واستولى على سوريا كلها، وتابع زحفه فاستولى على ما بين نهري دجلة والفرات، وغزا فارس أيضاً.

وكان بطليموس يود أن يمضي في الفتح والغزو، لولا أن قطاً نزل بمصر، من

أثر انخفاض النيل، فانتشرت بمصر المجاعة، وعمها الاضطراب: ولما سمع بطليموس بما حل بالبلاد في غيبته، أسرع عائداً إليها، حاملاً معه ما كان الفرس قد استولوا عليه من قبل، من التماثيل والآثار المصرية.

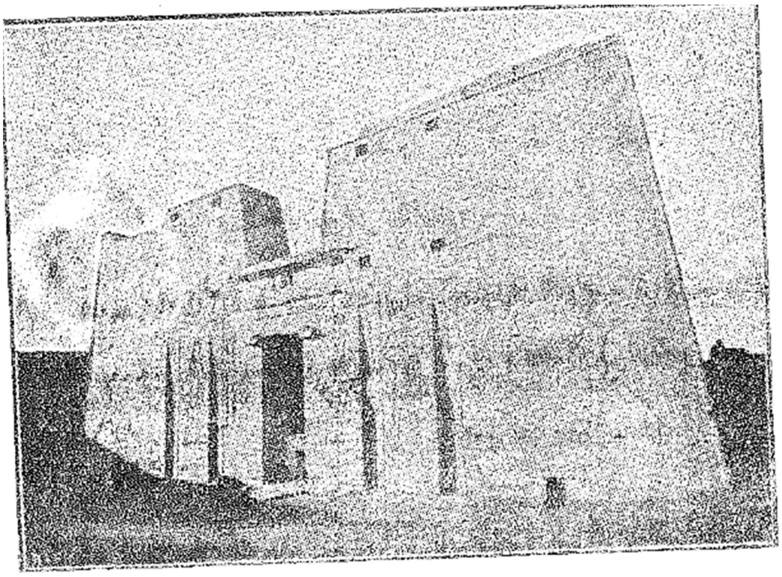
إصلاحاته:

وكان أول ما عنى به بعد عودته، تخفيف أثر المجاعة، التي انتشرت في مصر، بقلب الغلال من سوريا وفينيقيا وقبرص، وخفف الضرائب عن السكان. وكان لجهوده هذه أثر كبير في نفوس المصريين، فأحبوه واحترموه، وكذلك أحبه الكهنة، لأنه أعاد لمصر التماثيل من بلاد الفرس.

واهتم بطليموس الثالث بالمعابد والمباني، فأكثر من بنائها، وأهم معابده، ذلك الذي بناه في إدفو، وهو ما يزال إلى اليوم، حافظاً لرونقه، وجمال منظره.

ولقى العلم الكثير من عناية الملك وتشجيعه، ففي عهده أصلح التقويم المصري القديم، وزيد عليه يوم، في كل أربع سنوات، كما هو حادث اليوم في السنة الميلادية. وعني بدار الكتب، فعين لها أمينًا يرعى شئونها، ويعمل على استكمال ما ينقصها من مؤلفات العلماء.

وبعد أن حكم مصر خمساً وعشرين سنة، أدركه الموت عام ٢٢١ ق.م، وعمره ثلاث وستون سنة.



معبد إدفو

خلفاء بطليموس الثالث:

وبعد بطليموس الثالث، أخذت مصر في الضعف، ولكن بالرغم من ذلك، انتصرت الجنود المصرية على الجنود الأسيوية في سوريا، في موقعة "رفح" (رافيا)، عام ٢١٧ ق. م، في عهد بطليموس الرابع. وكان لهذا النصر أهمية عظيمة، من الناحية القومية، لأن المصريين شعروا بما لهم من قوة وعزة، عندما أحرزوا هذا الانتصار، ودبت فيهم روح القومية، فثاروا ضد البطالة أنفسهم، وتطلعوا إلى أحمس جديد يطردهم، واستمرت هذه الثورات، إلى آخر عهد البطالسة، وكانت من أهم الأسباب في ضعفهم، وسقوطهم في النهاية، في عهد الملكة كليو بطرة الشهيرة.

حضارة مصر في عصر البطالسة

مصر المستقلة:

كانت مصر مستقلة في عصر البطالسة، على الرغم من أن الأسرة الحاكمة فيها كانت إغريقية ولأن البطالسة انفصلوا بمصر عن مقدونيا وغيرها، وأقاموا فيها دولة مستقلة تمام الاستقلال عن الإغريق.

ويعد عصر البطالسة في مصر، من أهم عصورها التاريخية، لأنهم رسموا لحكمها سياسة، ظلت مستمرة مئات من السنين، بعد زوال دولتهم.

الجيش: لم يقنع البطالسة بملك مصر وحدها، بل تطلعوا إلى البلاد التي تجاورها، ورغبوا في فتحها والسيطرة عليها، كما فعل الفراعنة من قبل. ولتحقيق أملهم هذا، أهتموا بالجيش، فأحسنوا تدريبه وأكملوا تسليحه، وكان قوامه، جنوداً من الإغريق والمقدونيين وبعض الأسيويين. أما المصريون، فلم يساهموا فيه إلا بقدر ضئيل، لأنهم كانوا قد فقدوا روح الهندية وحب القتال، منذ أن زالت إمبراطوريتهم القديمة.

وعنى البطالة بالأسطول، كي يحمي سواحل مصر، ويحفر تجارتها في البحرين الأخر والأبيض المتوسط. ولما تم لهم إعداد الجيش والأسطول، أحبوا بجد مصر، ورفعوا منزلته في أعين الدول المعاصرة لهم.

الحالة العامة.

لما ورث البطالسة حكم مصر بعد موت الإسكندر الأكبر، وجدوا فيها عدداً كبيرا من الأجانب، غالبيتهم من الإغريق واليهود، الذين استقروا في نقراطيس ومنف، وغيرهما من مدن مصر، منذ عهد ملوك صا الحجر، ثم تضاعف عدد الأجانب، في عصر البطالسة، وأصبحوا يكونون طبقة كبيرة، منفصلة عن

الشعب المصرى.

ولقد اختص البطالسة أولئك الأجانب بالوظائف الرئيسية في الحكومة، ومنحوهم رواتب عالية، ولم يتركوا للمصريين سوى الوظائف القليلة الأهمية، ولم يكونوا يمنحونهم نظير عملهم سوى مكافآت بسيطة.

ولم يحرم المصريون المناصب العالية فقط، وإنما حرموا أيضاً أرض بلادهم، وما تخرجه من ثمر، فلقد كانت الأراضي ملكاً للبطالسة، يوزعونها كما يشاءون على كبار الأجانب والموظفين، ولم يكن المصريون سوي آلات مسخرة، تزرع الأرض حساب أولئك الملاك.

وكما احتكر البطالسة الأرض، احتكروا كذلك التجارة، فكانوا يشترون كل ما ينتجه الفلاحون من محاصيل، بأثمان زهيدة، ويخزنونها في مخازن، ثم: يبيعونها ثانية للشعب وللبلاد الأجنبية، بأثمان مرتفعة.

وكان من أثر نظام الاحتكار، أن نعم البطالسة ومن إليهم من الإغريق والمقدونيين، بخير مصر وثروتها. أما المصريون فلم ينالوا من جهودهم وعنائهم إلا القليل.

على أن تجارة مصر الخارجية في ذلك العصر، كانت رائجة منتشرة، إذ كثر الاتصال ببلاد بنت وغيرها من بلدان البحر الأحمر، وتدفقت على مصر حاصلات بلاد النوبة والسودان، ووصلت سفن المصريين إلى بلاد الهند،

وتوثقت العلاقات التجارية مع بلاد الإغريق وجزر البحر المتوسط. وكانت الأرباح الوفيرة التي تصيبها مصر من تلك التجارة، تتدفق في جيوب البطالسة والأجانب.



الجزء العلوي لتمثال من البازلت من عهد البطالسة

وكان رصيد مصر من الصناعة كبيراً، ومن أشهر ما كان يصنع في ذلك المعسر، الورق والزجاج والأواني المعدنية ومواد الكتابة. ولقد نال المصريون وقتئذ، بفضل صناعتهم هذه، شهرة كبيرة في مختلف البلاد الأجنبية.



رأس تمثال من عهد البطالسة

الدين:

ومن فضائل البطالسة، أنهم احرموا عقائد المهربين، ولم يتعرضوا لها تغيير أو تبديل، وتركوا الكهنة يقومون بطة وسهم الدينية، على النحو الذي الفوه. ولكنهم حرموا عليهم التدخل في المسائل السياسية وغيرها، مما لا يتصل بالدين.

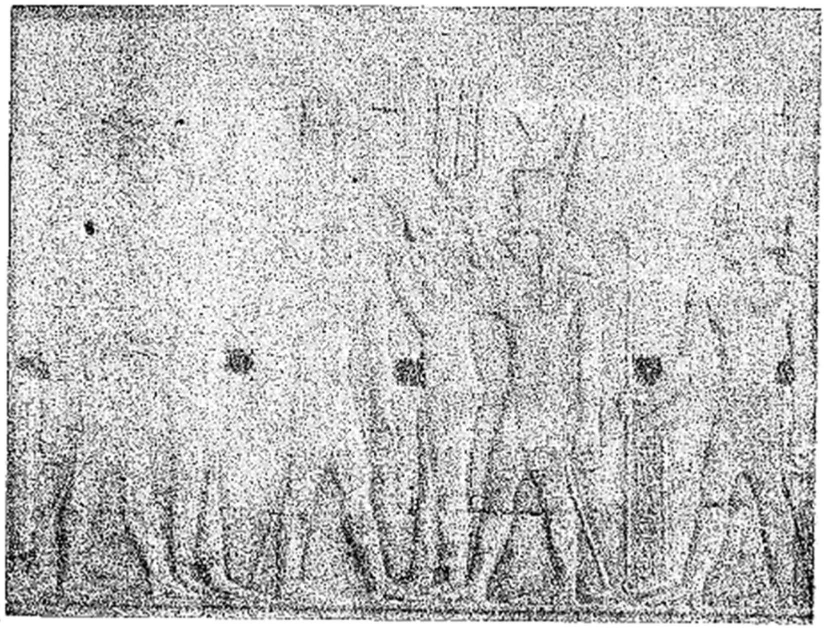
واهتم البطالسة بتشييد المعابد الفخمة، ومن أشهرها معبد نصر أن الوجود في جزيرة فيلة ومعبدا إدفو ودندرة.

العلوم والآداب:

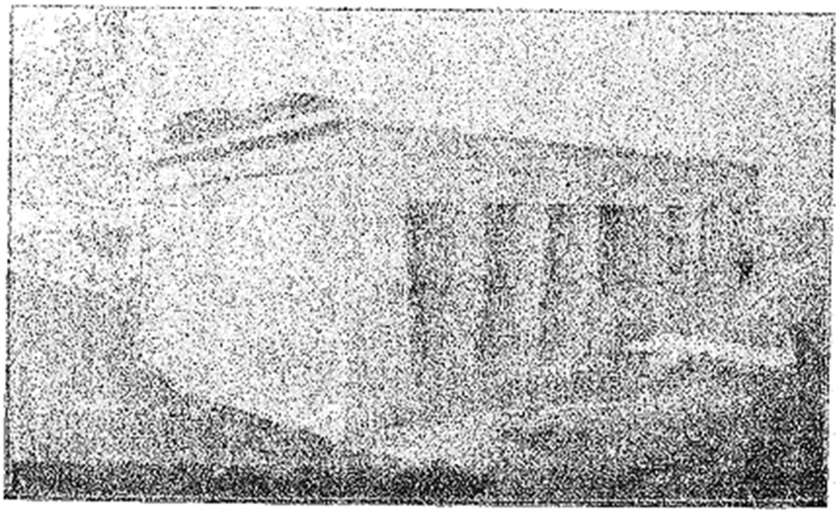
وأشتهر البطالسة بوجه عام، بميلهم إلى العالم وتشجيع رجاله، فأنشأوا بالإسكندرية دار الفنون، التي كانت شبيهة بجامعة، تدرس فيها العلوم والآداب المختلفة، على نحو ما كان يجري بأثينا في عصرها الذهن، وأسسوا كذلك دار الكتب وزودوها بالمؤلفات الأغريقية النفسية.

ولقد ذاعت شهرة الإسكندرية وقتئذ، بسبب جامعتها ومكتبتها، فهرع إليها العلماء والفلاسفة من أنحاء العالم المتعهدين، وانتفعت البلاد بعلمهم الغزيرة وانتفعوا هم أيضاً بما كانوا يسألونه من تقدير الملوك وحسن تشجيعهم.

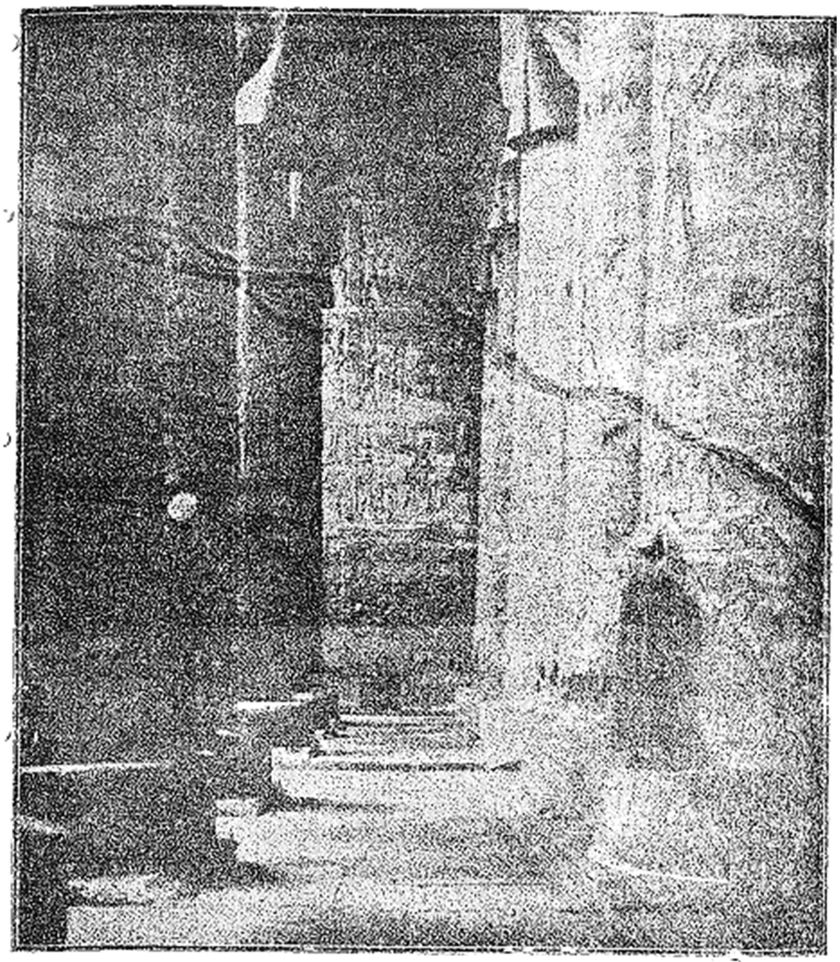
على أن حضارة مصر وعلومها في ذلك العصر، كانت ذات صبغة إغريقية، لأن ملوك البطالمة كانوا يشجعون كل ما هو إغريق، فاللغة الرسمية لي كانت تسود البلاد، وتستعمل في دواوين الحكومة، هي الإغريقية. وكان على المصريين المثقفين أنه يتعلموها، وبذلك أخذت تحل تدريجيا محل اللغة المصرية القديمة.



بطليموس بين بعض الآلهة المصريين



معبد دندرة



داخل معبد دندره



فلكي إسكندري يرصد الأفلاك

الباب السابع

مصر في العصر الروماني

الرومان

تسرب المدنية نحو الغرب:

تعترض البحر الأبيض المتوسط في وسطه، شبه جزيرة عظيمة تعرف بإيطاليا، وإلى الجنوب منها جزيرة صقلية، وتقسمه قسمين: أحدهما شرقي، والآخر غربي.

ولقد شهد القسم الشرقي مدنيات عظيمة، قامت على سواحله، في مصر وفينيقيا وبلاد الإغريق، تلك المدنيات، التي كانت أقدم وأعظم ما شهده. العالم في تاريخه القديم.

ولم تظل المدنية وقفاً على الشرق، فقد أخذت تتسرب تدريجياً إلى إيطاليا، عن طريق الفينيقيين والإغريق، وحملت المدينة العظيمة "رومة" لواءها، مئات السنين، ثم تسربت منها نحو غرب أوربا.

أصل الرومان:

تعرضت إيطاليا من الشمال الغزوات من قبائل، تعرف بالقبائل الإيطالية نزلت أولاً في حوض نهر يو، ثم تقدمت واستقرت في وسط شبه الجزيرة وجنوبها، ومن تلك القبائل أخذت تلك البلاد اسم إيطاليا.

وتعرضت شبه الجزيرة بعد ذلك لإغارات كثيرة، فإلى غربها وفدت قبائل من

غرب أوربا، وفي جزيرة صقلية نزل الفينيقيون، الذين كانوا قد أسسوا تجاهها مدينتهم العظيمة "قرطاجة"، على الساحل الإفريقي الشمالى.

وبينما كان الفينيقيون يحاولون السيطرة على باقي شبه الجزيرة، إذ بالإغريق ينزلون على الساحل الجنوبي لإيطاليا، وفي جزيرة صقلية، ويشتبكون في حروب مستمرة مع الفينيقيين، ويتم لهم الانتصار، وينشرون حضارتهم، وينعمون بالنفوذ والسلطان، فيما خضع لهم من أقسام إيطاليا، ولكن سطوتهم لم تستمر طويلاً، إذ قضى عليهم دوام انقسامهم وتفرق كلمتهم.

ظهور رومة:

يجرى في الجزء الأوسط من غرب إيطاليا، نهر التيبر، الذي يصب في البحر المتوسط، وكانت تسكن حول الجزء الجنوبي من هذا النهر، قبائل لامينية، تشتغل بالزراعة والرعي، وهم قسم من القبائل الإيطالية السالفة الذكر.

وكان فريق من هؤلاء اللاتينيين يسكنون قرى، مقامة على سبع تلال مطلة على النهر، لأن السهول المحيطة به، كانت غير صالحة للسكني، لكثرة ما كان بها من مستنقعات. ومن هذه القرى مجتمعة، تكونت مدينة رومة القديمة.

وكان لموقع رومة وأهمية كبيرة في تاريخها: فهي حصينة، تبعد عن البحر بضعة أميال، مما جعلها في مأمن من القرصان، وموقعها على نهر نهر التيبر ، الصالح اللاحمة، ساعدها على أن تكون مركزاً تجارياً، لا يستهان به. كما أن موقعها في وسط إيطاليا، أعطاها ميزة حربية وسياسية عظيمة، مكنها من أن تحكم في شعوب شبه الجزيرة، وتفرض سلطانها عليها باسرها.



اتساع منك رومة

رومة سيدة إيطاليا:

لما استتبت الحالة الداخلية برومة، أخذت تعمل على توسيع ملكها، فبدأت تمد سلطانها، في شبه الجزيرة الإيطالية، ودخلت في حروب عدة، مع جيرانها من الشعوب، حتى تم لها ما أرادت، وأصبحت سيدة إيطاليا كلها.

النزاع بين رومة وقرطاجة:

وأرادت رومة بعد ذلك أن توسع ملكها خارج إيطاليا، فوجدت قرطاجة عقبة في سبيلها، بثروتها العظيمة، وأسطولها الضخم، ومستعمراتها الكثيرة:

في إفريقية، وصقلية، وسردينيا، وجزر البليار، وأسبانيا. فكان لابد إذن من نشوب الحرب بينهما، بسبب التنازع على السيادة، في البحر الأبيض المتوسط.

ولقد وقعت بالفعل بين رومة وقرطاجة ستروب طويلة، ظهر في أثنائها البطل القرطاجي "هانيبال"، الذي يعد من أعظم المواد في التاريخ، لما أبدأه في حروبه من بسالة وإقدام، فتمد اخترق بجيشه أسبانيا وفرنسا، وعبر جبال الألب، ونزل في إيطاليا، وحاصر رومة حصاراً طويلاً. ولكنه عجز عن فتحها، فتقدم نحو الجنوب ليفتح بقية إيطاليا. غير أن "هانيبال"، لم يلبث أن عابد إلى قرطاجة، متخلياً عن كل ما فتحه، لأنه سمع أن أسطولاً رومانياً يا تقدم إليها، وحاصرها وكاد أن يستولى عليها.



هانيبال

وفي إفريقية، انقلب سعد "هانيبال" نحسا، إن هزم سنة **٣٠٢** ق. م، وعقد مع الرومان صلحاً، تنازلت فيه قرطاجه عن أسطولها ومستعمراتها لرومة ودفعت لها غرامة حربية كبيرة.



كيلوباترا

الحماية:

وظلت الصداقة وطيدة بين مصر والرومان، طول العمر الذي كان البطالة فيه أقوياء أشداء. ولما أخذ سلطانهم في الضعف، طمع ملوك سوريا في طردهم من مصر، والاستئثار بحكمها، ولكن الرومان أسرعوا لنجدة البطالسة، وردوا جيوش سوريا عنها.

ومنذ ذلك الحين، بسطت رومة حمايتها على مصر، وأخذت تتدخل في شئونها، فلم يكن أمر يبرم، إلا برأها. ومن ذلك أنها ساعدت بطليموس الثالث عشر، على تولى العرش، على غير رغبة من المصريين، ولما مات هذا الملك، تنازع العرش من بعده، ابنته كليوبطرة وابنه الأكبر بطليموس الرابع عشر، ونشبت الحرب بينهما.

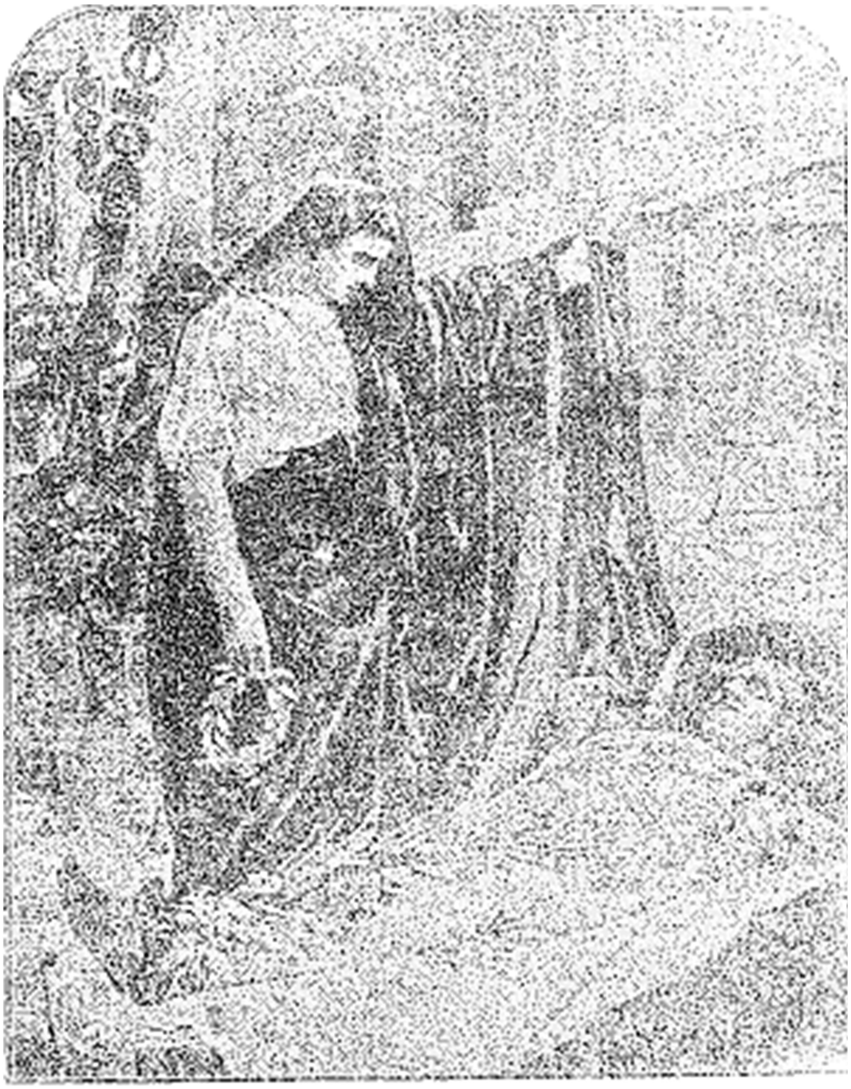
وفي خلال هذه الحوادث، قدم "يوليوس قيصر" إلى مصر، مطارداً منافسه "يومي"، فاحتكم المتخاصمان إليه، بعد أن صرف كل منهما جيشه، فقضى قيصر أن تترك كليوبطرة مع أخيها في الحكم، وتزوج منه، على نحو ما كان الفراعنة يفعلون.

وقد أثار تدخل قيصر في شئون مصر، غضب أحد القواد المصريين، فعزم على محاربته وطرده، وهاجمه في الإسكندرية، وكان قيصر على غير استعداد لملاقاة المصريين، فأضرم النار في أسطوله، مخافة أن يظفر المصريون به. ويرجح بعض المؤرخين، أن مكتبة الإسكندرية قد حرقت في خلال ذلك النزاع. ولما وصل المدد إلى قيصر، هزم المصريين، واستولى على الإسكندرية، وخضعت له البلاد، ولكنه لم يغير علاقة الرومان بمصر، فتركها كما كانت، ولم يضمها إلى ممتلكات الدولة الرومانية.



يوليوس قيصر

وبعد ذلك غادر قيصر مصر، عائداً إلى رومة، فتبعته إليها كليوبطرة وحيث أعد لها قصراً، عاشت فيه إلى أن قتل عام ٤٤ ق. م، فعادت إلى مصر ومعها قيصرون، ابنها من قيصر.



يوليوس قيصر أمام جنة الإسكندر

دخول مصر في حكم الرومان:

لما قتل يوليوس قيصر، تنازع قواده وبينهم، وانتهى الأمر كما تقدم بانتصار "أنطونيوس وأكتافيوس"، وكانت كليوبطرة قد انضمت إلى أعدائهما، فاراد أنطونيوس معاقبتها على ذلك، ولكنه افتتن بجمالها النادر عندما رآها،وعاش معها في مصر. ثم حدثته نفسه، أن يستقل بالشرق من الدولة الرومانية، فغضب لذلك زميله أكتافيوس، وأعلن الحرب عليه وعلى كليوبطرة، وانتهى الأمر بانتصار أكتافيوس، في موقعة " أكتوم" البحرية، ومكث في بلاد اليونان سنة ٣١ م، وانتحر أنطونيوس وكليوبطرة، حتى لا يقعا في يد عدوهما. وصارت مصر بعد ذللك ولاية رومانية.

حالة مصر في عهد الرومان

لما دخلت مصر في حكم الرومان، كانت أثمن ممتلكاتهم، لحسن موقعها الجغرافي، وخصوبة أرضها، ووفرة خيراتها؛ لذلك وضع أكتافيوس لحكمها نظاماً، يضمن بقاءها خاضعة للرومان، خشية أن يستأثر بالأمر فيها حكامها، لبعدها عن روما.

نظام الحكم:

كان يحكم مصر من قبل الرومان، حاكم عام، مقره الإسكندرية، يساعده نفر من الموظفين في الأمور المالية والقضائية.

ولكي يسهل حكم البلاد، قسم القطر ثلاثة أقسام، هي: الدلتا ومصر الوسطى ومصر العليا. وكان يحكم كلاً منها حاكم، يخضع للحاكم العام. ثم قسمت الأقسام سبع مديريات، والمديريات إلى قرى، يحكمها نفر من أهلها، كانت مهمتهم الإشراف على الزراعة، وجميع الأموال للحكومة، وإمدادها بما تريد من عمال.

الحامية الرومانية:

وكان للرومان في مصر جيش، يقوم على حمايتها وتوطيد الأمن فيها، وكان موزعاً بين الإسكندرية، وحصن بابليون (ومكانه الآن مصر القديمة)، ومدينة طيبة، وعلى الحدود الشرقية. وكان رجاله في وقت السلم، يساهمون في حماية الضرائب، وحفر الترع، وإقامة الجسور والقناطر.

القضاء:

كان الوالى هو كبير القضاة في مصر، يلجأ إليه الناس في قضاياهم الهامة، أما القضايا العادية، فكان يختص بالنظر فيها محاكم محلية.

الضرائب:

أكثر الرومان من فرض الضرائب على المصريين، واشتدوا في جمعها، ومن أهمها ضريبة القمح، إذ كان على المزارع المصري أن يقدم قمحه إلى الرومان ليرسل إلى رومة، فينعم به سكانها؛ وضريبة الرؤوس، التي فرضت على الأفراد من سن الثانية عشرة إلى سن الستين، وكان الرومان كذلك يفرضون ضرائب، على انتقال التجارة داخل البلاد.

ولم تكن تلك الضرائب تجيء مقدار واحد كل عام، وإنما كانت تزيد وتنقص تبعاً لأهواء الأباطرة، وحاجة الرومان.

الصناعة والتجارة:

لقيت الصناعة، من أباطرة الرومان وحكمائهم، تشجيعاً وحسن رعاية، فازدهرت بعض الصناعات في الإسكندرية، وغيرها من المدن الكبيرة، ومن أهمها: صناعة الورق، والزجاج، والنسيج.

وراجت التجارة بين مصر وما يجاورها، بعد أن أصلح الرومان الطرق

الصحراوية، وحفروا الآبار فيها، وحفظوا الأمن، وأعادوا حفر الخليج القديم، الذي يصل بين النيل والبحر الأحمر.

الحالة الاجتماعية:

كان يسكن مصر في عصر الرومان، أجناس مختلفة، لا ارتباط بينها في لغة أو دم أو دين. ولقد أستغل الرومان ما كانت عليه تلك الأجناس من تنافس وخلاف، ليضمنوا بقاء مصر في حوزتهم، ومن أهم تلك العناصر:

١- الرومان: وهم كبار الحكام ورجال الجيش، وكانوا يتمتعون بمركز ممتاز، لأنهم عدوا أنفسهم سادة البلاد.

٢- الإغريق: وقد منحوا مزايا خاصة، وكانت لغتهم هي اللغة الرسمية في البلاد، وكانوا يتقلدون وظائف الحكومة، ويعفون من ضريبة الرؤوس ويشتغلون بالصناعة والتجارة.

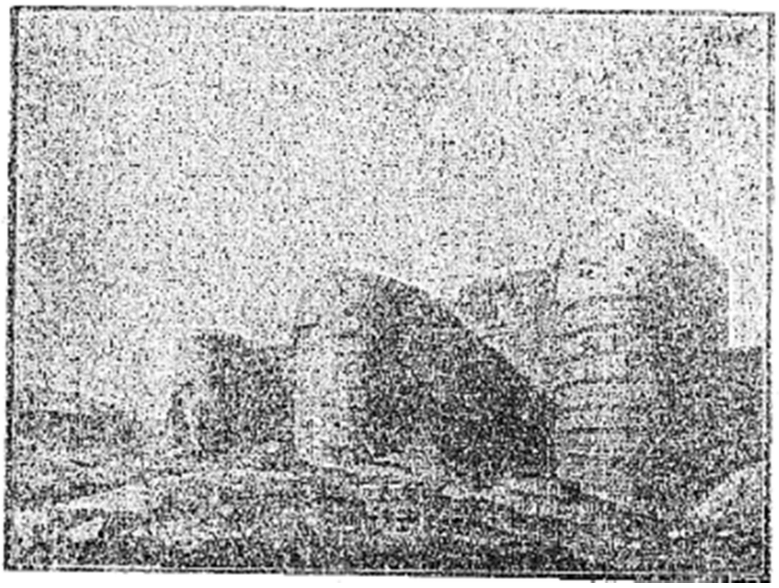
٣- اليهود: وقد تركت لهم بعض المزايا التي حصلوا عليها أيام البطالسة ولكنهم لم يعفوا من الضرائب، فحقدوا على الإغريق، وثارت بينهم العداوة، ودام نزاعهم زمناً طويلاً.

٤- المصريون وهم: أهل البلاد وأصحابها، ولكنهم مع ذلك عوملوا بقسوة ووحشية، وفرضت عليهم الضرائب الفادحة، التي مر ذكرها. ورغم ما أصابهم من أذى الرومان، وشديد بطشهم، فقد حافظوا على عاداتهم ونظمهم وتقاليدهم ٤ بفضل الكهنة ورجال الدين، وانتشار المسيحية في مصر.

يتبين من هذا كله، أن مصر بعد أن فتحها الرومان فقدت استقلالها، ولم تعد سوى مزرعة تزرع الحبوب لرومة، وفقدت كذلك مركزها الثقافي والعلمي، الذي

تمتعت به أيام البطالسة، وأهملت كتابتها الهيروغليفية، ونسيت نسياناً تاماً، وحلت محلها الكتابة الإغريقية.

ولقد تخلل الحكم الرومان، فترات، كانت مصر فيها، تلقى عناية بعض الأباطرة المصلحين. ففي عهد الإمبراطور "تراجان" (٩٨ – ١٧ م)، أعيد حفر الخليج القديم، الوصل بين النيل والبحر الأحمر، وجدد حصن بابليون،

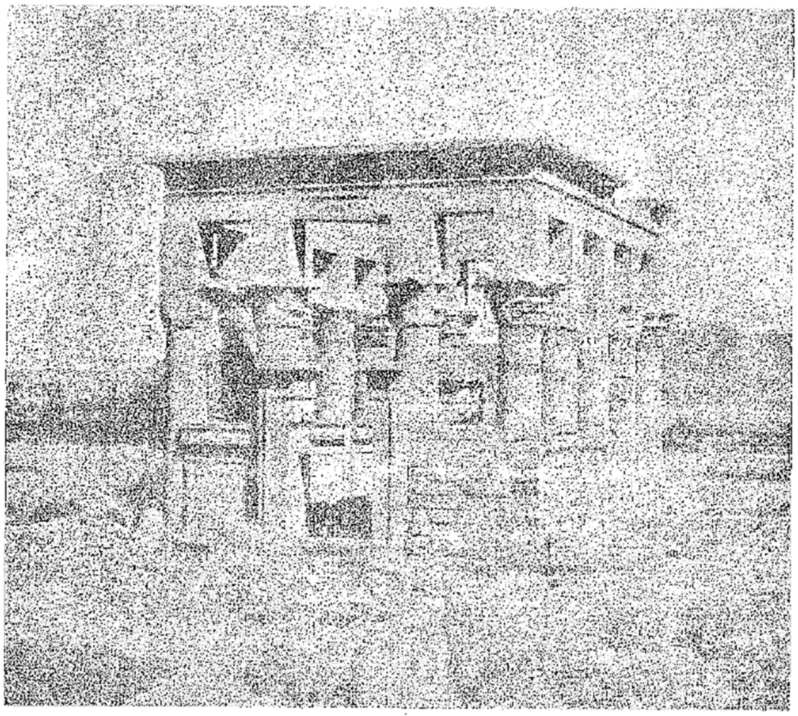


حصن بابليون

على الطراز المصري، وهو حصن لا يعرف مؤسسه، وإن كان يذهب إلى الفرس، وما تزال بعض أبراجه باقية إلى اليوم، بمصر القديمة. وأتم تراجان كذلك، بناء معبد جزيرة فيلة، وشيد معابد أخرى، ولما انخفض النيل في عهده، وانتشرت المجاعة، أرسل سفناً محملة بالغلال، من بورمة إلى الإسكندرية.

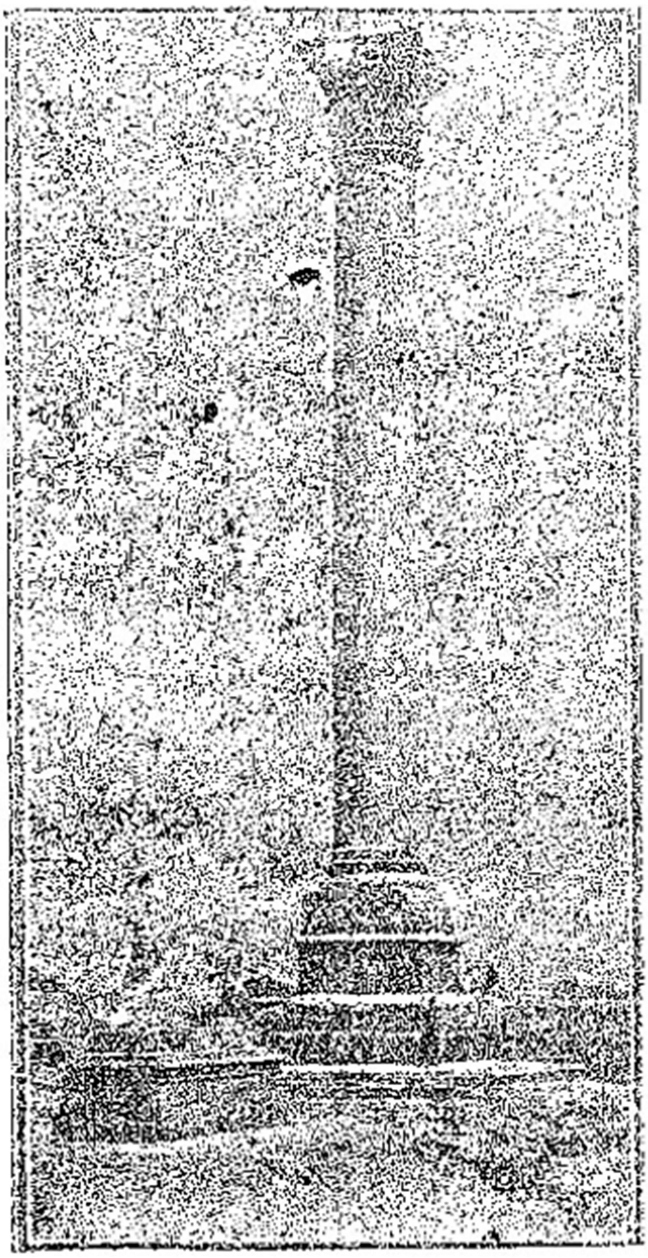
وفي عهد "دقلديانوس" (٢٨٤ – ٣٠٥ م)، أصلح هذا الإمبراطور. بعض ما فسد من حال مصر، ونظم ماليتها، ومنح أهالي الإسكندرية ثلث ضريبة

القمح، التي كانت ترسل إلى رومة، ليخفف عنهم بعض ما أصابهم من فقر،



معبد تراجان

بسبب كثرة ما كان يحدث في مدينتهم من فتن واضطراب، وخاصة بين الإغريق واليهود. ولقد قدر أهل الإسكندرية "دقلديانوس" حتى قدره، واعترفوا فضله، فأقاموا له عموداً تذكارياً، يخلد ذكره، يسمى الآن "عمود السواري".



عمود دقلديانوس (المعروف الآن بعمود السواري)

غير أن هذا الإمبراطور، لم يقنع بما أظهره المصريون نحوه، من إجلال وإكبار، ورغب إليهم أن يعبدوه ويتخذوه إلها، فلما أبي المسيحيون عليه ذلك، اضطهدهم وعذبهم.

ولما ضعف الرومان، بسبب بذخهم وإسرافهم، وميلهم إلى الراحة والخمول، انتشرت الفوضى في أنحاء الإمبراطورية، وانتقلت عدواها إلى مصر فكره المصريون الرومان وحكمهم، وتطاعوا إلى اليوم الذي يتخلصون فيه من شرهم وأذاهم.

ولقد جاء ذلك اليوم، عند ما ظهر الإسلام ببلاد العرب، في القرن السابع الميلادي، وتطلع المسلمون لنشر دينهم، وبسط سلطانهم، على ما يجاورهم من أقطار. فزحفت جيوشهم على سوريا وفلسطين، وطردوا الرومان منهما، ثم تقدموا إلى مصر، بقيادة الفاتح الإسلامي العظم، وعمرو بن العاص، فتحوها سنة ٦٤١ م، وخلصوها من ظلم الرومان.

الفهرس